

# المقتطف

الجزء الأول من المجلد الثامن والثمانين

١ يناير سنة ١٩٣٦

٦ شوال سنة ١٣٥٤

هذا العدد من المقتطف يختلف عن كل عدد صدر  
منذ ستين سنة الى يومنا هذا . فهو في موضوع  
واحد ، ولكاتب واحد  
أما الموضوع فأبو الطيب المتنبي  
وأما الكاتب فالاستاذ محمود محمد شاكر  
وقد رأى محرر « المقتطف » في العناية بالاحتفال  
بانقضاء ألف سنة على وفاة المتنبي ، وفي طرافة المباحث  
التي انطوت عليها رسالة الاستاذ شاكر ، ما يسوغ له أن  
يجعل هذا العدد بمثابة كتاب يرفعه :

الى ابى الطيب المتنبي



Az 14/8

أنا الذي نظر الاعمى الى أدبي

وأسمعت كلماتي من به صمم

أنا مملء جفوني عن شواردها

ويسهر الخلق جراًها ويختصم

كنت في غلواء الشباب حين وقعت لي فيما كنا نتعلم من « المحفوظات العربية » أبياتٌ للمتنبي حفظتها في غير عناء ، وجعات أرددها بكثير من اللذة والحماسة ، لأنها كانت تطوي — فيما أظن الآن — على ذكر سجايا يتيه بها الشاب وتهتز معاطفه ، إذ لا يزال في مستهل الحياة ، يراها ، أو يتصورها ممتدة أمامه ، ميداناً رجباً ليس له فيه إلا الاقتحام والغزو والظفر . فكذلك كان مما حفظته — وكأنا طبعته في ذاكرتي بأحرف من نار :

ردي حياض الردى ، يانفس ، واتركي حياض خوف الردى للشاء والنعم  
إن لم أذكرك على الارماح سائلة فلا دعيت ابن أمّ المجد والكرم

\*\*\*

أين فضلي ، اذا قنعت من الدهر بعيش معجل التنكيد ؟  
أبدأ أقطع البلاد ، ونجمي في نحوس ، وهمتي في سعود

\*\*\*

لا يسلّم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

\*\*\*

ولا تحسبن المجد زقاً وقينة فما المجد إلا السيف والفتكة البكر



وتضرب أعناق الملوك ، وأن ترى لك الهبوات السود والعسكر الحُرُ  
وتركك في الدنيا دويًا كأنما تداول سمع المرء أمّله العشرُ

\*\*\*

وعندما اراجع ديوان المتنبى الآن تمر بي أبيات من الشعر كأن رنينها إذ أقرؤها محمول الي  
من مغاور متعائلة في جوف الماضي . واكثر هذه الايات من شعر الغزل والنسيب الذي كان  
المتنبى يستهل به بعض قصائده . ولست أحفظ الآن من ذلك إلاّ نزرًا سيرًا ، لان رجولة المتنبى  
كانت هي التي فتنتني في صباي دون رفته ونسيبه ، وقد كنت اظن ان رجولته هذه يكون  
مردها ، في الغالب ، الى خياله المتوثب وحده — الى ان قرأت اصول هذا الجزء من المقتطف وتجاربه ،  
فاذا هي ، بحسب رأي الكاتب ، متصلة أوثق اتصال بأصله ونشأته وتربيته التي قامت عليها  
جدته ، « أم أمه » وحوادث عصره وحياته ، واذا أقوى شعره إعراب بليغ ، وبيان  
واضح عن ذلك كله

وكنت اطاب العلم في جامعة بيروت الامريكية فكان أستاذنا في الادب العربي (جبر صومط)  
رحمة الله عليه ، مولعاً بدراسة المتنبى وتدريسه ، فقضينا معه سنتين نحفظ من قصائد المتنبى ما يتخيره  
لنا منها ، ونمعن في حل أبياتها وإعراب ألفاظها ، ويمعن هو في تفسير معانيها وبيان ما تحمل في  
ثناياها من حكمة وفلسفة . وكان لا يفوته ان يلح احياناً الى ان حياة المتنبى لعل صلة وثيقة  
بعضره . وكان معظمنا لا يعي من تاريخ الشرق العربي في ذلك العهد إلاّ اليسير ، فمرّ بهذا  
التلميح غير آبه

وأكبر الظن عندي الآن — وقد اطلعت على رسالة صديقي الاستاذ محمود محمد شاكر ،  
وما جلاه فيها من دقائق هذه الصلة — ان استاذنا كان قد حاول ان يجتلي بعض هذا  
الغامض ، فتبينت له اشياء لم ينشرها ، إما التزاماً للحذر العلمي قبل القطع برأي ، وإما مراعاة  
للاحوال السياسية

وعلى ذلك ظل المتنبى — على علو مقامه في الادب العربي ، ونصوع معانيه ، وسمو حكيمته ،  
وكمال رجولته — تكتمفه في ذهني غمامات من الغموض ، على كثرة شراح ديوانه ومفسريه



ولكن مشاغل الحياة ، وانصراف أساتذتنا — عند طلبنا العلم — عن ترسيخنا في معرفة أصول تاريخنا الشرقي العربي صرقتني عن دراسة المتنبى . فكنت فيما تلا من عهد الدراسة لأذكره إلا عندما أسكن الى ساعة من الراحة ، فأخرج شرح اليازجي ، وأقرأ بعض قصائده المشهورة ، صادفاً عما قد تطوي عليه أحياناً من مغلق المعنى ، او مهجور اللفظ ، او معقد التركيب ، مكتفياً بما فيها من قوة ورجولة ، تكاد تحسهما — بعد انقضاء عشرة قرون — تتفجران من معاطف هذا العربي كالينبوع ، وتطيران من عينيه كالشرر

فلما ذكر المذكورون بانقضاء ألف سنة على مصرع المتنبى في ٢٧ رمضان سنة ١٣٥٤ ( وقد كان مصرعه في ٢٧ رمضان سنة ٣٥٤ ) قلت : هي فرصة فذة تتيح للمقتطف أن يشارك في إحياء ذكر عظيم من عطاء العرب ، وناطقة من نوابع اللسان العربي ، كسنته في الاشتراك في إحياء ذكرى العطاء من علماء الفرنجة ، وفلاسفتهم ، وكتابهم ، وزعمائهم . ولكن الفرق فيما يجب على المقتطف في الحالين واضح :

فنحن حين نحفل بذكر عظيم من عطاء الفرنجة نجزيء بمجمل من سيرته وأثره ، لأن الغرض إنما هو التعريف بأثره من الناحية الذهنية ، والاشادة بخلقته أو مثاله من الناحية الأدبية . ولكننا — اذ كان المتنبى من عباقرة شعرائنا — لا ينبغي لنا أن نجزيء بمجمل أقوال الرواة والنقاد في حياته وشعره

فتحدثت في ذلك مع صديقي المحقق الاستاذ محمود محمد شاكر ورغبت اليه أن يكتب كلمة مسببة بعض الأسهاب عن المتنبى . وأقر أنني كنت مقتنعاً — عند ما ألقيت اليه هذا الاقتراح — أن الكلمة لن تزيد عن عشرين ، أو ثلاثين من صفحات المقتطف ، فوعدني ان يبذل ما لديه . ولكن البحث تشعب أمامه ، ومواطن الاستنباط والمقابلة تعددت ، فلم يرض — وقد وجد مجال القول ذا سعة — بالنهج المطروق . فبعد ان كتب عشرات من الصفحات مزقها ونبذها ، وعاد الى الكتابة على نهج آخر . فأصبح المقال عدداً كاملاً من المقتطف ، أو يزيد . وليس هذا العدد الكامل إلا موجز سفر في المتنبى ينوي أن يجعله في أربعة مجلدات أو أكثر ولا أخفي عن القارئ أنني معتبط بهذا كل الاغباط . ففي هذه الرسالة — على ايجازها بالقياس



الى ما كان يجب ان تكون — دلائل على تبحر الكاتب في تاريخ هذا العصر من حياة شرقنا العربي ، ومقدرته على تبين الاشارات الخفية في شعر المتنبي الى حوادث ذلك العصر ، وبراعة عجيبة في استنباط حالات الشاعر النفسية من آيات شعره وربطها بحياته الخاصة ، والاحداث التي كانت في الامة العربية بوجه عام . وفي الغالب ان يكون عمل<sup>١</sup> كهذا متعذراً اذا لم يوفق الكاتب الى دليل يهديه سواء السبيل في تيه الحوادث ومجاهل الآراء ، فضلاً عما يقتضيه من سعة نادرة في العلم ، وبراعة فذة في الاستنباط . وهذا الدليل الذي هداه هو رأي جديد في أصل المتنبي ونشأته ، أشبه مايكون بالنظرية العلمية في ميدان العلوم الطبيعية :

فالحقائق في علوم الطبيعة هي خصوم النظريات . والبحث عن الحقائق بالمجهر والمطياف وغيرها من ادوات العلم ، عمل لا ينقطع ولن ينقطع ما بقي الانسان على فطرته في حب الاستطلاع . ولا يخفى أن النظريات توضع لتفسير طائفة معروفة من الحقائق . فاذا انقضت عقود من السنين أو سنوات قلائل ، فالغالب أن تحيي هذه الحقائق الجديدة التي يكشف عنها بعد وضع النظرية مخالفة للنظرية في مجملها أو لنواح منها ، فتعدل النظرية القديمة ، أو تطوى وتوضع نظرية جديدة . ويشترط في النظرية الجديدة أن تكون تفسيراً عاماً متسقاً للحقائق الجديدة والقديمة معاً ، وأن يكون فيها من المرونة ما يجعلها تحتمل تفسير الحقائق التي تستجد ، والتمهيد للكشف عن أمور مجهولة

فالاستاذ شاكر وضع هذا الرأي أولاً فيما قيل عن أصل المتنبي ووالده وذهابه الى الكوفة لزيارة جدته ، وامتناع ذلك عليه ، فاستقامت الحوادث المتناقضة في الروايات المنقولة على أساس هذا الرأي الجديد . ثم لما طبقه على نفسية المتنبي في شعره ، وحوادث حياته الاخرى ، وخاصة حديث نبوته الى ان اتصل بسيف الدولة ، تساوقت واتصل الاول منها بالآخر . واستقام كذلك فهمها على منوال يرتضيه العقل ، ويؤيده ما كان من حوادث العصر . ولا يبعد أن تكون هذه النظرية تمهيداً للكشف عن أشياء في حياة المتنبي وتاريخ عصره على منوال ما تولده النظريات في العلوم الطبيعية ، كما قدمنا . ولعل الاستاذ محمود يحقق كل هذا تحقيقاً مفصلاً في سفره المرتقب إن شاء الله ولا يسعني في هذه السطور ان أفصل القواعد التي بنى عليها الاستاذ شاكر رأيه ، فهي



كثيرة مفرقة في جميع الفصول، وهذا البحث الطريف في حياة المتنبى وأدبه ليس إلا وليد تطبيقها فقد استطاع ان يكشف من شعر المتنبى عن دقائق حياته ، وينقض الروايات المنقولة إلينا عن أصله ونشأته ونبؤه ووجهه ومصرعه ، ويصل بين حياة الرجل واحداث عصره . وبذلك اتسقت حياة المتنبى ، واتصل اولها بآخرها ، وقات الفجوات في تسلسلها ، واستقام فهمها على اساس معقول من الأدب والتاريخ

فالذي يقرأ هذا البحث ويعود الى مطالعة ديوان المتنبى ، متدبراً ، تكشف امامه معاني شعره ، وصلتها بنفس صاحبها من ناحية ، وبتاريخ عصره من ناحية اخرى

فقد نقض الاستاذ شاكر الرواية المتداولة عن ان والد المتنبى كان سقاء بالكوفة ، ورسم صورة لحدثاته في مدارس الاشراف العلويين فيها ، وبين صلة المتنبى بالعلويين من نشأته الى وقت مصرعه ، وتأثير ذلك في حياته وشعره وآرائه السياسية ، ونفى ما اتهم به المتنبى من النبوة مستنداً على صحة ما يذهب اليه بما استنبطه من شعره ، وما استخرجه من دفائن الحوادث التاريخية المتصلة بمسألة النبوة ، واستطاع ان يصل الى السبب المعقول في تسمية ابي الطيب بالمتنبى

وقد درس حياته وهو في جوار سيف الدولة دراسة وافية من شعره وحوادث عصره ، فكشف عن الصلة بين سيف الدولة والمتنبى ، وانهما كانا يعملان معاً على تحقيق الامل السياسي لردّ الحكومة الى العرب ، وزعما من يد الاعاجم الذين كانوا قد استولوا على مقاليدها ، ويثبت أن هذه الصلة السياسية في شعر ابي الطيب الذي قاله لسيف الدولة

وأثبت في ما أثبتته من تاريخ هذه الفترة ان ابا الطيب كان يحب « خولة » اخت سيف الدولة وما كان لهذا الحب من الاثر في سمو شعره ، وروعة بيانه

فؤاد صرّوف





## بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله

« لا يَكْلَفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ، لها ما كَسَبَتْ وعليها  
ما اكتسبت ، رَبَّنَا لا تَوَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ، رَبَّنَا  
ولا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ، رَبَّنَا ولا  
تَحْمِلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ، واغْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا  
« رَبَّنَا لا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ  
رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ »

وبعد ، . . . . . فهذه كلمة منسي عن شاعر العربية ولسانها الحكيم

### أبي الطيب المتنبي

وأنا أشكر لكل من أعانني — بعلمه أو قلبه أو عطفه — عونَه . وأخص بالشكر الفريق  
أمين فهد الملعوف ، والأستاذ محمد فريد نامق ، والأستاذ فؤاد صرُوف م

محمود محمد شاكر

مصر الجديدة : شارع المنصورة ٢٢

أول شوال سنة ١٣٥٤

٢٧ ديسمبر سنة ١٩٣٥



ذَكَرْتُكَ بَيْنَ ثَنَائِهَا السُّطُورِ ،  
وَأَضْمَرْتُ قَلْبِي بَيْنَ الْكَلِمِ  
وَلَسْتُ أَبُوحُ بِمَا قَدْ كَتَمْتُ ،  
وَلَوْ حَزَّ فِي النَّفْسِ حَدُّ الْأَلَمِ  
تُمَزَّقَنِي — مَا حَيَّتُ — الْمُنَى ،  
فَأَرْقَعُ مَا مَزَّقَتْ بِالظُّلَمِ  
فَكَمْ كَتَمَ اللَّيْلُ مِنْ سِرِّنَا ،  
وَفِي اللَّيْلِ أَسْرَارُ مَنْ قَدْ كَتَمَ  
تَشَابَهَ — فِي كَتَمِهِمَا —  
سَوَادُ الدُّجَى ، وَسَوَادُ الْقَلَمِ  
مُحَمَّدُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ



أَنَا ابْنُ مَنْ بَعْضُهُ يَفُوقُ أَبَاكَ  
بِمَا حِثِّهِ وَاللَّيْلُ بَعْضُ مَنْ نَجَدَهُ  
وَلَمَّا يَذْكُرُ (الْجُدُودَ) لَهُمْ  
مَنْ نَفَرُوهُ وَأَنْقَدُوا حَيْلَهُ  
إِنَّ الْكِذَابَ الَّذِي أَكَادُ بِهِ  
أَهْوَنُ عِنْدِي مِنَ الَّذِي نَقَلَهُ

« أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي »  
« أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الحار الجعفي »  
« أحمد بن محمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي »  
هو أبو الطيب الملقب بالمتنبى . ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ بمحلة كانت بها تسمى كنده ،  
وكان أبوه الحسين سقاءً يسقي الناس على جمل له بالكوفة ، وكان يلقب بعبدان السقاء  
حدث علي بن الحسن التنوخي عن أبيه (الحسن بن علي التنوخي) قال :  
« اجتمعت بعد موت المتنبى بسنين مع القاضي أبي الحسين بن أم شيبان <sup>(١)</sup> الهاشمي  
وجرى ذكر المتنبى فقال : كنت أعرف أباه بالكوفة شيخاً يسمى عبدان يستقي على بعير له ،  
وكان جعفياً صحيح النسب »  
وحدث التنوخي أيضاً عن أبيه قال :  
« حدثني أبو الحسن محمد بن <sup>(٢)</sup> يحيى العلوي الزيدي قال : كان المتنبى وهو صبي ينزل  
في جوارى بالكوفة ، وكان يعرف أبوه بعبدان السقاء — يستقي لنا ولاهل المحلة ... »

(١) هو علي بن محمد بن صالح بن علي ينتهي نسبه الى عبد الله بن عباس بن عبد المطلب مات بشارع دار  
الرتيق ببغداد في يوم الثلاثاء ١٢ شعبان سنة ٤٢٠ ، ويعرف بابن أم شيبان  
(٢) هو « محمد بن عمر بن يحيى » ينتهي نسبه الى زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم . كان من اهل  
الكوفة ثم سكن بغداد وكان المتقدم على الطالبيين في وقته والمنفرد في علو محله مع المال واليسار ، وكثرة  
الضياع والعقار . ولد سنة ٣١٥ وتوفي ببغداد في ١٠ ربيع الاول سنة ٣٩٠ ثم حمل بعد ذلك اسنة او اقل  
الى الكوفة فدفن بها



وقال ابو الحسن العلوي ايضاً من حديث التوخي عنه : « كان عبدان والد المتني يذكر أنه جعفي وكانت جدة المتني همدانية صحيحة النسب لا اشك فيها ، وكانت جارتنا ، وكانت من صالحاء النساء الكوفيات ... »

ثم قال التوخي ( علي بن الحسن ) ، قال ابي :

« فاتفق مجيء المتني بعد سنين الى الاهواز منصرفاً من فارس فذكرته بأبي الحسن ( يعني محمد بن يحيى العلوي الذي مرّ آنفاً ) فقال : رَبِّي وَصَدِيقِي وَجَارِي بِالْكُوفَةِ ، وَأَطْرَاهُ وَوصفه ... وسألت المتني عن نسبه فما اعترف لي به ، وقال : انا رجلٌ أحيط القبائل ، وأطوي البوادي وحدي ، ومتى انتسبت لم آمن أن يأخذني بعض العرب بطائلة بينها وبين القبيلة التي انتسب إليها .. وما دمت غير منتسب إلى أحدٍ فأنا اسلم على جميعهم ويخافون لساني » هذا ما ذهب اليه رواتنا ممن وقع الينا كلامهم في نسب المتني يزيد بعضهم وينقص بعض ... وقبل ان نبدأ كلامنا عن نسبه ، نذكر لك طرفاً من امر ( الكوفة ) التي ولد بها أبو الطيب وفيها نشأ عسى ان تكون منه فائدة فيما يستقبل من كلامنا

كان تمصير الكوفة وأول امرها — على ما ذهب اليه اكثر العلماء — في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما بين سنة ١٧ إلى سنة ١٩ من الهجرة ، وذلك ان المسلمين لما فرغوا من وقعة رستم بالقادسية وعصفوا بالفرس ثم انحدروا ، كان مما انزلهم فيه سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه — مكان من سواد العراق يقال له ( سوق حكمة ) ففرض المسلمون وجهدهم المرض ، فكتب سعد إلى عمر بذلك فكتب اليه :

« إن العرب لا يصالحها من البلدان إلا ما أصلح الشاة والبعر ، فعليك بالريف ، ولا تجعل يديني وبين المسلمين بجرأ »

فلما ورد كتاب عمر دَلَّ ( ابن بُقَيَّة — رجل من سواد العراق ) سعداً على موضع الكوفة وكان يقال له ( سورستان ) ، فلما اقرَّ سعدُ الرأي على اختيار الموضع أسهم بين المسلمين ، فأسهم لنزار وأهل اليمن سهمين ، فمن خرج سهمه اولاً فله الجانب الشرقي ( وهو خيرها ) فخرج سهم أهل اليمن اولاً فصارت خططهم في الجانب الشرقي من الكوفة

ومما ورد في صفتها وحسنها ما يروى عن مالك بن دينار قال : كان علي رضي الله عنه إذا أشرف على الكوفة قال :

يَا حَبِّذَا مُقَالِنَا بِالْكُوفَةِ أَرْضٌ سَوَاءٌ سَهْلَةٌ مَعْرُوفَةٌ  
تَعْرِفُهَا جَمَالُنَا الْعَلُوفَةُ



وما قاله محمد بن عمير العطاردي في مجلس عبد الملك بن مروان  
«الكوفة سفّلت عن الشام ووبائها، وارتفعت عن البصرة وحارها، فهي مريّة مريّة»  
إذا أتت الشّمال ذهبّت مسيرة شهر على مثل رضراض الكافور، وإذا هبت الجنوب جاءت  
ريح السّواد<sup>(١)</sup> وورده وياسمينه وأثر نجه . ماؤنا عذب وعيشنا خصب»

فهي كما ترى ارض ذات طبيعة جميلة، حبّبت الى كثير من المسلمين البقاء بها فأثروها على  
غيرها، حتى كانت الفتنة الكبرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، فالتخذه امير المؤمنين  
علي قاعدة امره، واجتمع فيها اشياءه وغابوا عليها، فمن يومئذ والكوفة معقل من معاقل  
الشّية والعلوية والزيدية الى يوم الناس هذا . يقول السيد محسن الامين الحسيني العاملي صاحب  
كتاب (ايعان الشّية)<sup>(٢)</sup> «ثم إن الكوفة ضعفت بعد انتقال الخلافة منها إلى بغداد ثم خربت.  
واليوم فيها كثير من العمران، وجميع أهلها شيعة»

اما امر تخطيطها وعمرانها في القرن الاول والثاني أو في القرن الرابع الذي عاش فيه  
ابو الطيب، فلا نكاد نجد بين ايدينا شيئاً مما روي يدنا عليه ويقعنا عنده إلا ما روي عن  
بشر بن عبد الوهاب القرشي من انه ذكر قدر الكوفة فكانت ستة عشر ميلاً وثاني ميل،  
وذكر ان فيها خمسين الف دار للعرب من ربيعة ومضر، وأربعة وعشرين الف دار لسائر  
العرب، (وسنة آلاف دار لليمن)، وذلك في سنة ٣١٤ وما قبلها  
وقد رمى الينا المتني طرفاً آخر من تخطيط الكوفة لعهد صباه إذ يقول وهو بالشام فيما  
مدح به (علي بن ابراهيم التنوخي)

أمسري السكون وحضرموتا (ووالدي) وكندة والسبيعا  
يقول الواحدي «هذه اما كن بالكوفة سميت بأسماء قبائل كانوا ينزلون هذه المحال» .  
ولا شك ان (محلة كندة) التي ولد بها صاحبنا ابو الطيب كانت خطة من خطط الكوفة نزها  
في الصّدر الاول من نزل من بطون كندة فسميت بهم، وان سائر الكوفة — او الجانب  
الشرقي منها على التحقيق — كان مقسماً مخططاً الى احياء كثيرة غير هذه التي ذكرها ابو الطيب  
في شعره . ولكن مما فجع له ان بشر بن عبد الوهاب يقول أن دور اهل اليمن (جميعاً في كل  
احياء الجانب الشرقي) بالكوفة كانت في سنة ٣١٤ وما قبلها وعدتها (سنة آلاف دار)،  
ويقول صاحب (إيضاح المشكل لشعر المتني) ابو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الاصفهاني  
ان (ابن التجار) حدثه ببغداد :

(١) السواد الريف (٢) هو كتاب جليل طبع الجزء الاول منه بدمشق في الاشهر الماضية وسيم  
ان شاء الله في اثني عشر جزءاً او يزيد



« أن مولد المتنبى كان بالكوفة في محلة تعرف (بكندة) بها ثلاثة آلاف بيت من بين رَوَّاء ونساج » وذلك سنة ٣٠٣ ، فليت شعري أكان أهل اليمن النازلين بالجانب الشرقي من الكوفة — وهو خير جوانبها — ما بين سقاء ونساج . هذا عجب أن يكون ذلك كذلك ، إذا كان النساجون والسقاؤون وحدهم قد شغلوا من دور أهل اليمن بالكوفة ، ثم بمحلة كندة وحدها ، ثلاثة آلاف دار ، فكم شغل من بقي من أهل اليمن من اصحاب الصناعات ومن لف لفهم من التجار وأصحاب الارضين ، ثم ما يبقى من حي أهل اليمن لرجال اليمن وأشرفها وفرسانها وعلمائها وشعرائها وأدبائها وهم كثير

فهذه المبالغة وجه من وجوه إسقاط قول (ابن النجار) هذا ، وسترى ان المتنبى قد منى في حياته وبعد موته بضروب من العداوات قد جعلت تاريخ الرجل مزلة لا تثبت عليها قدم ولا يهتدي فيها إلا بصير متثبت . ولو نظرت إلى أقوال الاصفهاني صاحب (إيضاح المشكل) وما رواه في مقدمة كتابه رأيته ممن كان يتحامل على ابي الطيب ، ويذكره بالسوء في كل قوله ، وما أتى له بمحمدة إلا واتبعها بمذمة بالغة قارصة ، وهو قد ألف كتابه هذا لا صغر أبناء (عضد الدولة) — الذي مدحه المتنبى ، وكان آخر من مدح — بهاء الدولة خاشاذ بن عضد الدولة ، وكان التحاسد واقعاً بين أبناء عضد الدولة حتى إن المتنبى حين ذكر اخويه (وهما أكبر من بهاء الدولة) في مدح ابهما قال ودعا لهما

فماشا عيشة القمرين يحسبا بضوئهما ولا يتحاسدان

فكأنني بالمتنبى قد أدرك ذلك منهما ، وألم بطرف من تحاسدهما ، وقد خابت دعوة صاحبنا فإن شرف الدولة شيرازيل بن عضد الدولة حارب أخاه صمصام الدولة وظفر به بعد حروب وحبس . فلعل بهاء الدولة هذا كان ممن يحقد على المتنبى إذ لم يمدحه او يذكره في شعره (مع صغره إذ ذاك) ، فكتب الاصفهاني كتابه تقرّباً وزلفى اليه . وما يؤيد ذلك ان كتاب الاصفهاني في نقد كلام ابن جني ، وهو صاحب المتنبى ومريده ومن الضالعين معه . وسيأتي طرف من غرائب ما ذكره الاصفهاني في ثنايا القول يؤيد رأينا في ان الرجل كان يلفق بالهوى الجائر ، وما كان يؤلف بالتاريخ (١)

(١) هذا طرف من القول ، وبقيت اطراف ترجع الى العداوة بين بني بويه وسيف الدولة ، وما جرت هذه من الخصومة بين أهل العصر ، والادباء خاصة ، وقد اشتدت المنافسة أخيراً بين بهاء الدولة وسيف الدولة وتورط الادباء فيها فكثرتوا وألقوا يريدون بما القوا التقرب الى واحد من الخصمين . وايضاً فإن بني بويه كانوا يعرفون يقيناً أن المتنبى لم يكن خالص المدح لهم فقد شاب مدحه بالخسرة على لقاءهم في بعض قصائده وما كان ذلك ليخفي عليهم . . . وهناك كثير من القول أغفلناه هنا ، وربما أتى بعضه عرضاً في آخر ما نكتبه من مدح المتنبى بني بويه ان شاء الله



والآن وقد فرغنا من القول عن محبة كندة التي ولد بها المتنبى ، وما وقع في أمرها من المبالغة تظهر في نسب الرجل ، لترى كيف بالغوا أيضاً في الإساءة إليه ، وتحقير مولده ، والخط من أصله ونشأته لأغراض خافية قد أحاطت بصاحبنا ، أضرت به في حياته وأفسدت تاريخه بعد وفاته . رأيت قبل في أول ما روينا لك من أقوال الرواة أنهم أرادوا أن يثبتوا بما رووا أن الحسين والد المتنبى هو عبدان السقا كان يسقي الماء على بعير له بالكوفة . وراوي القصة كلها هو علي بن الحسن التنوخي عن أبيه المحسن التنوخي ، ونحن نقدم فنشك في رواية المحسن التنوخي لأسباب نذكر طرفاً منها هنا ثم يأتي بعد أسباب أخرى تثبت ما نقوله أن شاء الله القاضي أبو علي الحسن بن علي التنوخي ولد سنة ٣٢٧ وتقلد القضاء سنة ٣٤٩ . فكان من اصحاب الوزير أبي محمد المهلبى ، وكان المتنبى حين دخل بغداد في طريقه إلى عضد الدولة بشيراز قد ترفع عن أن يمدح الوزير المهلبى ، فأغرى المهلبى به الشعراء وغيرهم كابي علي الحاتمي صاحب الرسالة العجبية المعروفة بالحاتمية ذكر فيها سرقات المتنبى ، وزعم أنها قد وقعت كما قيدها بينه وبين المتنبى ، فلا عجب أن يكون المحسن التنوخي من اعداء أبي الطيب لصلمته القريية بالوزير فقد بلغ به أن كان من ندمائه ، ولا عجب أيضاً أن يسند التنوخي روايته (او كذبه) إلى بعض شيوخه فيقتضح . ذلك أنه زعم كما قدمنا لك أن القاضي ابن أم شيان حدثه فقال « كنت اعرف أباه بالكوفة شيخاً يقال له عبدان . . . الخ » والقاضي ابن أم شيان وإن لم نعلم تاريخ مولده فإن في ما أثبتته البغدادى الخطيب من تاريخ وفاته مقنعاً وغنى

فوالد المتنبى — كما ذهب إليه كثير من المحدثين ، وكما تبين لنا من بعض الوجوه — قد مات والمتنبى صغير ، فإذا تجاوزنا وقلنا أن أباه مات وهو في الثانية والعشرين من سنه أي سنة ٣٢٥ او بعد ذلك بقليل فوجب أن يكون القاضي بن أم شيان كان قد رآه إذ يقتضي ذلك أن يكون القاضي قد عسر وحطم المائة فإنه قد مات سنة ٤٢٠ ، فلو أنه رأى (عبدان السقا) وهو ابن عشرين سنين لآفت سنه على المائة ، ولو كان ذلك كذلك لما فات البغدادى أن يشير إليه فقد يكون هذا القاضي من أعلى شيوخ عصره إسناداً ، وعلو الإسناد عند المتقدمين أمر لا ينصرف عن تقييده ، كما أن المعمرين من الرجال المذكورون حتى إنهم ليزكرون الرجل في كتبهم ، وما له من فضل الأطول عمره . فأنا مطمئن إلى أن هذه الكلمة موضوعة على لسان القاضي الفاضل الذي وصفه البغدادى فقال « كان صدوقاً »

هذا التنوخي يقول أنه سأل المتنبى عن نسبه فما (اعترف له) به وكان إذ ذاك شاباً في السابعة والعشرين ، وكان المتنبى قد نيف على (١) الحسين ، فما نطن أن القاضي كان يجرؤ أن



يسأل المتنبى عن ذلك ، لُبَّعْدٍ ما بينهما ولتعالى المتنبى وترفعه حتى على الخلفاء والوزراء ، وأيضاً لما يعلم من صلة القاضي بالوزير المهلبى وتحققه بخدمته ( كما قال عن نفسه ) فمن يترفع عن الوزير ابي محمد المهلبى وهو من هو في سياسة عصره ودسائسه ، لا يتبدل مع صاحبنا القاضي التتوخي . هذا ولئن كان قد سأل المتنبى حقاً كما يقول فما يكن جواب المتنبى عن ذلك هذا الكلام المنطق الضعيف الذي يضع من رأي صاحبه ويستفسد من عقله « انا رجل اطوي البوادي وحدي وأحيط القبائل .... » فلم يكن المتنبى ممن يطوي البوادي وحده اذ ذاك بعد ان سار اسمه مسير الشمس ما بين مشرقها ومغربها . والمتنبى الذي لم يخف ان يخرج غير محروس يوم قتل وقد اوعده ، وأرصدوا له وتحقق هو ذلك لا يقول « وهى انتسبت لم آمن ان يأخذني بعض العرب بطائفة بينها وبين القبيلة التي انتسب اليها » وهل اذل من قوله « وما دمت غير منتسب الى احدى فانا اسلم على جميعهم ويخافون لساني » أهذا يقول من اوعده الملوك وجاهرهم بالعداوة في عصر كانت تذهب فيه الارواح مع كلمات الوشاية والدسيس والمكر السيئ ؟ . . . كلاً يا ابا علي . . .

وقد بالغ صاحبنا التتوخي في روايته عن المتنبى حين سألته عن ابي الحسن محمد بن يحيى العلوي مما يدل على انه كان يريد ان يولد كلاماً ، فأطال فيما روى ليوهم السامع بطول قوله ان المتنبى حرّ كته الذكري فأفاض فقال عن ابي الحسن العلوي « تربى ... وصديقي ... وجاري بالكوفة . . . وأطراه ووصفه » . ونسي التتوخي انه قد وضع فيما وضع كلمة أفست عليه ما اراد وهي قوله « تربى » وترب الرجل ولدته هو الذي ولد معه والمتنبى ولد سنة ٣٠٣ وأبو الحسن العلوي كما قدما ولد سنة ٣١٥ والرجل لا يقول للذي بينه وبينه ما يزيد على عشرة أعوام ( تربى ) فما ظنك بأبي الطيب

وأخرى . . . فمن جهل هذا التتوخي بأساليب الوضع المتقنة — التي جرى عليها شيوخ الوضّاعين وأحكموا أمرها حتى خفيت على الحفصي البصير من العلماء والادباء — أنه جمع بين التقاض في الكلام الواحد الذي يراد به إثبات ما لا يكون ، أو كونه ما لم يثبت ، فمن ذلك أنه روى أن أبا الرجل كان سقاءً يستقي على بعيره ثم حدث عن الرجل نفسه انه قال « متى انتسبت لم آمن أن يأخذني بعض العرب بطائفة بينها وبين القبيلة التي انتسب اليها » . وهذا أمر من الامر ، فإن العرب لذلك العهد كانت قد نسيت الترات القديمة ، وألقت بالسخرات المتوارثة وانصرفت إلى ما جد من الاحداث في دولتهم وفرّق شملهم وجعل بأسهم بينهم تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ، حتى لعبت بهم الاعاجم فخطمتهم الايام . فإذا كانت العرب قد نسيت ما قدّم أو ذكرته قليلاً قليلاً فما خوف المتنبى مما لا يخاف منه ؟ وما خوفه وهو آمن في المدن بين



الكوفة وحلب وانطاكية ودمشق والفسطاط؟ أو كان المتني وحده من أهل عصره هو الذي يخشى ذلك؟ ألم يكن في عصره مثله ممن يطوي البوادي وحده؟ كلا، وإن رجلاً قد سقطت بآبائه السواقيط إلى السقاة وغيرهما من حقيرة المهن لا تُبْغَى عنده طائفة، وإن بُغيت فما يكون لمدركتها عنده فخر. (و ابن السقاء هذا) ما عرض في شعره كماله إلى قبيلة فهبها أو عرض بها أو لمزها بشيء، حتى يخشى ظهور كيد يكاد به، ولئن فعل لقالوا له كما قال الاول

وكن كيف شئت، وقل ما تشاء، وأرعد عينا وأرق شالاً

نَجْمًا بكَ عَرْضُكَ مَنَجَّى الذِّبَا ب حَمَلَتَهُ مَقَاذِيرُهُ أَنْ يُنَالَا

وما عرض كعرض سقاء وابن سقاء ينتجو به ناج من طالب ثأر أو مدرك ترّة

وهلاً أدرك هذا المترفّع المتعالي على الملوك والأمراء — عنيت المتني — بنسبه رجلاً آخر غير هذا السقاء — الذي هو أبوه — فوقف عليه بنسبته!! ما كان يضير هذا الرجل — لو أنه كان قد سئل عن نسبه كما يؤهم التوخي — أن يرتفع بنسبه شيئاً إلى رجل من الناس معلوم غير منكور ولا محقر؟! إن الرواة قد اختلفوا — كما رأيت في صدر مقالنا — في اسم جدّه (أبي أيّه) ولم يجمعوا على شيء، واخطأ بعضهم في اسم أبيه فسماه (محمداً)، واقتصر جلّ شراح ديوانه من الاوائل، ثم أكثر النسخ المخطوطة — على اسم أبيه وحسب ولم يزيدوا، فهذا دليل على أن الكتان إنما كان كتماناً للنسبة كـها لا كتماناً إلى قبيلة بعينها يخشى من الانتساب إليها أن يحسبه من جرائها أدّى في ترّة أو مكروهاً في ضئيلة قديمة أو محدثة، وأي ثأر يكون للعرب والقبائل عند من كان سقاء بالكوفة!

ثم إن التوخي يروي هذا الخبر، ويروي أيضاً أنه كان جفياً صحيح النسب. وما تصح نسبة سقاء إلى جعفي بن سعد العشيرة إلا أن يذكر نسبه متصلاً إلى جعفي، لأن سقاء يدعي الانتساب إلى جعفي لا بدّ له من أن يقيم دعواه بالدليل والبرهان: وهما النسب المتصل المعروف غير المنكسر، ما من ذلك بدّ، ولو كان ذلك، لوقع إلينا نص واحد يذكر فيه نسب المتني إلى رجل من جعفي لا يختلف في أمر نسبه. فما ظنك بمن اختلف في جدّه الأدنى والذي بعده ولم يتجاوزوا ذلك إلى متفق عليه من عمود النسب؟

أو لم يكن الذي حفز التوخي أن يسأل المتني عن نسبه فأخفاه عنه، ليحفزه أن يسأل ابن أم شيان الهاشمي، أو أبا الحسن العلوي، كيف صحت نسبة الرجل إلى جعفي، وخاصة بعد أن جحد المتني وكتب عنه ما عرفه غيره؟ ولو كان فعل، لكان نسب الرجل مشهوراً عندنا كما صارت مهنة أبيه مشهورة منقولة

وبعد، ألم يكن بين العرب جميعاً من يعرف أن الرجل جعفي القبيلة غير (ابن أم شيان



الهاشمي) و (أبي الحسن العلوي) و (أبي علي التنوخي) ؟ أَوْ قَدْ حَرَّصُوا ثَلَاثَهُمْ عَلَى أَنْ لَا يَذِيعَ نَسَبَ الرَّجُلِ إِلَى جَعْفَى ؟ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ ، فَمَا الَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَى هَذَا الْحَرْصِ ؟ وَالتَّنُوخِيُّ نَفْسُهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ سَبَبَ حَرْصِ الْمُتَنَبِّىِّ عَلَى كَيْمَانَ نَسَبِهِ إِلَّا فِي السَّنَةِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا (سنة ٣٥٤) ! أَكَانُوا ثَلَاثَهُمْ لَا يَأْمَنُونَ (أَنْ يَأْخُذَ الْمُتَنَبِّىُّ بِمُضِ الْعَرَبِ بِطَائِلَةٍ يَنْبَغُهَا وَيُنَاسِبُهَا) ؟ وَكَذَلِكَ شَهِدَ الرَّجُلُ (التنوخي) عَلَى نَفْسِهِ فِي حَدِيثِهِ بِالْتَّخْلِيطِ أَوْ الْوَضْعِ

وَلَا يَفُوتُكَ أَنَّ الْمُتَنَبِّىَّ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ كَانَ بِأَنْطَاكِيَّةِ وَاللَّاذِقِيَّةِ وَكَانَ التَّنُوخِيُّونَ يَنْزِلُونَهِمَا مِنْ قَدِيمٍ ، وَقَدْ نَبَتَ بَيْنَ صَاحِبِنَا وَبَيْنَ رِجَالٍ مِنْ تَوَخٍ هُنَاكَ نَابِتَةٌ مِنَ الْمُوْدَةِ ثُمَّ نَمَتْ وَرَبَتْ وَاهْتَرَتْ فَدَحَهُمْ وَرَثَاهُمْ وَدَفَعَ عَنْهُمْ وَرَمَى دُونَهُمْ وَأَقَامَ طَوِيلًا يَنْهَمُ مَكْرَمًا ، وَقَدْ كَانَ بَيْنَ أَصْحَابِ أَبِي الطَّيِّبِ مِنَ التَّنُوخِيِّينَ وَأَبْنَاءِ أَعْمَامِهِمْ عَدَاوَةٌ ، فَلَمَّا مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَقَ التَّنُوخِيُّ وَرَثَاهُ الْمُتَنَبِّىُّ جَرَى فِي أَنْطَاكِيَّةِ الْخَبْرَ بِأَنْ أَبْنَاءَ عَمِّهِ قَدْ شَتَمُوا بِمَوْتِهِ فَلَجَأَ هَؤُلَاءِ الشَّامَتُونَ إِلَى أَبِي الطَّيِّبِ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يَنْفِي الشَّمَاتَةَ عَنْهُمْ فَكَانَ مِمَّا قَالَ فِي ذَلِكَ

(أَبْنَاءُ عَمِّ) كُلُّ ذَنْبٍ لَأَمْرِي إِلَّا (السَّحَابَةُ) بَيْنَهُمْ مَغْفُورٌ  
طَارَ الْوَشَاةُ عَلَى صَفَاءٍ وَدَادِهِمْ وَكَذَا الذَّنَابُ عَلَى الطَّعَامِ يَطِيرُ  
ثُمَّ عَادُوا فَسَأَلُوهُ أَنْ يَزِيدَ فَكَانَ مِمَّا قَالَهُ عَلَى لِسَانِهِمْ

رَبِّي ابْنَ أَيْنَا غَيْرُ ذِي رَحِمٍ لَهُ فَبَاعَدْنَا عَنْهُ . وَنَحْنُ الْإِقَارِبُ  
وَعَرَضَ أَنَا شَامَتُونَ بِمَوْتِهِ وَإِلَّا فَزَارَتْ عَارِضِيهِ الْقَوَاضِبُ  
(أَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ يَبْنِي أَبِي لِنَجْلِ يَهُودِيٍّ - تَدْبُ الْعِقَارِبُ)

وَهَذِهِ الْعَدَاوَةُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ التَّنُوخِيِّينَ مِمَّا يَحْجِزُنَا عَنْ الثَّقَةِ بِأَقْوَالِ أَحَدٍ مِنْ تَوَخٍ (كَابِي عَلِي التَّنُوخِيِّ) مِمَّنْ يَذْكُرُ مِنْ أَمْرِ أَبِي الطَّيِّبِ شَيْئًا ، وَعَلَيْنَا أَنْ لَا نَطْمِئِنَّ إِلَى قَوْلِهِ حَتَّى تَقْطَعَنَا الْحُجَّةُ بِأَنَّهُ كَانَ مِنْ لَا يَمِيلُونَ إِلَى هَوَى ، وَلَا يُصْغَوْنَ أَفْتَدِيَتَهُمْ إِلَى بَغْضَةٍ ، فَمَا ظَنُّكَ بِأَبِي عَلِي التَّنُوخِيِّ وَهُوَ قَدْ اجْتَمَعَتِ الدَّلَائِلُ - كَمَا رَأَيْتَ - عَلَى وَهْنِ رَوَايَتِهِ ، وَاجْتِلَاطِ حَدِيثِهِ ، وَيَانِ هَوَاهُ

وَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ يَكُونَ التَّنُوخِيُّ مِنْ يَحْمِلُ لِأَبِي الطَّيِّبِ فِي صَدْرِهِ شَحْنَاءَ لَصَلَتِهِ الْمَعْرُوفَةِ بِأَبْنَاءِ عَمُّومَتِهِ ، فَتَحْمِلُهُ هَذِهِ الشَّحْنَاءُ عَلَى وَصْفِ الرَّجُلِ بِكُلِّ نَقِيصَةٍ أَوْ نَيْسَلٍ مِنْهُ بِكُلِّ سَبِيلٍ . وَاعْلَمْ أَنَّ عَلِيًّا التَّنُوخِيَّ (وَالِدَ الْمُحَسِّنِ هَذَا) كَانَ مِنْ وَلَدِ أَنْطَاكِيَّةِ وَشَبَّ بِهَا ثُمَّ رَحَلَ عَنْهَا ، فَلَعَلَّهُ رَجَلَ عَنْ أَنْطَاكِيَّةِ لِحَدَثٍ وَقَعَ بَيْنَ أَهْلِهِ وَبَيْنَ أَقَارِبِهِمْ ، وَبَقِيَ فِي صَدْرِهِ وَصَدْرِ ابْنَائِهِ حَزَازَاتٌ مُورِوثَةٌ وَأَحْقَادٌ لِبَنِي عَمِّهِ هُنَاكَ ، وَلَا عَجَبَ ، فَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْفَتْرَةُ مِنَ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ مِنْ جُلَاةٍ يُغْلَى بِالْأَحْقَادِ بَيْنَ الْإِخْوَةِ وَبَيْنَ الْأَعْمَامِ حَتَّى قَتَلَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ أَبَاهُ وَعَمَّهُ وَأَخَاهُ ، وَهُنَاكَ



عرضه ، واستباح حرماته ، وخاصة من رَقِيَّ درجات الامارة ، أو أدرك سبباً من السلطان كأصحابنا التوخيين ، ( وهم نسلُ ملوك تموخ الاقدمين )

هذا ، ولو سلمنا للتوخي رحمه الله بصحة روايته عن أبي الحسن العلوي ، وان الذي قاله عن المتني هو من لفظ أبي الحسن جملةً ليس بموضوع ولا مبتدع من عند نفسه — فعندنا في أقوال العلويين المعاصرين عن أبي الطيب سببٌ للتوقف دون التسليم لهم هكذا ، لا نجادل<sup>(١)</sup> ...  
ففي ديوان أبي الطيب معنى من المعاني ، وإخاله سرّاً من الاسرار ، لعله أن يكون يوماً مفتاحاً تنسني له الابواب المغلقة في نسب الرجل ، ومعرفة أصله الذي يصله بنسب غير مجهول ولا موضوع ، فعلياً أن نستوفي هنا بعض الرأي الذي نذهب اليه وتقيده على مكث

نشأ صاحبنا بالكوفة ، وهي إذ ذاك دارُ العلويين ، ومعقل الاثمة منهم والتابيهين من رجالهم وشجعانهم ، فكان حقيقاً بمثله ممن ينال بالشعر ويؤمل منه أن يمدح من تُرجى عنده الفواضل من كبار العلويين وأجوادهم ، وهم أهل بلده الذين في ظاههم نشأ ، وبين ربوعهم نما ، ومن علومهم<sup>(٢)</sup> نهل واغترف ، واستقى وأفاض ( على الناس من غيرهم ) مما استقى وما اغترف

فعجباً لأبي الطيب ، أيما عجب ، أن لا يكون مدح من العلويين إلا رجائين ما امتدَّ به العمر وقد يسن أبو الطيب في إحدى قصيدتيه ، وينت الرواية في الاخرى سببَ ذلك المدح ... قال العكبري : وكان محمد بن عبيد الله — العلويُّ المعروف بالمشطَب — هذا الممدوح قد واقع قوماً من العرب بظاهر الكوفة ، وهو شابٌ دون العشرين سنة فقتل منهم جماعة ، وجرح في وجهه فكسسته الضربة حسناً . . . . فهذا ما سمعته من جماعة من مشيخة بلدنا »

فدحه المتني بقصيدته<sup>(٣)</sup> التي أولها

أهلاً بدارِ سباكْ أعيدُها أبعدُ ما بان عنك خُرْدُها

فذكر فيها أن ناقته حملته الى ( ابن عبيد الله ) هذا الممدوح

(١) وقبل فلا تنس — ما كتبنا لك — أن العصر الذي كان أبو الطيب أحد رجاله ، كان من بين العصور العربية عصرًا خبيث النفس ، فاسد الطوية ، قد طغت فيه الدسائس ولعبت به الالهواء واستجرت الاحقاد بين الرجل وأخيه ، والوالد وبنيه ، والوحيد وعشيرته التي تؤويه ، وفصل هذا المعنى ، وخذ به واعرضه في اثناء كلامنا فأ في كل موضع يمكن الإشارة ، ولا عند كل مفرق من القول يجب التعليق والتفصيل ، وما يفوز القارئ حين يفوز الابما يظن اليه مما يغفل عنه غيره ويتجاوزوه سواء

(٢) اعلم كما سترى بعد ان المتني تعلم في كتاب للعلويين

(٣) الرأي عندنا أن المتني قل هذه القصيدة بعد مرجعه الى الكوفة من مقامه بالبادية سنة او اتل وقبل خروجه الى بادية كلب والاذنية حيث سجن في دعوى النوبة — كما يزعمون ، وقد كانت سنة حين قالها على الأرجح عندنا خمس عشرة سنة اي سنة ٣١٨ هـ واعلم اننا انما نجهد في تاريخ ما لم يؤرخ من تصائد المتني — وقد وجدنا في ذلك المشقة وما فوقها — لنترجم للرجل على بيئة وهدى وسجدة فائدة ذلك في كثير مما يمر بك ان شاء الله



إلى فتى يُصدرُ الرماحَ وقد  
لهُ أياذٍ إليَّ (سألفه) أعدُّ منها ولا أعدُّها  
ثم طفق يمدحه إلى أن قال

وكم وكم نعمةٌ مجاةً ربَّيتها كان منك مولدها  
وكم وكم حاجةٌ سمحت بها أقرب مني إليَّ موعدها  
ومكرُ مات مشت على قدم السبرِّ إلى منزلي تردُّها  
أقرُّ جلدي بها عليَّ فلا أقدرُ حتى المات أجدها  
فقد بها لا عدمتها أبداً خيرُ صلات الكريم أعودها

والمتنبى كما ستعلم بعد كان — أول أمره وهو صبي — «يختاف إلى كتَّاب فيه أولاد أشرف الكوفة» من العلويين فكان (محمد بن عبيد الله العلوي) هذا كان من لِدَات أبي الطيب أو أسنانه<sup>(١)</sup> الذين كانوا معه في المكتب، وأخذت بينهما المودة ثم، ولعله كان يُفضل على المتنبى ويتعهده ويكرمه فلذلك قال «لهُ أياذٍ إليَّ سألفه». فأكدت هذه المودة القديمة سبب المدح حين عاد من رحلته في البادية يتسقطُ اللغةُ وينتجع الرزق. وأرجح الظن أن المتنبى حين عاد إلى الكوفة، عاد إليه صاحبه العلوي بالافضال والتعهد، فلما أصيب بالجراحة في حربه مدحه المتنبى لصداقته ومودته، ولما أسدى إليه من معروف، وما اتخذ عنده من صنائع

أما آخر الرجاين العلويين ممن مدح، فهو أبو القاسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوي لم يمدحه المتنبى ابتداءً، كما مدح غيره. وفي ما نرويه لك من خبره عجب

كان الأمير أبو محمد الحسن بن عبيد الله طغج وهو بالرملة لم يزل يرسل أبا الطيب وهو بطبرية سنة ٣٣٦، ويعزم عليه في القدوم عليه فلما كثر ذلك منه أجابه ومدحه وأقام عنده مُدَيَّدة، فلم يزل أبو محمد (الحسن بن عبيد الله بن طغج) — يسألُ أبا الطيب أن يخصَّ أبا القاسم (طاهراً) العلوي بقصيدة من شعره (وأنه قد اشتهى ذلك) !! وأبو الطيب يقول: «ما قصدتُ إلا الأمير (ولا أمدح سواه) !!» فقال له أبو محمد: «عزمت عليك أن أسألك قصيدة تنظيها في فاجعلها فيه» (تأمل هذا) وضمن له عنده مئآت من الدنانير، فأجاب

قال محمد بن القاسم الصوفي: «فسرتُ أنا والمطايي برسالة طاهر إلى أبي الطيب، فركب معنا حتى دخلنا عليه، وعنده جماعة من الأشراف، فلما أقبل أبو الطيب أنزل طاهر عن سريره، والتقاء مسلماً عليه، ثم أخذ بيده فأجلسه في المرتبة التي كان فيها، وجلس هو بين يديه. فتحدث معه طويلاً ثم انشد أبو الطيب نفاع عليه للوقت خِلماً نفيسة»

(١) يقول فلان سن فلان أي مثله في سنه والجمع اسنان



قال علي بن القاسم الكاتب : « كنت حاضراً هذا المجلس ، فראيتُ ولا سمعتُ ان شاعراً  
جلس المدح بين يديه مستمعاً لمديحه غير ابي الطيب ، فاني رأيت هذا الامير قد اجلسه في  
مجلسه ، وجلس بين يديه ، فأشده

اعيدوا صباحي فهو عند الكواعب وردوا رقادى فهو لحظ الحبايب (١)  
وفي هذه القصيدة التي يمدح بها رجلاً علوياً سامي القدر يقول

« كثيرُ حياة المرء - مثل قليلها - يزول ، وباقى عمره مثل ذاهب  
إليك ، . . فاني لستُ ممن إذا اتقى عِراضَ الافاعي نامَ فوق العقارب  
اتاني وعيدُ ( الادعاء ) وانهم اعدوا لي السودان في كفر عاقب  
ولو صدقوا في جدِّهم لحذرتهم فهل فيَّ وحدي قولهم غير كاذب  
إليَّ لعمرى قصد كل عجيبة كاني عجيب في عيون العجائب  
بأي بلادٍ لم اجرَّ ذؤابتي ؟ وأي مكان لم تطاه ركائبي ؟ ! »

ونفسُ الرجل في القصيدة يدلُّ على انه كان قد لقي كيداً في سنته تلك من هؤلاء القوم  
الادعاء ( وهم الذين يدعون الشرف بنسبتهم الى علي رضي الله عنه ) . وبين مما ورد في شعر  
ابي الطيب انه حين ازمع الرحيل من طبرية سنة ٣٣٦ ارصد له هؤلاء العلويون ( الادعاء ) قوماً  
من السودان عبيدهم في طريقه بكفر عاقب (٢) ليقتلوه فلم يظفروا بما أملاوا ، واحفظ ذلك أبا  
الطيب ، فلما دخل الرملة كان - على عادته كما سترى ذلك - ثائراً لا يفتأ يذكر ، ما يختلج  
في ضميره لا يراعي ولا يحابي ولا يتهيب ، ومن آثار هذه الحفيظة قوله في هذه القصيدة أيضاً  
« إذا عداوي لم يكن مثل طاهر فما هو إلا حجة للنواصب » (٣)

ثم أجبرى هذا الامر مجرى المثل كمادته فقال

إذا لم تكن نفس النسيب كأصله فماذا الذي تُغني كرام المناصب !!  
وما قربت أشباه قوم أباعد ولا بعدت أشباه قوم أقارب

والبيت الاخير هو حجته في نفي العلوية عنهم وإثبات أنهم أدعياء لا يمتنون إلى الشرف بسبب

(١) لا بد لنا هنا من التنبيه الى خطأ بليغ وقع فيه أحد كبار ادبائنا في كتابه عن المتنبى اذ زعم ان المتنبى  
قال هاتين القصيدتين ( في ابن طنج والعلوي ) بعد قراق سيف الدولة وقبل اتصاله بكافور ، والصحيح  
انهما قيلتا سنة ٣٣٦ وهو بالرملة ومن ثم في تلك السنة رحل الى انطاكية قاصداً أبا العشائر الحمداني الذي وصل  
اسبابه بسيف الدولة سنة ٣٣٧ وسترى ذلك في موضعه من مقالنا . هذا على ان اسلوب الرجل في هاتين  
القصيدتين ونفسه في الشعر ، غيره فيما قاله بعد فراقه لسيف الدولة ، وذلك بين لمن تدبر ادنى تدبر

(٢) كفر عاقب : قرية على بحيرة طبرية من اعمال الاردن

(٣) النواصب هم الخوارج الذين نصبوا العداوة لاميير المؤمنين علي كرم الله وجهه واحدهم ناصبي



ولا صلة . فلو كانوا علويين — لاجرم — لتشابهت الاخلاق في الكرم والسمو ، ولكانوا كهذا العلوي الذي يمدحه ( طاهر بن الحسين )

ليس هذا فحسب ، فإن أبا الطيب يقول للامير أبي محمد ابن طنج في مديحه  
 كريمٌ نفضتُ الناسَ لَمَّا بَلَغَتْهُ      كأنهم ما جفَّ من زادِ قادمٍ  
 وكاد سروري لا يفي بندايتي      على تركه في عمري المتقادم  
 وفارقتُ شرَّ الارض أهلاً وتربّةً      بها ( عداوي ) جدّه غير هاشمٍ  
 ( وشرُّ الارض ) هي طبرية التي كان بها قبل مقدمه إلى الرملة

أو ما ترى بعد ان في تجنب المتنبى مدح العلويين ورجلهم وأئمتهم في اول امره وهو بالكوفة ، إلا واحداً كان رفيق صباح وأحد اسنانه ، ومن خير المفضلين عليه والمتعدي به في محنته وفقره — ثم في طلب الامير منه ان يمدح طاهراً العلوي فيمتنع ويستصعي عليه حتى يكثُر عليه الامير ويقول « أنا اشتي ذلك » فيقول أبو الطيب « ما قصدت إلا الامير ولا أمدح سواه » فلا يزال به يحتال عليه حتى يستخرج من وعده — ثم في اكرام العلوي له هذا الاكرام البالغ بنزوله له وإجلالته في مرتبته وعلى سريرته ، ولا يتورع المتنبى إذ ذاك ان يذكر بعض العلويين بالذمة والتعريض ونفي النسبة الكريمة عنهم — ألا ترى ان هناك سرّاً من الحفيظة ينه وين العلويين الذين نشأ بينهم وفي ديارهم ، ودرس في مكتبهم ، بين أولادهم هذا وسيأتي طرف من ذلك <sup>(١)</sup> بعد ، فترى ان أبا الطيب حين خرج في اول أمره باللاذقية كان الذي عذبه وسجنه رجل هاشمي علوي هو ( ابن علي الهاشمي ) وكان بكوتكين فجعل في عنق صاحبنا ورجليه خشبتين من الصفصاف فقال له :

زعم المقيم بكوتكين بأنه      من آل هاشم بن عبد مناف  
 فأجبت : مذ صرت من ابنائهم      صارت قيسودهم من الصفصاف  
 يسخر منه ، ومما أخذه به

أقول شككنا — من اجل هذا — في صحة ما يقوله العلويون عن أبي الطيب ، وتوقفنا دون الاخذ بأقوالهم في ترجمة الرجل — نكون قد اتينا امرأ كبيراً لا يقرنا احد عليه ؟ لا ادري رأيت قبل ان الذي قال ان والد المتنبى هو عبدان السقا — انما هو أبو علي المحسن التنوخي وهو من شيوخ العراق واصحاب الوزير المهلبى فزد على هذا ايضاً ان المتنبى حين دخل العراق بعد فراق كافور ، أعرض عن المهلبى ، ولم يمدحه ، ولم يبال به فأغرى به الشعراء وغيرهم من الكتاب والادباء . وكان شعراء العراق خاصة يخافون أن ينال ابو الطيب في العراق ما نال

(١) سيأتي في خبر نبوته أيضاً بعد انهم زعموا ان أبا الطيب ادعى أنه علوي حسني ثم ادعى النبوة ثم عاد يدعي أنه علوي وسترى بطلان ذلك ان شاء الله وتأويله عندنا على الرأي والنظر لا الرواية



في الشام فيذهب بأرزاقهم من المدح ، ويصف بذكرهم عند الملوك والامراء كما فعل بمن هم أعلى منهم طبقة من شعراء الشام كابي فراس الحمداني ، والسري والرفاء ، وابي العباس النامي ، وابي الفرج البغواء وخلق كثير من الشعراء . وقد هجم على ابي الطيب ووقع في عرضه شعراء العراق حين اغراهم الوزير المهلب به حتى قالوا فيه

أي فضل لشاعر يطالب الفضل من الناس بكرة وعشياً  
عاش حيناً يبيع بالكوفة الماء وحيناً يبيع ماء الحيا

فزعوا انه هو هو الذي كان سقاء لا أباه ، وهاج هذا القول الحسن بن لنكك شاعر البصرة وكان كما كان الخالديان ( حاسداً له طاعناً عليه هاجياً إياه ، زاعماً أن أباه كان يسقي الماء بالكوفة ) فقال ابن لنكك شتاتة حين رأى وقعة شعراء بغداد في الرجل

قولوا لاهل زمان لا خلاق لهم ضلوا عن الرشيد من جهل به وعموا  
اعطيت المتنبى فوق منيته فزوجوه برغم امهاتكم  
لكن ( بغداد ) جاد الغيث ساكنها نعالهم في قفا السقاء تزدحم  
وقال ايضاً

« متنيكم ابن سقاء كوفاني .....

ونضح — بعد ذلك — إناؤه ابن لنكك بما فيه

فذكر المتنبى بالسوء وزعمهم بأن أباه كان سقاء من ( مصنوعات ) العراق وتجارته التي كان المهلب ( وزيراً ) لها إذ ذاك على ما ترجح ، فكم اتجر صاحبنا المهلب بالاكاذيب في أيام وزارته كما روت التواريخ عنه وعن أيام اصحابه . والا فكيف ( يصح في الاذهان ) ان يقف ابن السقاء هذا المتنبى كما زعموا في كل المواطن موقف المتكبر الذي لا يرى احداً فوقه ولا احداً مثله حتى سيف الدولة ابن حمدان ولي نعمته ، وصاحبه ، ومكرمه على حين مساءة من الزمن ؟ يا عجباً !! ألم يكن في مجلس سيف الدولة من يعرف ذلك يوم غضب عليه ، وترك الشعراء يقعون فيه ، ويتصدى له ابو فراس وهو ينشد فيجبهه ويقطعه عن الانشاد . يقول المتنبى في هذا المجلس

سيعلم الجمع ممن ضم مجاسنا بأني خير من تسعى به قدم  
أنا الذي نظرا لا عني الى ادبي وأسمنت كلماتي من به صم

فانظر كيف فضل نفسه على من ضم مجلس سيف الدولة وفيهم سيف الدولة نفسه ، ولم يزد ابو فراس — وهو قريع المتنبى في الشعر وعدوه لمنزلته عند سيف الدولة — على ان قال له فيما قال : « ومن انت يادعي كندة » !! وفي قوله « دعي كندة » نظر . فما نظن الرجل ادعى لكندة واصحابنا يزعمون انه كان يخفى نسبه ، وكان اولى بأبي فراس ، وواقع في التنبى



واوضح له في تيهه وتعاليه على الامراء والملوك وكبار الشعراء كابي فراس نفسه — ان يقول له إذ ذاك «من انت يا ابن سقاء كوفاني» .. لو انه كان علم ما علمه (التوخي) واصحابه وشعراء العراق وشاعر البصرة الحسن بن لنكك (الذين كانوا بالعراق على صلة (ببلاط) الوزير المهلبى وزير معز الدولة احمد بن بويه (الديلمي) عدو بني حمدان وفي رأسهم سيف الدولة (السدوي العربي) أتري شعراء الشام الذين ذهب برزقهم وذكرهم ، ولم يعفهم من ذمهم لهم في شعره ، كانوا لا يتقصون خبر الرجل وقد استفحل أمره بينهم فيعلمون انه كان (ابن سقاء) فيلمزونه بذلك ويستخفون به ، او يعثون به ويتنادرون عليه ؟! وهذا ابن السقاء يتحداهم ويتحدي سيف الدولة نفسه ، وأبو فراس قريه وعدوه في المجلس إذ يقول  
 كَمْ تَطَابَرُونَ لَنَا عِيًّا فَيُعْجِزُكُمْ وَيُكْرِهُهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمُ  
 مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالنَّقْصَانَ مِنْ شَرَفِي أَنَا الثَّرِيَاءُ وَذَانِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ  
 أَنَّهُمْ لِيُطْلَبُونَ لَهُ عِيًّا فَيُعْجِزُهُمُ الطَّلَبُ وَيَكُونُ مُتَعَالِمًا فِي الْعِرَاقِ بَعْدَ أَنْ الرَّجُلُ ابْنُ سِقَاءٍ  
 كَانَ يَسْقِي النَّاسَ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ بِالْكُوفَةِ !!

اقرأ ديوان الرجل كله ، تجده تياها يتسامى بنفسه على كل ممدوح ، ويتعالى على كل اهل عصره ، ولا يفتأ يوسع الشعراء من سبخريته وهو قد قطع أرزاقهم وألوى بهم وبذكرهم ، وكلامه كلام الواثق الذي لا يدخله الشك ، ولا يروعه الكذب ، ولا يردّه الافتراء ، فلو كان في نسب الرجل (اذ ذاك) مطعن لطاعن ، او في اصله تهمة لمتهم لتردد في قوله تردد الحيران ولاجنب الفخر حيث يكثر الجسد والمهمة والتافيق والدس عند الامراء ومن اليهم من رجال الدولة . ولو كان في نسب الرجل شيء ، لسمعت عن كل موضع من نخره في شعره نادرة يتناقها الادباء وغمرة قد غمره بها انداده وأعداؤه من الشعراء . ألم يسمع هؤلاء إلى قوله في نخره لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسى فخرت لا بمجدودي وبهم نخر كل من نطق الضاد وعوذ الجاني وغوث الطريد فهذا من اكبر الفخر فما من قوم يفخر بهم (كل من نطق الضاد) غير أبناء علي رضي الله عنه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويقول يرثي جدته وقد ماتت بالكوفة ، وكان صاحبنا إذ ذاك قريباً من الكوفة حيث نشأ وعرف

«وإني لمن قوم كان نفوسهم بها أنف أن تسكن اللحم والعظم»  
 والعجب أن لا يصلنا عن هذا وغيره خبر واحد يطعن فيه الرجل بأنه ابن سقاء وما يكون لابن سقاء أن يقول مثل هذا ، ويكون كل ما وصلنا من خبر أبيه إنما وصل في خبر دخوله بغداد في آخر عمره ، ومن رجال بينهم وبين الوزير المهلبى آصرة مودة وتوادم ، أو شعراء أسدّهم هذا الوزير المهلبى وأغرامهم بالرجل ، حتى وقعوا في عرضه ، وولغوا في شرف نسبه ، وجودة قريضه ويانه



فَوَا أَسْفَا أَلَا أَكِبَّ مَقْبَلًا  
لرَأْسِكَ وَالصَّدْرَ الَّذِي أَمْلَأَ حَزْمًا  
وَأَلَا أَلَا فِي رُوحِكَ الطَّيِّبِ الَّذِي  
كَأَنَّ ذِكْرَ الْمُسْكِ كَانَ لَهُ جِسْمًا  
ولو لم تكني بنت أكرمٍ والدٍ  
لكان أباك الضَّخْمَ كُونُكَ لِي أَمَّا

هما ، ولا غيرهما ، . . . ابوه الذي كان سقاء — زعموا — يستقي على بعير له بالكوفة ،  
وكان جعفيًا صحيح النسب . . . وجدته ، وكانت همدانية صحيحة النسب ( لا يشكُّ فيها ) ،  
وكانت من صالحاء النساء الكوفيات . لها ولا غيرها . . . ، أصله وفرعه ، وقديمه وحديثه ،  
وعشيرته وأهله ، وعصبته وقومه ، والقائمون بأمره في أول حياته لا عم ولا خال !!  
أما أمه فقد جهدت أن أجدها خبراً واحداً ، أو ذكراً في كلام ، فما وصلت ، أما  
ما يزعم بعض الكتاب والادباء من أنه أراد أمه بقوله وهو في السجن وقد كتب به إلى الوالي  
بيدي أيها الأمير الأريب لا شيء إلا لاني غريب  
أو (لام) — لها إذا ذكرتني — دم قلب بدمع عين يذوب  
فليس عندنا بشيء فإنه كان يسمى جدته ( أمه ) وقد جاء ذلك في قصيدته التي رثاها بها فقال  
ولو لم تكني بنت أكرم والدٍ لكان أباك الضَّخْمَ كُونُكَ لِي أَمَّا  
ومن قرأ قصيدته هذه وتديرها وقع في قلبه اليقين أنه لم تعطفه عاطفة إلى أحد من أهله  
( ولا نستثنى أباه السقاء !! ) إلا أن تكون هذه الجدة الكريمة التي حملته صغيراً وشكلته شاباً  
بفراقه لها ، ثم ماتت به سروراً حين جاءها كتابه وهو متوجه إلى العراق ( ولم يمكنه دخول  
الكوفة على حالته تلك !! ) أو كما قالوا . . . وفي قصيدته هذه إشارة دقيقة بليغة مقدرة ،  
يشير بها إلى أن أمه قد ماتت وهو صغير فكفاته جدته العجوز رحمها الله وذلك في قوله  
« طابت لها حظاً ففانت وفاتي (وقد رضيتني—لورضيت بها—قسماً<sup>(١)</sup>)

(١) القسم بالكسر النصب ، وقد مضى الشراح من اصحابنا ولم ينظروا في قوله ( لو رضيت ) فاعل ان  
( لو ) في هذا البيت إنما تفيد الاسف والحسرة وما وجه من وجوه التمني والبيت موضع آخر من مقالنا هذا تتولى  
فيه شرحه . فقد افسده الشراح



فتدبر الشطر الأخير فضل تدبر تجد المعنى الذي اردناه من ان امه ماتت وهو صغير فكان  
 مما (قُسم) جدته ان تحضنه فرضيت بذلك رضى خالصاً وأحبته حباً عظيماً يقول في الدلالة عليه  
 « لك الله من مفجوعة ( بحبيها ) قليلة شوق غير ماحقة ( وصا )

وفي تسميته جدته ( أمّا ) بعض الغنى في الحجة المرجحة لقولنا هذا  
 شهد التنوخي او ابو الحسن العلوي — او من نشاء — جدة المتنبى انها كانت من « صلحاء  
 النساء الكوفيات » ولعل هذا امر لا ريب فيه — وان لم يكن قد وقع لنا الخبر بذلك — فانها هي  
 التي تولت تنشئة المتنبى من صغره — ولقد تعلم وقد شهد له اكثر اهل عصره حتى أعداؤه —  
 انه كان كما قال علي بن حمزة البصري ( راوية المتنبى — كما ساء اهل المغرب )<sup>(١)</sup>  
 « بلوت من ابي الطيب ثلاث خلال محمودة ، وتلك أنه ما كذب ولا زنى ولا لاط » وقال  
 ابن فورجه « لم يكن فيه ما يشينه ويسقطه الا بحله وشرهه على المال »

وقد كان أثر جدته ينأ في اول شعره كما سترى ، وقد ذكر المتنبى خالقه في ابيات له  
 منها قوله : وترى المروّة والفتوة والابوّة في كلّ مليحة ضرّاًتها  
 هنّ الثلاث المانعاتي لذّتي في خلوتي لالخوف من تبعاتها  
 فلا شك أن أكثر ذلك من أثر جدته ، وزكاة نفسها ، وصلاح قلبها . وقد وصفها المتنبى  
 فجمع ما شاء ودلّ عليها ، وأبلغ ، صادقاً فيما قال

فواأسفاً ألاّ أكبّ مقبلاً لرأسك والصدر اللّذا ملئنا حزماً  
 وألاّ ألقى روحك الطيّب الذي كأنّ ذكي المسك كان له حبساً

ويبدو لنا ان هذه العجوز الحازمة التي ينبت للمتنبى أمره ومهدت له طريقه ، كانت مع  
 حزمها وهدايا وبصيرتها ، رقيقة القلب تكاد تتخلع من نفسها اذا أعطت عواطفها قيادها ومع  
 ذلك فقد كانت تحزم أمرها وتقسو على نفسها حتى يخيل لمن لم يخبرها أنها لا تعطي المقادة  
 لشيء الا للعقل والتدبير المحكم ، وفي الذي رووا من خبر وفاتها دليل بين على ذلك فانها  
 كتبت تشكو الى ولدها وحفيدها شوقها ولوعها وطول غيبتها عنها فلما توجه الى العراق ( من  
 الشام ) « ولم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك ! » انحدر الى بغداد وكتب اليها كتاباً يسألها  
 موافاته ببغداد فلما أخذت كتابه ( قبلته وحتّ لوقتها وغلبها الفرح فقتلها ) رحمة الله عليها .  
 وقد ورث المتنبى عنها هذا فقد كان مع ما يبدو من شدته وصولته ورجولته ، مهالكا لا يستمسك  
 فيما يمس عاطفته ويأمّ بقباه ، وفي رثاء جدته بلاغ لك ان تدبرته ، وسترى ذلك ايضاً في آخر  
 ما نكتبه عن أمره مع سيف الدولة ، وعن أمره مع النساء او مع المرأة التي أحبها فهلك وأهلكته

(١) كان من أئمة العربية ، مات في رمضان سنة ٣٧٥ بصقلية ، ولما دخل المتنبى بغداد كان بها علي بن  
 حمزة فنبذ المتنبى في داره ، وترأ عليه شعره ، وتدركنا بقية قوله في المتنبى لموضعه من المقال ان شاء الله



لا بقومي شَرَفْتُ بل شَرَفُوا بي  
وبنفسني نَحَرْتُ لا بجدودي ...  
وبهم نَحَرَ كُلٌّ مِنْ نَطْقِ الضَّا  
دَ وَعَوِذُ الْجَانِي ، وَعَوِثُ الطَّرِيدِ

\*\*\*

وإني لمن قوم كَأَنَّ نفوسهم  
بها اتقُ أنْ تَسْكُنَ اللحمَ والعَظْمَ

ندعُ الآنَ امر جدته إلى حينه — ان شاء الله — في كتابنا عن المتنبي ، ونبدأ برأي لم نجد له ما يؤيده من نصوص التاريخ ، ولكن .....  
روى الاصفهاني أن المتنبي ، وهو ابن السقاء !! ، « اختاف الى كتاب فيه اولاد اشرف الكوفة ، فكان يتعلم دروس ( العلوية ) <sup>(١)</sup> شعراً ولغةً واعراباً ، فنشأ في خير حاضرة »  
وتأويل هذا ، ان العلويين — وهم ( الاشراف ) — كما يتضح من هذا النص كانت لهم مكاتب خاصة يتلقى فيها اولادهم مبادئ العلوم ، ولا شك ان العلويين كانت — ولا تزال — لهم مدارس خاصة بهم تقوم اصولها في التعليم على اصل اعتقادهم ، وقد مرَّ بي في قراءتي كثير من ذلك لا اذكر موضعه الآن وانما اذكر ان الشريف الرضي كانت له مدرسة سماها ( دارالعلم ) . ونحن وإن لم نك نعلم نظام هذه المدارس العلوية الا أنه يتبادر الى الفهم ان هذه الكتابيب والمدارس كان لا يدخلها الا ابناء العلويين ، ونص الاصفهاني يقول بذلك ، فدخل ( احمد ابن عبدان السقاء ) — الذي هو المتنبي — بين ابناء العلويين في كتاب لهم غريب عجيب ، فيجب هنا ان نفهم من هذا الشاهد ان بين جدة المتنبي وبين العلويين سبباً موصولاً قوياً هو الذي شرح صدورهم وارضاهم ان يدخلوا بين ابناءهم غلاماً كان ابوه سقياً في بلدهم

هذه واحدة من علاقة ابي الطيب وجدته بالعلويين ، ثم ان ابا الطيب فارق جدته ورحل لغير سبب معلوم الى البادية ثم عاد الى الكوفة شاعراً قوياً لا ذا لسان فلم يمدح الا « محمد بن عبيد الله المشطب العلوي » — الذي قدمنا ذكره وذكر السبب في مدحه — ولم يمدح احداً من العلويين

(١) صواب هذه العبارة « وكان يتعلم دروس العلوية ، وحذق العربية شعراً ولغة واعراباً »



قاطبة على كثرتهم ، وثرائهم وعلو مرتبتهم ، وخلوص عريتهم<sup>(٢)</sup> في عصر اختلطت فيه الامور وصارت الشوكة الى الاعاجم

فلما خرج صاحبنا الى الشام ذكروا فيما ذكروا من (امر الفضول الذي نُزِبَ به يعنون النبوة) انه ادعى العلوية مرتين — اي ادعى انه علوي صليبة وكان الذي قبض عليه هناك وعذبه وسجنه (ابن علي الهاشمي) العلوي ، وكان لاذ ذاك باللاذقية سنة نيف وعشرين وثلاثمائة . واللاذقية يومئذ دار من ديار العلويين يربض فيها رؤوس من الدعاة العلويين

ولما كان أبو الطيب بطبرية سنة ٣٣٦ وأراد الخروج إلى الرملة أرصد له العلويون قوماً من عبيدهم السودان ليقتلوه ، ولكنه فاتهم بحياته ودهائه ، ودخل الرملة يمدح الامير أبو محمد الحسن بن عبد الله بن طنج فكان مما قال في قصيدته

وفارقت شر الأرض أهلاً وتربة بها (علوي) جدّه غير هاشم

ثم كان ماروينا لك من امتاعه عن مدح العلوي (أبي القاسم طاهر بن الحسين) ولم يمدحه إلا بعد إلحاح الامير وتدنيه في السؤال منه وكان مما قاله أبو الطيب في هذا المدح

أتاني وعيد (الادعاء) وأنهم أعدوا لي السودان في كفر عاقب  
ولو صدقوا في جدّهم لحذرهم فهل في وحدي قولهم غير كاذب ؟

ثم انتزع من ذلك أمثالا في النسبة إلى العلوية المكرمة فقال

« إذا لم تكن نفس النسيب كأصله فماذا الذي تمنني كرام المناصب

وما قربت أشباه قوم أباعد ولا بعدت أشباه قوم أقارب

إذا (علوي) لم يكن مثل طاهر فما هو إلا حجة للنواصب »

فلما دعت جدته إلى العراق أن زورها قصدها ، والنص الذي ورد في ذلك هو هذا « فتوجه نحو العراق ولم يمكنه دخول الكوفة (على حالته تلك) فالتجدر إلى بغداد وكانت جدته (قد يئست منه) فكتب اليها كتاباً يسألها المسير اليه . . . » وهو نص غريب كما ترى وليت شعري وشعرك ما الذي أرادوا بقولهم (لم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك) ، وهو قد أتاها قاصداً دخولها ، ورؤية جدته التي تحبه ويحبها ، ويقطع صاحبنا الأرض من أقصى الشام إلى أسفل العراق ودخول الكوفة همه ، ثم يمتنع من دخولها لغير سبب مذكور أو معقول ، إذن فلا مناص من القول بأنه قد منع من دخول الكوفة وهذا هو الوجه الآخر لتأويل هذا النص الغريب فإن صح أيضاً ما أسنده التتوخي (وذلك ما أوردناه في أول كلامنا) إلى أبي الحسن وابن أم شيبان (العلويين الكوفيين) . وان ذلك من كلامهما كثرت الأدلة التي توجه الحدس

(٢) والمتني كما تعلم كان من أكثر أهل عصره تمجيداً للعريّة وتعصباً لها



والظن الى وجهه بيمينه وذلك ان بين المتنبى والعلويين سبباً مجهولاً حملهم اول اول الى اكرامه بدخوله بين ابناءهم في كسائبهم بالكوفة . ثم حملهم بعد على التبة المعقودة للفتك به في الشام، ثم منعه من دخول الكوفة ليرى جدته العجوز التي ارسلت اليه تشكو شوقها وطول غيبته عنها . وزيدك في هذا يقيناً وعليه اعتماداً رثاء المتنبى لجدته ففيه لطائف من الاشارة نكتفي بذكر البين منها هنا ثم نعود اليها بعد قليل . يقول المتنبى :

«هينى (أخذت الثأر فيك من العدى) فكيف بأخذ الثأر فيك من الحمى»

ثم يقول :

«لئن لذ يوم (الشأتين) يومها لقد ولدت مني لأفهم رغما»  
فقد أثبت ابو الطيب أن لجدته ثم له أعداء كان همهم كله او اكثره ان يأخذ منهم (ثأرها) وثأره ، وان هؤلاء الاعداء قد شتموا بموتها يوم مات ، فهذه الجدة الصالحة العجوز قد اتخذت لنفسها اعداء يرضون انفسهم بالشامة ، وهؤلاء الاعداء — ولا بد — كانوا من الكوفة والارجح انهم كانوا من العلويين لما رايت قبل من الصلة او العداوة القائمة بينهم وبين ابي الطيب المتنبى وأنا لا أرى بأساً من ترجيح الظن بأن المتنبى كان من ابناء العلويين فان هذا يفسر كل غموض في حياة الرجل ، وفيما روي عن نسبه من المفقات ، وحسبي هذا ان أمر بك مرأ على مواضع بعينها لترى رأيك — وفقك الله — فيما اردنا من القول به فان رأيت حجتنا ساقطة فأسقطها ولا تؤاخذنا بما ظلمنا ، فان رجحت ما نقول به . . . فان تدعو الناس لا بأثم أقسط عند الله ووضع القضية عندنا هو هذا :

تزوج رجل من العلويين — ولا جرم ان يكون من كبارهم — بنت جدة المتنبى فحمت منه ووضعت احمد بن الحسين (وهذا الحسين غير عبدان السقاء) ، ولا امر ما أريد هذا الرجل على طلاق امرأته وفراقها، وحمله العلويون على ذلك ، ففارقها وطلقها ، فرجعت الى أمها بجنيدها او طفلها ، وحزنت حزناً أهلكها فاستأها الموت وذهب بها، وبقي الطفل فكفأته جدته وتعهدته وقامت بأمره ، ودلته على الطريق بعد ان صرحت له بحقيقة أمره ، وصحيح نسبته ، وكان من حزمها ان حذرت الفتى عواقب التصريح بأمر نسبه وأخذت عليه الموائيق والعهود ، بحبها له وحبها لها ، وأنه ان فعل كان في ذلك هلاكها وهلاكه فبقي على ذلك متمسكاً حتى كان من أمره ما كان من ادعائه العلوية بالشام فقبض عليه فاضطر الى الاخلاص والتسليم وحرص على ان يطيع امر جدته بعد ان علم حزمها وصواب رأيها ، واخلاصها له المشورة ومحضها له النصيحة وهذا الوضع لقضية المتنبى هو الذي يفسر لك طول تكتم المتنبى على نسبه واخفائه جهده من اصحاب الالسة المتثقلة بين الرجال ، ويفسر ايضاً مخرج قصة (ايه السقاء) وحرصهم على



حبكها ، والتقديم لها بلطف القول ، وحسن العبارة كما رأيت في اول كلامنا ( ارجع الى نقدنا لكلام التنوخي ) ، ويأتيك بالدليل اليين في امر دخوله كتاب اشراف العلويين بالكوفة وتعلمه دروس العلوية ويبين ايضاً عن السبب الذي من اجله سكت المتنبى عن مدح العلويين وعظائمهم وأصحاب الجاه والسلطان منهم وهو بالكوفة ، ثم تأبّيه على مدح ابي القاسم العلوي صاحب الامير ابن طغج حين كان بالرملة ، ثم ما كان قبل من ارصاد العلويين له عبيدهم لقتله بكفر عاقب وكفالك هذا فانا سنبنى بقية كلامنا عن المتنبى من اول امره على هذا الاساس او ما يقرب منه وبحسبك هنا ان نفسرك بعض المعاني في رثاء جدته على هذا الاصل

« ورد على ابي الطيب كتاب من جدته لامة تشكو شوقها اليه وطول غيبته عنها ، فتوجه نحو العراق ولم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك — فاحذر الى بغداد ، وكانت جدته قد يئست منه فكتب اليها كتاباً يسألها المسير اليه فقبلت كتابه وحملت لوقتها سروراً به ، وغلب الفرح على قلبها فقالتها »

وتأويل هذه العبارة كلها : — انه حين ورد عليه كتاب جدته ازمع الرحيل من الشام الى الكوفة لياق بها جدته فبلغ الخبر مشيخة العلويين فذهب بعضهم الى جدته ، وأبان لها سوء رأيها ونهوها ان يكون لقاء ولدها من همها ، وأخبروها انهم قد اجمعوا رأيهم على منعه من دخول الكوفة بعد ما كان من امره وهو بالشام من اظهاره العلوية ، ورغبته في تحقيق نسبته الى العلويين . فلما فجعهم الخبر بورود صاحبهم ( المتنبى ) على طرف الكوفة خرجوا اليه وأنذروه ان يكون ذلك من ارادته بعد فضوله في الشام ، وأمره بالانحدار الى بغداد ، ورجعوا الى جدته فأياسوها من لقائه بذا . فلما استقرت بالمتنبى بغداد وزاد شوقه الى جدته وبكى من خيفته عليها ، وحمله ذلك على الكتابة اليها — بعد ان لم يجد عن ذلك مخلصاً في نفسه فكتب اليها كتاباً يسألها المسير اليه ببغداد ، ففرحت العجوز فرح اليائس من امر ثم اتته البشري بالظفر من وجهه آخر ، فاشتد ذلك عليها واستبدت العواطف المعنوية المتنازعة المتضادة بذلك البنيان المهديم الضعيف فانقض بعضه على بعض ، فماتت رحمة الله عليها وأثابها بما صبرت

فلما ماتت المسكينة ثارت نفس الرجل ثورة اليائس ، وخاف ان يستعلن للعلويين بالعداوة وهو ببغداد ان يقتلوه من أجل ذلك ، فأضمر ما في نفسه وأشار الى هذه المعاني من طرف خفي . ويحسن ان نذكر هنا ان المتنبى خرج آخر مرة من الكوفة مرغماً على ذلك الخروج ، وهذا امر طبيعي إذا صح القول الذي نقول به ، فانظر الا ان ماذا يقول الرجل في رثائه جدته بكيت عليها خيفة في حياتها وذاق كلانا ثكل صاحبه قدماً

وقد شرح الشراح هذا البيت وأداروا معانيه ولكنه بقي في شرحهم لا معنى له ، كقولهم : وكنت ابكي



عليها في حياتها خوف فقدها ، وفرت الايام بيني وبينها فذاق كلانا ثكل (فقد) صاحبه قبل الموت «  
 فالعطف في الذي قالوا به « وفرت الايام » لا معنى له هنا ولا فائدة منه. وتفسير البيت هو هذا  
 لما آيسوها من لقائي ، وقد منعوني عن دخول الكوفة — علمت يقيناً أنها ستحمل  
 ثقلها يهددها فبكيت خيفة عليها من اثر الحزن فيها ، وما يبيكني أن لا ألقاها وكيف ابكي لذلك  
 ( وقد ذاق كلانا ثكل صاحبه قديماً ) بالفراق الذي حملنا عليه ! ولو كنت باكياً لبكيت  
 للفراق الذي كان يننا بمنزلة الموت ، فعدتني هي قد ميت ، وعدتها قد ماتت (وهذا تأويل  
 قوله . . وذاق كلانا . . . ) أي ثكلتني وثكلتها

ثم يقول بعد أبيات

طابت لها حظاً ففاتت وفاتني وقد رضيت بي - لورضيت بها - قسماً (١)  
 فأصبحت أستسقي النمام لقبرها وقد كنت أستسقي الوغى والقنا الصماً

ومعنى البيتين عندنا — كانت العجوز رضي الله عنها قد رغبت الي أن اكتم امر نسبتي  
 العلوية الى ان يشاء الله ، ولكني خالفتها ، وآثرت فراقها لعدلي أصيب بعيداً عن الكوفة ما لم  
 ادرك بها فخرجت اطلب لها ( حظاً ) اي فضلاً وخيراً في رد شرف انماثنا الى العلويين ،  
 ولكن شاء ربك ان تقوتني بها الاحداث فتموت ، ويفوتني ايضاً بعد موتها ذلك الحظ لما أعلم  
 من انها كانت هي السبب في امتناعهم عن القتك بي ان حاولت امرأ ، فواحسرتاه ! لم خالفتها  
 وخرجت اطلب لها هذا الحظ وقد رضيت بي قسماً وحظاً ونصيلاً وجعلت ظفرها بي عدلاً  
 لما فاتها من الحظ الذي كنت اطالبه لها ، فياليتني (٢) رضيت بها كما رضيت بي وجعلتها عدلاً لما  
 فاتني من هذا الحظ ، وعلى هذا الاصل يكون معنى البيت الثاني واضحاً بيناً فهو يقول : كنت اريد  
 القتال والحرب لاشفي بالدم المهرق غليها ، وارد عليها حياتها في شرف نسبتي الى العلوية فالان  
 وقد ماتت وفاتت لاحية لي الا أن اسأل الله ان يرد قبرها بما يدر عليها من ماء النمام. ثم قوله:  
 « هيني اخذت الثأر فيك من العدى كيف بأخذ الثأر فيك من الحمى »

« لأن لذ يوم الشامتين يومها لقد ولدت مني لانهم رغبوا »

وقد مضى بعض القول في هذين البيتين ، ولكن بقي ان نقول ان هؤلاء الاعداء والشامتين  
 كانوا من اشراف الكوفة لما رأيت اولاً اذ لا يعقل ان يكون غير ذلك ، لا يعقل مثلاً ان يكون  
 أولئك الاعداء والشامتون من طبقة السقائين والنساجين ومن اليهم ، ولو كان ذلك كذلك لما

(١) تفسير البيت عند الشراح هو هذا : فارتبها لا طلب لها حظاً من الرزق ففاتتني هي وفاتني هذا الحظ وقد  
 كانت راضية ان اكون قسماً لها من الدنيا لورضيها قسماً لي ( والقسم النصيب ) وقد كنت أطلب من الرياح ان  
 تسقيني دم الاعداء فلما ماتت تركت الحرب وجداً عليها وصرت أطلب من السحاب ان يسقي قبرها — او كما قالوا !!  
 فانظر هذا التفسير ، وقرأ تفسيرنا (٢) اعلم ان ( لو ) في بيت المتن معناه التمني والاسف والحسرة



حفل المتني بذكرهم ولا التعريض بهم وان يجعل نفسه رغماً لا نوفهم . وهو من هو في الكبرياء والتسامي والغلو في الترفع والعظمة  
وعلى عادته ان في القصيدة بشارة عجبية ، هي من باب التفات القلب الى ما يلج فيه من  
الرأي المضر . . . يقول

فوا أسفاً الا اكبّ مقبلاً لرأسك والصدر اذا ما حزمنا  
والا لآقي روحك الطيب الذي كان ذكي المسك كان له حسنا  
ثم استيقظت في قلبه تلك الثورة العجيبة التي اصبحت طابع شعر الرجل كله ، فأنقذته من  
معاني الحنان والرقّة الى معاني القسوة والعتوّ فقال

ولو لم تكني بنت اكرم والد لكان اباك الضخم كرك لي امّا  
لئن لذ يوم الشامتين يومها لقد ولدت مني لانفهم رغماً  
ذكرته روح جدته بالثأر القديم الذي نسيه في قوله قبل ذلك « هيني اخذت الثأر فيك  
من العدي » فصرخ صرخته هذه فيكاني به يقول : ابعذك ونفوك ، فما يضير نفهم روحاً  
طيباً ، ونفساً زكية !! ولا تأسي ولا تحزني ، فانك قد ولدتي ، وكفالك شرفاً ان تكوني  
لي امّا ، فاني مرغم انوفهم وحامهم على خطّة الحسف حتى يعطوا المقادة وهم صاغرون فعلى  
هذا فسر قوله

واني لمن قوم كان نفوسهم بها اتق ان تسكن اللحم والعظماء  
كذا انا يا دنيا اذا شئت فاذهبي ويا نفس زبدي في كرائها قدماء  
فلا عبرت بي ساعة لا تعزني ولا صحبتني مهجة تقبل الظلماء  
وقوله :

ما بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي فخرت لا بمجدودي  
وبهم فخر كل من نطق الضياء وعود الجاني وغوث الطريد  
ونخر من نطق الضادهم ابناء رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقوله ايضاً  
ولكنني مستنصر بنديابه (١) ومركب في كل حال به العثماء  
وجعله يوم اللقاء يحيي والافلست (السيد البطل القرماء)  
ثم فسر على هذا الاصل قوله ايضاً وقد جيل قوم يستعظمون ما اتي به في رثاء جدته  
يستعظمون ابياً تانامت (٢) بها لاجسدن - على ان ينام - الاسدا  
لو ان ثم قلوباً يعقلون بها انساهم الذعر مما تحمها - الجسدا

(١) يعني سيفه (وذبابه) حده (٣) التميم زئير الاسد



وتدبر قوله ( لا تحمدن ) !! ولو كان غير المتنبي — هذا الموتور صاحب الثأر عند هؤلاء القوم — لقال ( لا تعجبن ) او ما يقرب من ذلك ونحن لو شئنا ان تنقل لك هنا ونفسر كل شيء يدلُّ من قريب أو بعيد على ما نذهب إليه ، لكلفنا ذلك أن نشرح لك اكثر ديوان المتنبي ولكن بقيت أشياء ننبه اليها — لو أنت قرأت ديوان الرجل لوقعت على كثيرات من أمثالها وذلك كقوله بعد وفاة جدته ومرجه إلى الشام سأطلب ( حقي ) بالقنا ومشايخ كأنهم من طول ما التشموا مُردُّ

فقوله ( حقي ) لا يقع هذا الموقع من شعر إلا من أحد رجاين رجل دعيّ طويل الباع واللسان في الدعوى والكذب ، أو رجل صادق لا يكذب على نفسه ولا على الناس ، وليس المتنبي بأولهما ، إذن فقد كان له حق يطلبه بالحرب وهو الذي ساء ( خطأ في رثاء جدته ، وإنما خفف الحق في الرثاء وجعله ( خطأ ) لما أشرنا إليه من قبل . ومثل هذا قوله لكافور فارم بي حيث شئت مني فأني أسد القلب آدمي الرواء وفؤادي من ( الملوك ) وإن كان لسانني يري من الشعراء

فلا عجب بعد في نحر المتنبي وتعاليه وتعاضمه ، فكل مفسر يبين واضح العلة والمعنى على هذا الأصل ، وكان عجبا عاجبا عند الناس أن تباع الحماقة بأن سقاء أن يفخر مثل هذا الفخر ويتعاضم على الملوك مثل هذا التعاضم ، وذهبوا في تأويل ذلك مذاهبهم ولعل هذا — أن شاء الله هو المذهب الحق





أَذَاقَنِي زَمَنِي بِلَوَى شَرَقَتْ بِهَا  
 لَوْ ذَاقَهَا لَبَكِي — مَا عَاشَ — وَاتَّجِبَا  
 وَإِنْ سَمَرْتُ جَعَلْتُ الْحَرْبَ وَالِدَةً  
 وَالسَّمِيرَ أَخَاً وَالْمَشْرِفَ أَبَاً  
 بِكُلِّ أَشْعَثَ يَلْقَى الْمَوْتَ مَبْتَسِماً  
 حَتَّى كَأَنَّ لَهُ فِي قَتْلِهِ أَرَبَاً  
 فَلَمَوْتُ أَعْذَرُ لِي ، وَالصَّبْرُ أَجْلٌ لِي ،  
 وَالْبِرُّ أَوْسَعُ ، وَالدُّنْيَا لِمَنْ غَلَبَا

مات أم (أحمد بن الحسين) أبي الطيب المتنبّي — فيما زعمنا — فوقه إلى جدته واختارته  
 وآثرته على حظها من الدنيا فكفّلتها . وألقت كل ذات قلبها وبكدها في تمهده ورعايته ، ثم في  
 تربيته وتنشئته ، ثم في النصيحة له وتطريق وعر الدنيا عند قدميه . ومنحته في ذلك حنان الام  
 الفاقده على ولدها اليتيم المملّط ، وكانت العجوز كما وصفوها « من صلحاء النساء الكوفيات » ،  
 وكما وصفها حبيها ولدها ثم حفيدها « حازمة ، طيبة الروح ، زكية النفس » غير أنني العقل  
 وكانت امرأة موتورة كما ذهبنا إليه فيما مضى بك ، لا تزال تجد في قلبها الامر الذي يقول  
 لها : « ها أنا ذا . . . فلا يفتك حنانك عن الجد في تدير العزم وادارة الرأي على  
 وجوهه في طلب الثار الذي لك في أعدائك المنزلك بشر منزلة ما رضاها نفس كنفسك في  
 الطيب والزكاة » . وأطاعت العجوز أمرها بالابتصاف لنفسها ولحفيدها ، ولا حيلة لها الا تنشئة  
 الصغير على غرار فذ يكفل لها إدراك ما تروم ، وكذلك فعلت . فكان المتنبّي في الزمن  
 ثم في الشعراء خاصة شخصية عجيبة ، اذا أخذتها من يمين التوت بك إلى شمال ، وان ذهبت  
 تطلبها من وجه راغت من وجوه ، واستبهم أمره على الناس باستبهم الغرض الذي رمى إليه  
 هذا الانسان . وكان كما قال ابن رشيق « ملا الدنيا وشغل الناس » . . .

لا ندري كيف تمّ الرأي بينها وبين العلويين أن «يختلف - الفتى أحمد - إلى كتّاب فيه  
 أولاد أشرف الكوفة» كما نقل الاصفهاني ، ولعلمهم أرادوا بذلك أن يرضوا العجوز ، ويخففوا  
 عنها ثقل همومها ، ويحملوها على المطاوعة لهم خشية أن تفجأهم بما لا يحبون من اظهار ما أرادوا



كتبانه وإخفاءه . دخل الفتى الكتاب ، وقد قال التنوخي في حديثه الذي أسنده الى أبي الحسن العلوي — يعني المتنبي — « ونشأ وهو محب للعلم والادب فطلبه » ، ولا شك أن جدته الحازمة الصالحة كانت من ورائهم تستحبه على طاب العلم وتستفزه الى ذلك ليم لها — ان شاء الله — ما تؤمل من الفرح بنبوغه وتفوقه على لداته وأسانه من العلويين ، ويستطيع بعد أن يدرك لها « حظا » ويطلب لنفسه « حقا » هضم ، ومنع من دونه حتى ألقي في أسوأ مجهولة وبشر منزلة ، في خفاء من النسب ، وقلة من المال وبعد عن مساعي المجد ، وقد وجدت العجوز أرضاً صالحة بطبيعتها لما تريد من أمرها فتأدب الفتى بالعلم الذي كان يتلقاه في كتاب أولاد أشراف الكوفة واجتهد في ذلك ، وبرع وفاق أصحابه وأخذته جدته بأخلاق صالحة طيبة ، وحاسبتها وحرصت على استطلاع خبره كله وألقت في قلبه وفكره وخياله طلب المجد بالعلم ، ثم زينت له الفتوة وعلو النفس وبعد الهمة ، وعظم المطالب ، وأدبته بالصدق والامانة وكتان السر ، وعلمته من حيلها ودهائها وحذرها ، سعة الحيلة ، وخفاء الدهاء ، وتقديم الحذر ، وبعد أن أدرك الفتى من الفكر ما يسر لها ما تريد أن تبوح له به ، طفت تديره السر من هنا ومن هنا ، وتأخذ نفسها بالحذر والتكتم والاحتراس من ثورة الفتى إذا هي في حقيقته بما تريد ، حتى بلغت ما أرادت . وهذه المعاني كلها دائرة في حياة المتنبي وشعره دوران الدم في عروقه فإذا أنت قرأت ديوانه من أوله إلى آخره فلن يفوتك أن تراها جميعاً أو ترى بعضها ما ثلاً غير خفي في كل موضع من شعره

ويؤيد قولنا هذا : أن الغلام — وهو صغير بالمكتب — كانت له وفرة من الشعر تسيل على أذنيه ، وكانت حسنة جميلة فقال له بعض أصحابه من الفتيان ( العلويين ) يا أحمد « ما أحسن هذه الوفرة » فكان جوابه أعجب جواب من صبي في مكتب

لا تحسن الوفرة حتى ترى منشورة الضفرين يوم القتال  
على فتى معتقل صعدة يعلمها من كل وافي السبال (١)

فظن ما شئت بغلام في مثل سنه لا يزال في أول طلبه للعلم يقول مثل هذا القول . ويحسن أن نطيل القول قليلاً في هذين البيتين ففيهما أصول كثيرة من حياة الرجل ونفسيته فيما بعد فالاصل الاول هو هذا الالتفات الشجري الجميل من المعنى المحدود بغرض قائله الى المعنى المترامي بخيال سامعه ، فإن أصحابه كانوا يعجبونه من حسن وفرة واسترسالها ولينها ، فتجاوز صاحبنا هذا بخياله من الصورة الحاضرة إلى الصورة التي يريد أن يراها شعناء غبراء يوم ينشر

(١) « الضفر » الحصلة المضمرة من الشعر كالغديرة ، وقوله « معتقل صعدة » اي حامل رمح الى الحرب « ويعلمها » يسبقها من الدم مرة بعد مرة « والوافي السبال » هو الطويل اللحية



مضفوراً يوم القتال بين الغبار النائر والدم المهرق وهذا إثباتٌ للأصل الشعري القائم في نفسه  
والأصل الثاني ، هو الرجولة والفتوة ، وبعد المهمة ، وعِظم المطلب وانصرافه عن  
سفساف الأمور الى معاليها ، لا يعباً بلذة لا تجدي خيراً ، ولا تؤتي ثمراً ، وإنما يجد لذته فيما يأتيه  
بما يريد ولو كان فيه فيه شقاؤه وجهده ، وقد شرح صاحبنا هذا المعنى النفسي في شعره بعد فقال :

« سبحان خالق نفسي كيف لذتها فيما النفوس تراه غاية الألم

الدهرُ يعجب من حملي نوائبه وصبر نفسي على أحداثه الحطيم »

وهذا أصل رجولته وفتوته وقوته النفسية التي ظهرت واستعلنت في كل شعره حتى صار بها فذاً أوحده  
والأصل الثالث : هو الثورة الدائمة ، فأنت تراه من صغره هكذا لا يريد إلا القتال والدم  
والرابع : ان هذين البيتين من صغير كقائلهما يضران وراءهما معنى آخر غير هذه المعاني  
وهو انه منشأً على طلب الثأر من عدوٍّ فهو لا يزال ينقل الصورة من وضع الى وضع آخر  
يُرَضِّي ما يدور في نفسه من المعاني المحددة بطفولته وما غذيت به من الآراء والأخلاق . وان  
شئت فتدبر السرَّ العجيب في قوله « يحاسها » اي يسقيها الدم مرةً بعد مرة لا يكتفي بواحدة ،  
وتعجب من قوة الأصل الشعري في هذا الغلام ، ومن طغيان الحتمد والثأر على قلبه الصغير  
والخامس : هو يئانه الخفي عن عدوه الذي يريد ان يحاربه وقد صرح بذلك في قوله « كل  
وافي السبال » ، فانظر من اراد هذا الصغير بهذه الصيغة ، أترأه عنى كل كبير السن ذي لجة  
طويلة ؟ أترى ذلك !! كلا فالبين البين انه اراد قوماً باعياهم كنى عنهم بهذه الصيغة ؟ ومن هؤلاء  
الذين يريدونهم بهذه الصفة ؟ أليس المعقول ان هذا الصغير انما يتجه خياله الى اقرب الناس اليه في  
بلده ، ثم إلى الذين اوحى اليه جدته بأن بينها وبينهم سخيمة من العداوة ؟ ومن يكون هؤلاء  
من اهل بلده الا مشيخة العلويين<sup>(١)</sup> الذين اتزلوا الهوان به وبجدته فيما ذهبنا اليه من الرأي فيما مضى  
والسادس : ان هذه الثورة التي تابست به واخذت عليه مذاهبه في حياته انما هي من اثر  
جدته اذ باحت له بسرّها والقت اليه بمكنون صدرها ، وذلك لان الفتى الصغير لا يكاد يدرك  
هذه المعاني كلها ، ويسبقها حتى تظهر هكذا مسهلة على لسانه الا ان يكون قد أخذ بها ، وهيء  
لها ، وأعطى من نفس غيره قوة تخرجه من طبيعة الطفولة ، الى عادة الرجولة والفتوة  
ولولا ان صاحبنا ابا الطيب قد « اسقط من شعره<sup>(٢)</sup> الكثير ، وبقي ما تداوله الناس »

(١) وهذان البيتان من الأدلة على ما ذهبنا اليه في قضيتنا مع العلويين في الذي مر بك ولم نذكرها  
هناك لنفادى الإطالة

(٢) هذا القول يغلب على شعر صباه ولا شك ، ولا شك ايضاً ان بعض شعره في فتوته وكهولته قد  
سقط او اسقط ولكنه قليل جداً لا يكاد ينفع شيئاً



كما حدثنا ابو القاسم الاصفهاني عن ابي الفتح بن جني لوجدنا فيما اسقطه كثيراً من امثال هذا القول الذي يدلُّ على نفسية الصبي التي كبرت معه وكانت هي (المتني) الشاعر الفرد الذي لا يكاد يخفى شعره على اقل الناس بصراً بالشعر

وأبيات أخرى قالها وهو بالمكتب ايضاً

الى اي حين انت في زي محرم؟<sup>(١)</sup> وحتى متى في شقوة؟ والى كم !!

ولإلا تمت تحت السيوف مكرماً تمت وتقاس الذل غير مكرماً

فتب واثقاً بالله وثبةً ماجد يرى الموت في الهيجا، جني النحل في الفم وهي وان كانت مما قال في صغره إلا أنها امثل من الابيات الاولى في الدلالة على المعاني التي ذكرناها والاصول التي استنبطناها فتدبرها على ما قدمنا لك تجد الشاعر الكبير في الشاعر الصغير الا في موضع واحد قل في شعره بعد الكبر وذلك هو تقديم الثقة بالله، على الثقة بسيفه ونفسه، وهذا الموضع ولا شك من اثر جدته التي كانت « من صالحاء النساء الكوفيات » وهو يؤيد رأينا في ان العجوز كانت تمنحه نفسها وتمحضه نصحتها وتريه على ما ارادت، لم تكف ان تركز في تأديبه وثقافته الى المكتب او الى الزمن واحداثه، وهو المعلم الاكبر والاستاذ البارع

هذا، وما نشك في ان الفتى كان وهو بالمكتب اكثر اصحابه تحصيلاً للعلم واقبالاً عليه وانصرافاً اليه، وذلك لما ذكروا من قوة ذاكرته التي كادت تكون احدى الخوارق، ثم لما اخذته به جدته من الادب والرأي، وما زينته له من طلب المجد، ثم ما تهيأ في نفس الصغير من اصل طبيعته التي تسرع به الى السمو. ولهذا كان الفتى محسداً بين اترابه منظوراً اليه بعين. فالحسد الصغير الذي مكني به وهو في المكتب، وما يموج في صدره من حقد وثورة — وبغض لمن اريد له ان يشأنهم ويبغضهم — كل ذلك كان هو الاصل فيما تعجب منه المتعجبون من كثرة ذكر هذا الشاعر للحسد والحساد والوشاية والوشاة وما الى ذلك مما يلم به، وقد ألم صاحبنا بهذا الذي اردناه في قوله وهو بأنطاكية فيما بعد

ابدو فيسجد من بالسوء يذكرني فلا اعاتبه صفحاً ولها وانا

(وهكذا كنت في اهلي وفي وطني) ان النفيس غريب حيثما كانا

(محسداً الفضل مكذوباً على اثرني) ألقى الكمي ويلقاني اذا حانا

فهو من يوم كان في وطنه الكوفة الى سنة ٣٢١ حين رحل الى الشام كان يلقي الغنت من

(١) (زي محرم) كناية عن فقره لقلة ثيابه التي تستره، والمحرم من الحاج لا يلبس الا ازارين غير مخيطين



الحسد والحساد ، وما تكذبوا به من أباطيلهم ، وما القوا عليه من عيوبهم ، فلما استمر مريره وروع وفاق الشعراء ، وأكل أرزاقهم إلى رزقه — أجلب عليه الحساد والوشاة ، ففسدوا له وأذاقوه من بأسهم ، فبقي إلى آخر عمره يذكر ذلك في شعره ، ويتخيله في صغير امره وكبيره . قلنا ان الفتى كان احذق اسنانه وأسرعهم إلى التحصيل ، وأحفظهم للعلم ، وظاهر شعره الذي قاله في أول امره وصباه ، انه لم يقصر درسه على « دروس العلوية وحذق العربية شعراً ولغة واعراباً » بل كان كما كان إلى يوم وفاته متبعاً للكتب يقرأها ويحققها ويحفظها ، من كتب الشعر والادب والدين والفلسفة والكلام وغيرها من علوم عصره وسنأتي على طرف من شعره في سياق الدليل على ذلك . وقد روى بعض الرواة — هو صاحبنا الاصفهاني — ان المتنبي وقع في صغره إلى واحد يكنى ابا الفضل بالكوفة فهوّسه وأضله كما ضلّ « هكذا قالوا »

ولا شك ان ابا الطيب قد لقي هذا الرجل وهو بالمكتب لم يرحه بعد . والقصيدة التي في ديوانه ، والتي قدموا لها بقولهم « وقال وهو بالمكتب يمدح انساناً ، وأراد ان يستكشفه عن مذهبه » هي في ذكر هذا الرجل الذي ذكره الرواة ، وأولها

« كفسي - اراني - ويك لومك - ألوما هم اقام على فؤاد أنجما »

ويقول فيها وقد ذكر اسم الرجل

« كصفات اوحدا ( ابي الفضل ) الذي بهرت فانطق واصفيه وأفحا »

ومن قرأ القصيدة كلها القاهها كلها ، فما فيها يدت واحد من الشعر ، ولفظها وكلامها ومعانيها غث كله ، وما ندري ما الذي جعل ابا الطيب يحرص على ابقائها في ديوانه ، وقد اسقط الكثير من شعر صباه على ما ذكر تلميذه ابن جنبي ؟ وقد أعجم صاحبنا القصيدة كلها وأتى فيها بكل ساقطة من الفلسفة وما إليها ، وبالنسبة حين مدح الرجل بما ينقل الكلام من معنى المدح إلى معنى الهجاء ، حتي أدخل ذلك بعريتها إخلالاً يتناغم لم يقع مثله في ساقط شعره وسفسافه . والظن عندنا أنه لقي ابا الفضل هذا ، وكان يدعى الفلسفة ، ويتجسس بذكريها ، ويظن بنفسه العلم بها ، ويعرض نفسه لقراءة درس فيها ، وكان في ذلك أضحوكة يعجب منها ويتفكه بها ، وكانت صورته في ذلك كله تستقصي الضحك وتستخرج من قلبه الحزين أقصى الضحك ، وغاية الاستغراب تدبراً به وعبتاً وسخرية . ولا حاجة بنا إلى تفصيل ذلك بذكر الايات التي تدل على ما أردناه فإن قليلاً من التدبر — فيما جمع فيها أبو الطيب من السخف والمضحكات والمناقضات والمبالغات — دليل كافٍ واف . ويثبت أن المتنبي ما أثبت هذه القصيدة في ديوانه إلا لانه كان يذكر بها شخصية كانت تستخرج من قلبه الحزين أقصى الضحك ، وغاية الاستغراب والعجب للاصفهاني صاحب « إيضاح المشكل » الذي مر في أول كلامنا ذكره — أن



يزعم أن معنوها كآبي الفضل هذا النكرة قد هوّس أبا الطيب وأضاهه كما ضلّ ، فمن كان في بديهة المتنبي ، وذكائه وتوقّده لا يلعب به رجلٌ مغمور غير مذكور كهذا الذي ذكروه . وظاهر أمر الاصفهاني أو من قال له ذلك ، أنه وقع اليه خبر أبي الطيب وتدره بأبي الفضل ، هذا الدعيّ على الفلسفة ، فقلب الخبر من معنى الهزل إلى معنى الجدّ ونسب إلى المتنبي الاخذ عنه ، والافتداء بسخفه وهذيانه . فلولا جاءوا بشيخ مذكور من شيوخ الفلسفة وادّعوا ذلك فيما ادّعوا على الرجل !!

ونحن لا تنفي عن أبي الطيب التأثير بالفلسفة وغيرها مما يداخلها أو تدخله على مذهب الاوائل ، وكيف يكون ذلك ؟ والدنيا يومئذٍ موجٌ متلاطمٌ بالجدل والخصام ، والعلماء يومئذٍ كثيرون ، وأصحاب المذاهب الغريبة متوافرون ، وأصحاب الجدل مغرمون بإقامة الشبهة وردّها بالحجة والبرهان العقلي ، والكتب الخائفة كثيرة لم تذهب بعد ، وهي كتبٌ نشأ منها بعد علم الكلام الذي اختلطت به الفلسفة وصارت أصلاً من اصوله ، والمساجد لذلك العهد كانت عامرة بالصخب الذي لا يجدي ولا ينفع في اصول الدين وعقائده . فاسنا نشك بعد ان هذا الفقي المتوقد — الذي قال عنه كثير ممن رأوه انه كان واسع العلم والمعرفة — قد اختلط وسمع وبحت ونظر وجادل واخذ بأطراف مما سمع وقرأ وحفظ ، حتى بان ذلك في شعره الاول بياناً لا خفاء فيه ، وقلّ بعد ان استحسنت قوته وغلب عليه الاصل الشعري الذي استولى على اكثر موهبته وقدرته . ونسوق اليك هنا طرفاً من ذلك فيه غنى ان شاء الله . يقول

« وضاعت الارض حتى كان هارهم اذا رأى ( غير شيء ) ظنه رجلاً »

يريد « لا شيء » فأبدل ، وهذه من ألفاظ المتكلمة ، والخيال خيالهم

« يترشفن من في رشقات هن فيه ( حلاوة التوحيد ) »

وهذا من ألفاظ المتصوفة

كتمت حبّك حتى منك تكرمة ثم استوى فيه اسراري واعلاني

كانه زاد حتى فاض عن جسدي فصار سقمي به في ( جسم كتمان )

والبيت الثاني ، واللفظ الاخير خاصة دليل على تأثره بالمعاني الفلسفية والصرفية وهذه هي التي

اخرجت له هذا الخيال السخيف — وقوله

فتى ألف جزء رأيه في زمانه اقلّ جزئي بعضه الرأي أجمع

فهذه قسمة حسامية !! والجزء والجزئي من الفاظ المتكلمين والفلاسفة ، ولما يأتي احدها

في الشعر مستحسنًا وقوله

فصيح متى ينطق تجد كل لفظة ( اصول البراعات التي تفرّغ )



وهذا مدح فلسفي ليس بشعر، وانظر الى جمعه البراعة وهي من الغرائب التي تلدها الفلسفة وقوله  
 لما وجدت دواء دائي عندها هانت عليَّ (صفات جالينوسا)  
 بشرُّ (تصور غاية) في آية تنفي الظنون (وتفسد التقييسا)

فقوله (صفات جالينوسا) يريد ما يصفه جالينوس للامراض من الدواء، وهو دليل على نظره في كتب الطب، ثم قوله (تصور غاية) من اساليب المتفلسفة، وقوله «تفسد التقييسا» يريد «تفسد القياس» وهو مما يرد في كتب الكلام. ومن تتبع سائر شعره في صباه، وجد فيه آثاراً كثيرة تدل على ما قرأ أبو الطيب، وما سمع من كتب الفقه والحديث والتفسير والجدل والمنطق والمال والنحل والتاريخ وسير الاوائل والانباء الماضين وغير ذلك مما كان من علوم اهل عصره، وقد احاط بكثير من ذلك واستوعبه ونظر فيه نظر المتفكر المتدبر، ولولا ذلك لما ولع بذكره في شعره، ولما دار على لسانه على غير ارادة منه فيما نظن

وقد كان في هذا القسم من شعره يابجاً الى الاساليب الفلسفية في استخراج المعاني وتوليدها وكان يكثر من التقسيم الفلسفي، والتوجيه المنطقي وغيره من الوان كلام المتفلسفة والمتكلمة والمترندقة ايضاً حتى فسدت معاني شعره، فلذلك كان أكثر ما تجد من ساقطه ومرذوله — مما عابه عليه النقاد، وخاصمه به المتعصبون عليه — هو من هذا القسم الذي قاله في صباه الى اطراف سنة ٣٢٨ على وجه التقريب لا التحقيق

\*\*\*

وهذا العهد من حياة المتنبى لم رد عنه رواية موثقة مستفيضة، وانما عملنا فيه الاستنباط من قليل شعره الذي قيل في صباه، واستخراج الاصول النفسية منه، ثم مسيرها بعد وتدرجها معه حتى بلغت مبلغها في كبر شعره الذي «ملأ الدنيا وشغل الناس»  
 عندنا ان المتنبى بقي في المكتب الى سنة ٣١٧ تقريباً وكانت سنه اربعة عشر، ولكنه كان بتوقده وذكائه في درجة من أناف على العشرين، وقد ذكر التوخي انه قال الشعر صبيّاً، وذكر غيره انه كان آية في الذكاء والفطنة، وقال غيرها انه من دهاة عصر — اي كان كذلك فيما بعد — وكان مما ورثه عن جدته هذا الاحساس المرهف الدقيق الذي يهترئ في قوته وكبريائه لا في ضعفه وذله. واجتماع الذكاء والحس المرهف هما آلة كل شاعر، وقد ظفر المتنبى من كليهما بنصيب الاسد المصور، ولذلك كان شعره اروع شعر في العربية وكثير غيرها، وكان محبباً الى اهل عصره متداولاً سائراً بينهم لانه كان يأخذ بها من شعور الناس وآلامهم واحداثهم ويبني بما يأخذ بيوت شعره، وروائع بلاغاته  
 وهب الله هذا الذكي المرهف الحسّ جدة حازمة كانت — فيما ذهبنا اليه — توقد في



قلبه نيران الثورة ، وتورثها بالحق على قوم بعينهم ، وتدر به على كرائم الخلق كالصدق والامانة والوفاء وحب المجد والتطاع إلى العلياء ، والجرأة المستفجرة التي لا تهيب ، يحد منها الحذر الذي لا يتهاون ، والدهاء الذي لا يتورط في موارد التآف . وشرع الفتي يطلب العلم ويستزيد منه ويشدد في الطأب مصمماً معتماً أمراً في نفسه أن يبلغه أو يهلك دونه ، ثم انفتحت لعينه الدنيا برذائلها وفضائلها وحكمتها وترهاتها ، وجدها وهزها ، فاضطربت نفسه وطفقت تسلم الاشياء هنا وثم لتستقر على ما ترضى به وتأنس اليه

وكانت الكوفة — التي نشأ بها وشب وترعرع وتفتى — لذلك العهد ، بلداً من بلاد الاسلام قد رمتها القرامطة بجيوشها مرات وفعلت بأهلها الافاعيل ، وكانت الدولة العربية في شغل عن الكوفة بانقسامها شيعاً يأكل بعضهم بعضاً ، وظهرت شوكة الاعاجم وكانوا أصحاب حيلة ودهاء فأوقعوا بين المسلمين ، وبين عرب البادية حتى صارت الدولة العربية المترامية الاطراف في ثورة دائمة لا تفسر ، ولا تقطع الحروب في ناحية إلا اتقدت نيرانها في أخرى . وانقسمت دويلات ، ولم يبق للخليفة إلا الاسم الكريم يحمله مرغماً يضعه مرغماً لا إرادة له . ولا شك أن إحساس أبي الطيب قد ألم بذلك كله وفصله ونقده ، وعرف الداء الذي كمن في بدن العربية واستل قوتها وقتل روحها ، فازداد إلى ثورته ثورة وإلى حقه حقد

وكانت أخلاق الامة قد اضعفت وفشلت بما تداخلها من أخلاط الامم الذين لا أصل لهم يرجعون اليه ، ولا خلق عندهم يستندون به ، وفسدت العامة من أهل المدن فساداً كبيراً ، واضطربت في أيدي الناس جبال الاخلاق ، وصاروا لا يقيسون الناس إلا بمقياس الظاهر ، ولا يزنونهم إلا بميزان المال . فبطلت موازين الرجال التي يوزنون بها من العقل والحكمة والعلم والرجولة وكرم العنصر . فكان نظر الفتي إلى هذا مما ألقى الحطب على النار التي في صدره ، فغضت اليه سفاسف الاخلاق وتعلق بمعالها ، وزين في قلبه أن يكون هو الثائر الذي يرد هؤلاء الاهمال والهجم إلى مرد ، ويأوي بهم إلى مأوى ، ويقوم عليهم قيام الراعي حتى يخلصوا من الشر ، ويستسكوا بالعروة الوثقى ، ويفيئوا إلى الخلق الكريم الذي لا يخس الناس حقهم ، ولا يظلمهم ، ولا يذنبهم ، بل يعدل بينهم بالقسط ويرفهم عن الدنية ، ويجعاهم قوة مستحكمة ترد عدوان العادي وبغي الباغي ، ليصلوا بذلك الى المجد والسلطان

اصطدم هذا الحيال الذي اراد ان يحققه بحقيقة ما هو فيه من الفقر والحفاء ، والبعد عن مساعي المجد ، وامتناع نفسه عن اعطاء الطاعة للاخلاق التي كان يصل بها اهل ذلك العصر إلى ما يريدون من المكر السيئ والدسيس وما اليهما من حيل الخيئين . وقد روى الرواة ان ابا الطيب قال : « اذكر وقد وردت في صباه من الكوفة الى بغداد ، فأخذت بجانب منديلي خمسة دراهم



وخرجت امشي في اسواق بغداد ، فررت بصاحب دكان يبيع الفاكهة ، فاستحسنها ، ونويت ان اشتريها بالدرهم التي معي ، فتقدمت اليه وقلت :

— بكم تبيع هذه الخمسة بطايطخ ؟

فقال بغير اكتر اثن : — اذهب فليس هذا من اكلك ، . . . فتماسكت معه وقلت .

— يا هذا ، دع ما يغيظ ، واقصد الثمن

فقال — : ثمنها عشرة دراهم

فلشدة ما جبهني به ، ما استطعت ان اخاطبه في المساومة . فوقفت حائراً ، ودفعت له خمسة دراهم فلم يقبل ... واذا بشيخ من التجار قد خرج من الخان ذاهباً الى داره ، فوثب اليه صاحب البطيخ من الدكان ، ودعا له وقال :

— يا مولاي ! هذا بطيخ باكور ، يا جازتك احمله الى البيت ؟

فقال الشيخ : — ويحك ! بكم هذا ؟

قال : — بخمسة دراهم ...

قال : — بل بدرهمين ...

فباعه الخمسة بدرهمين وحملها الى داره ، وعاد الى دكانه مسروراً بما فعل

فقلت له : — يا هذا ! ما رأيت اعجب من جهلك ؟ استمت علي في هذا البطيخ ، وفعلت

فعلتك التي فعلت ، وكنت قد اعطيتك في ثمنه خمسة دراهم ، فبعته بدرهمين محمولاً !

فقال : — اسكت . هذا يملك مائة الف دينار

قال المتنبى : فعلت ان الناس لا يكرمون احداً اكرامهم من يعتقدون انه يملك مائة الف دينار وأنا لا أزال على ما تراه حتى أسمع الناس يقولون إن أبا الطيب قد ملك مائة الف دينار .

فهذا وأمثاله من أعمال الحياة لذلك العهد اصطدم قلب الفتي ، فاستقر على ان يجد لما يريد مخرجاً ، غير العلم والعقل والنصيحة والاخذ بالدين والملاطفة ، وازداد بذلك للناس احتقاراً ولاعمالهم بغضاً ، وحقر العطاء الذين لا يعظمون في أعين الناس إلا بالمال ، وجعل يدير الرأي حتى خالص إلى العزم — أن يطلب المال ، لا ليجمعه ويفرح به ، ولكن لينال به ما يريد مما ينطوي عليه قلبه من حقد على قوم وما يدور فيه من معاني الإصلاح ، وما ينبغي من إيقاظ الهمة العربية للاستيلاء على السلطان المضيع ، والمجد المفقود

ومع هذا . . . كان الذكاء ، والثورة ، والنظر ، والتجربة والاختلاط بالناس واختبار أخلاقهم ، وتعبه من فساد أقيستهم ، وبطلان مذاهبهم ، ثم اعتماده في نفسه على الثقة بها ، واعتداده بمقدرته ، واستسقاطه لمن يحيط به من رجال الدولة الذين لم يصلوا إلى الحكم أو



السلطان أو القضاء إلا بالسوء والقيح، ثم طبعته الشاعرة المرفهة التي ( تلتقط صور) الأشياء ثم تتزع منها الاخيلة الشعرية، والحكم البليغة. كل ذلك أسرع بالفتى إلى ضرب من القول الساخر الذي لم تر العريضة مثله في شعر شاعر. إلا أن سخريته التي انفردها لم تكن بعد في كبره إلا ضرباً من الحكمة والعبرة التي لا يظن اليها إلا أفذاذ العقول، ثم يدسون عليها بالايجاز العجيب فلا يبالغون في تصويرها بل يضعون لها اللفظ الذي يخرجها مخرج الحكمة ويزيدها روعة في السخر. وسنتعرض لتفصيل ذلك بعد—وقد حفظ لنا المتنبى ضرباً من سخريته في صغره تدل على ما استحكم في شعره بعد وصار في شاعريته طبيعة متأصلة مستحكمة مر المتنبى برجلين قد قتلوا جرذاً، وأبرزاه يعجبان الناس من كبره فقال

« لقد أصبح الجرذ المستعير أسير المنايا صريع العطب  
رماه الكنانى والعامري وتلاه للوجه فعل العرب  
كلا الرجلين أداسى قتله... فأيكما غل حر السلب  
وايكما كان من خلفه؟ فإن به عضة في الذنب »

قتل الرجلان — الكنانى والعامري — هذا الفأر الكبير، فأخرجاه ليعجبا الناس من كبره — وهذا سحق منهما إذ شغلا نفسيهما بعث لا معنى لمثله عند المتنبى الذي يريد في نفسه قتل الملوك—فن هنا قال « الجرذ المستعير » الذي قد اغار عليهم كما تغير الحيوش، ثم لما فرغ من جعله كذلك ذكر ان هذا الفأر قد وقع في ( اسر المنايا ) كما يقع العدو في الاسر حين رماه — الكنانى والعامري — بالسهم كما يرمى العدو، وبذلك يسخر من رجائين يجمعان قبيهما على قتل، ثم لا يكون المقتول الا فأراً، ثم لا يكتفى صاحبنا بهذا بل يقول انهما اخذا يصارعانه كما يصارع العربي خصمه مستعيناً عليه بالقوة حتى يكبه على وجهه مقتولاً، وذلك قوله « تلاه للوجه فعل العرب »، ثم يقول بعد كلاهما تولى قتله — وذلك لكبر الفأر وشده — ولكن من منكما الذي سرق حر ثيابه وجيد سلاحه كما يسرق السارق في الحرب من اسلاب القتلى ويخفيها عن اصحابه من المقاتلة. ثم يعود فيقول، انكما كنتما تصارعانه بعد ان رميتاه بسهميكما وكان أحداً من خلفه فن منكما الذي كان من ورائه ليحتال على صرعه، وقد عرفت حيلته في صرع هذا الفأر العظيم فانه عضه في ذنبه، وهذه العضة بينة ثم. وأنت اذا عدت فقرأت الايات على ما تكلفنا شرحه رأيت بلاغة الرجل في السخرية ودقته في اختيار اللفظ، وايجاز الصورة التي يريد ان يتفكه لك بها. وهذا الضرب من الكلام من اكثر ضروب الكلام دوراناً في شعر المتنبى حتى بلغ من دقته في وضعه، ونفوذته في معرفته واتقانه، انه كان يقول القول في المدح وهو ابغى الهجاء، كما فعل بكثير من مدحويه—حاشا سيف الدولة—وفي اولهم كافور الاسود الخصب



وكانت هذه السخرية هي المنفذ لآلام أبي الطيب، وما يضيق به صدره من الاحقاد والآراء، ولعله كان في أصل طبيعته قريب الميل إلى المرح والطرب في وقار— ولولا ما كلف نفسه من المشقة للسيادة والمجد، لكان من أروع الناس نكتة بليغة، وأكثرهم نادرة عالية. يدل ذلك على هذا أن أبا الطيب كان قد نادم في حياته كثيراً من الأمراء وكانوا يحبونه، ولا يصاح للمنادمة رجل مترمت بارد الطبع ثقیل الظل، طويل الأصمت جهم الوجه، كاشر. ومما قاله « معاذ اللادقي » لأبي الطيب سنة ٣٢١: « والله أنك لشاب خطير تصاح للمنادمة ملك كبير » ومعنى هذا أن أبا الطيب كان ظريفاً خفيف الروح محبباً إلى النفس مع وقار وتودة. ومن تدبر سخريته في شعره كله وجد فيها هذا المعنى، ألا أنه لم يكن يهزل هزل السخفاء

كان هذا الفتى يمشي في نواحي الكوفة بآلامه واحقاده وفقره، ويتنقل في حوانيت الوراقين يقرأ ما يقع بين يديه من الكتب، ويختلف إلى مجالس الأئمة يستمع العربية والفقه والجدل، وينظر متعجباً إلى الحوادث التي تقع بين ظهري قومه، ويتسمع لما ترد به الأنباء من أخبار الدولة المترامية الأطراف، يضحكه ما يقع من الأحداث العجيبة التي ترفع وتضع ما بين عشية وضحاها، ويكون فيما يرتفع إلى الذروة اقوام — من العجب أن يصلوا إلى كسب الرزق، ثم هم يرتفعون فيما يرتفع بهم إلى إمرة الأمراء، ومشیخة الكتابة، وسياسة الدولة، والقضاء بين الناس. فلا عجب بعد أن يكون هذا الفتى الثائر الذي يشهد آثار الأحداث في أمته، كثير العجب مما يرى وما يسمع، قايل الحفل بهذه الأصنام التي ترفعها الحوادث وتضعها، عظيم العجب بنفسه وما أوتي من فطنة وذكاء وعلم ولسان قوأل لم ينل بها إلا الفقر والمسكنة والحرمان

لهم الليالي التي اخت على جدي برقة الحال، واعذرني ولا تلم.  
أرى أناساً، ومحصولي على غنم وذكر جود، ومحصولي على الكلام.

وقد بقي في الكوفة على ذلك — فيما نرى — إلى أطراف سنة ٣١٧ ثم خرج إلى البادية القريبة، بادية الجزيرة المفضية إلى نجد وفيها قبائل من كلب، فالتقى بهم وأخذ يتنقل بينهم، ليسمع ما بقي من العربية المبرأة على ألسنة هؤلاء القوم الذين قالت بينهم الأعاجم، ولم يظفر هناك بطائل إلا ما مرّن عليه من مشقة السفر واكتساب الصديق، واختبار الخلق ثم عاد إلى بدته بالكوفة يشاركها آلامها وشقاءها واحقادها، ينال من فضل بعض أصحابه متعففاً — كمحمد بن عبيد الله العلوي الذي مرّ آنفاً — ولعلّ العلويين الذي نكبوا جدته كانوا يفضلون عايمها ليتقوا بذلك أحداثها أن حدثها نفسها بشيء وبقي المتنبى هناك بالكوفة منقطعاً عن مدح أحد من العلويين أو غيرهم من رجال الكوفة وعظائها. وقد جاء في حديث المتنبى الذي ذكرناه أنه انحدر مرة من الكوفة إلى بغداد وما نشك أن مخرجه هذا إلى بغداد كان فيما بين سنة ٣١٩



الى اوائل سنة ٣٢٠ . ودخل صاحبنا بغداد يرى العجب العاجب من الاحداث التي كانت تقع بها ، وشغب الجند على الخلفاء ، وظهور الموالي من العجم والديلم والترك على مواليهم من الامراء والخلفاء ، وقضاءهم في شؤون الدولة ، وتصريفهم سياسة الأمة على الشهوات المتنازعة ، والاهواء المتصارعة ، لا يرتدعون ولا يرعون . فعف كذلك عن مدح احد من هؤلاء الامراء والخلفاء واقف ان يتكسب بشعره من هؤلاء المحقرين لديه ، ورضي بالفقر واستمسك به ، وبدأت تدفع الدوافع في صدره المملوء احقاداً مؤرثة ، وترات لم يرو بعد من الدم . ففج صدره بالنار المضطربة التي لا تهدأ ، تؤثرها افكاره ونظراته التي لا تفر ولا تكل . ففي سنة ٣٢٠ اعترم الخروج من الكوفة ، وان ابت جدته عليه ذلك ، لما كانت تخشى من تدفعه الى موارد التلف بما يحمل في صدره . — وعقد قلبه على احداث حدث لعله ان يصيب من ورائه ما يبتغي وما يؤمل ، ويدرك به في قوم ثاراً ، ويشفي به صدر جدته وصدره . ولعل هذه الايات التي زويها لك كانت آخر ما قاله بالكوفة مما وصل الينا وما لم يصل من شعره ولعله عني بالخطاب فيها جدته — قال :

محبي قياي ما لذلکم النصل      بريثاً من الجرحى ، سليماً من القتل  
ارى من فري ندي قطعة من فريده      وجودة ضرب الهام في جودة الصقل  
وخضرة ثوب العيش في الخضرة التي      ارتك احمرار الموت في مدرج العمل  
امط عنك تشبيهي بما وكأنه      ( فما احده فوقي ولا احده مثلي )  
وذري واياه وطيرفي وذابلي      نكن واحداً يلقي الوري وانظرن فعلي

وقوله « محبي قياي » يعني ثورته وظهوره وخروجه ، وما نظن احداً كان يحب ذلك منه غير جدته ، مع خوفها عليه وخشيتها ان يصيبه مكروه ممن يرتبص به من العلويين فيما — ذهبنا اليه — وفي الايات اثر بين من ثورة الصبا وغروره ، ولكنها تدل دلالة يذنة على عزيمة هذا الفتى الابي الذي يريد ان يدرك ثاراً ، ويحدث امراً

ولم يمض الا قليل بعد ذلك حتى خرج الفتى من الكوفة واتخذ طريقه — على ما وقع عندنا من الراي — من الكوفة الى بغداد ، ثم خرج لوقته متخذاً طريقه في ديار ربيعة بين النهرين الى نصيبين وراس عين وحران ومنبج ، وطفق ينتقل بين القبائل في جوف البوادي حتى انقضى به المسير الى الشام في سنة ٣٢١ فنزل بدمشق وأعمالها وما يدانها ( اعني بعلبك ، وطرابلس وحمص ) ثم كره الارض التي نزلها ثم سعد سنته الى منبج وحلب واللاذقية وانطاكية ومدح بها من مدح ثم اعتقل بحمص ، لما قالوا به من ادعائه العلوية ثم النبوة ثم العلوية ثم استتب وأشهد عليه بالكذب فيما ادعى ثم تاب وأطلق . هذا موجز رحلته الاولى بالشام وتفصيلها غير ميسر بعد لغموضها ونقصها . ولهذه الرحلة عندنا تفسير آخر سنعرضه بعد



سيصحب الذَّصلَ مِنِّي مثلُ مضرٍ به  
وينجلي خبري عن صَمَّةِ الصَّمَمِ  
لقد تصبَّرتُ حتى لاتَ مصطبرٍ  
فالآن اقحمُ حتى لاتَ مُقْسَحَمِ  
ميعادُ كلِّ رقيقِ الشفرتين غداً  
ومن عصى من ملوك العرب والعجم  
فان اجابوا ، فما قصدي بها لهم ،  
وان تولَّوا ، فما ارضى لها بهم .

النبوة في حياة المتنبي هي أبرز الحوادث التي عرف بها الرجل ثم نُبِزَ بها بَعْدُ . وقد اختلف الناس في امرها اختلافاً كبيراً ، فعلمنا هنا ان نذكر لك اول ذي بدء رواية الرواة في امر نبوته ، تامة كما رووها ثم نعقبها برأينا الذي ارتضيناه ، وقضينا به ، وقد جاءت الرواية بها عن التوخي الذي مرَّ ذكره في اول كلامنا عن نسب المتنبي ، وجاءت اخرى عن ابي عبد الله معاذ بن اسماعيل اللاذقي الذي قال انه لقي المتنبي باللاذقية وبايعه بالنبوة ، واخذ يبعث لاهله ايضاً !! كما سترى

روى التوخي ( علي بن الحسن ) عن ابيه الحسن التوخي عن القاضي ابي الحسن بن ام شيان الهاشمي الكوفي قال :

١ — « وقد كان المتنبي لما خرج الى كلب وأقام فيهم ادعى انه علويٌّ حسنيٌّ ثم ادعى بعد ذلك النبوة ، ثم عاد يدعى انه علويٌّ الى ان أشهد عليه بالشام بالكذب في الدعويين ، وحبس دهرًا طويلاً واشرف على القتل ، ثم استيب ، واشهد عليه بالتوبة واطلق »

٢ — وحدث التوخي ايضاً عن ابيه الحسن قال : حدثني ابو علي بن ابي حامد قال :

« سمعت خلقاً بحلب يحكون — و ابو الطيب المتنبي بها اذ ذاك — انه تنبأ بادية السماوة ونواحيها الى ان خرج اليه لؤلؤ امير حمص من قبل الاخشيديَّة فقاتله وانقره ، وشرَّد من كان اجتمع اليه من كلبٍ وكلابٍ وغيرها من قبائل العرب ، وحبسه في السجن حبساً طويلاً ، فاعتل وكاد ان يتلف حتى سئل في امره فاستتابه ، وكتب عليه وثيقة اشهد عليه فيها بطلان



ما ادعاه ورجوعه الى الاسلام ، وانه تائب منه ولا يعاود مثله واطلقه <sup>(١)</sup> . . . .

ثم هذا حديث معاذ اللاذقي تنقله على طوله

٣ — « قدم ابو الطيب اللاذقية في سنة نيف وعشرين وثلاثمائة ، وهو لا عذار له ، وله وفرة الى شحمتي اذنيه ، فاكرمه وعظمته لما رايت من فصاحته وحسن سمته . فلما تمكن الانس بيني وبينه وخلوت معه في المنزل اغتناماً لمشاهدته ، واقتباساً من ادبه قلت :

والله انك لشابٌ خطير ، تصلح لمنادمة ملك كبير

فقال : ويحك !! اتدري ما تقول ؟ انا نبيٌ مرسل

فظننتُ انه يهزل ، ثم تذكرتُ اني لم اسمع منه كلمة هزل قط منذ عرفته

فقلت له : ما تقول ؟ فقال : — انا نبي مرسلٌ فقلت : الى من مرسل ؟ فقال : الى هذه الأمة الضالة المضلّة . قلت : تفعل ماذا ؟ قال : أملاً الدنيا عدلاً كما مائتٌ جوراً قلت : بماذا ؟ قال : بادرار الارزاق والثواب العاجل لمن اطاع وأتى ، وضرب الرقاب لمن عصا وأبى ، فقلت له : ان هذا امرٌ عظيمٌ اخاف عليك منه وعذلتُه على ذلك ، فقال بديهية

ابا عبد الإله ، معاذٌ ، إني خفيُّ عنك في الهيجا مقامي

ذكرت جسيم مطّلي ، واني اخطر فيه بالمهج الجسم

امثلي تأخذ التكبّات منه ويجزع من ملاقاته الجمام ؟

ولو برز الزمان إليّ شخصاً لحضب شعري مفرقه حسامي

وما بلغت مشيئتها الليلي ولا سارت وفي يدها زمامي

اذا امتلات عيون الخيل مني فويلٌ في التيقظ والنمام

فقلت ذكرت أنّك نبي مرسل الى هذه الأمة ، أفيوحي اليك ؟ قال : نعم ! قلت : فاتل عليّ شيئاً مما أوحى اليك . فأتاني بكلام ما مرّ بمسمعي احسن منه . فقلت : وكم أوحى اليك من هذا ؟ فقال : مئة عبرة واربع عشرة عبرة . قلت : وكم العبرة ؟ فأتاني بمقدار اكبر من الاي في كتاب الله تعالى . قلت : في كم مدة أوحى اليك ؟ قال : جملة واحدة . قلت : اسمع في هذه العبرات ان لك طاعة في السماء ، فها هي ؟ قال : احبس المدرار ، لقطع ارزاق العصاة والفجار ، قلت اتحبس في السماء مطرها ؟ قال : إي والذي فطرها ! اما هي معجزة ؟ قلت : بلى والله ! قال : فإن حبست المطر عن مكان تنظر اليه ، ولا تشك فيه ، هل تؤمن بي ، وتصدقني على ما أوتيت من ربي ؟ قلت : إي والله . قال : سأفعل ، ولا تسألني عن شيء بعدها ، حتى آتيك بهذه المعجزة ، ولا تظهر شيئاً من هذا الامر حتى يظهر ، وانتظر ما وعدته من غير ان

(١) لهذا الحديث تنمة فيها ذكر قرآن ابي الطيب وغير ذلك سنعرض له فيما بعد



تسأله . ثم قال لي - بعد ايام - : أتحبُّ ان تنظر المعجزة التي جرى ذكرها ؟ قلت : إي والله فقال لي : اذا ارسلت اليك هذا العبد فاركب معه الي ولا تتأخر ، ولا تخرج معك احداً . قلت : نعم فلما كان بعد ايام تغيّست السماء في يوم من ايام الشتاء ، واذا عبده قد اقبل فقال : يقول لك مولاي : اركب للموعد فبادرتُ الى الركوب معه ، وقلت : اين ركب مولاك ؟ قال : الى الصحراء . واشتد وقع المطر فقال : بادربنا حتى نستتر من هذا المطر مع مولاي ، فإنه ينتظرنا بأعلى تل لا يصيبه فيه مطر . قلت : وكيف عمل ؟ قال : اقبل الى السماء أوّل ما بدا السحاب الاسود ، وهو يتكلم بما لا افهم ثم اخذ السوط فدار به في موضع ستنظر اليه ... واذا هو على تل بعيد عن البلد نصف فرسخ ، فأثيت اليه ، فإذا هو على التل لم يصبه من ذلك المطر شيء ، وقد خضت في الماء الى ركبة الفرس ، والمطر في اشد ما يكون . ونظرت الى نحو مئتي ذراع في مثلها من ذلك التل ما فيه قطرة مطر . فسلمت عليه فردّ عليّ السّلام . فقلت : ابسط يدك .

اشهد انك رسول الله . فبسط يده فبايعته بيعة الاقرار بنبوته ثم قال  
ايُّ محلّ ارتقي ايُّ عظيم اتّقي  
وكلّ ما خلق الله وما لم يخلق  
مختصّ في همّي كشعرة في مفريقي

واخذت يعمته لاهلي ، ثم صحّ بعد ذلك ان البيعة عمّت كل مدينة الشام . وذلك بأصغر حيلة تعلّمها من بعض العرب وهي « صدحة المطر » يصرفه بها عن اي مكان احبّ بعد ان يحوي يعصاً وينفث في الصدحة التي لهم  
قال ابو عبد الله : وقد رأيت كثيراً منهم بالسكون وحضرموت والسكاسك من اليمن يفعلون هذا ولا يتعاطمونه ، حتى ان احدهم يصدق عن غنمه وابله وعن القرية فلا يصيبها شيء من المطر ، وهو ضرب من السّحجر . وسألت المتنبي بعد ذلك : هل دخلت السّكون ؟ قال : نعم ! أما سمعت قولي

مُأبِثُ القطر اعطشها ربوعاً والّا فاسقها السّمّ النقيعاً  
أمنسي السّكون وحضرموتاً ووالدي وكندة والسبيعاً

فقلت من ثم استفاد ما جوزه على طعام اهل الشام . . . . ( وانت منهم يا ابا عبد الله اذن )  
ثم قال ابو عبد الله هذا : ومما كان يمحرق به في البادية ، انه كان مشاء قوياً على السير يسيراً لا غاية بعده ، وكان عارفاً بالفلوات ، ومواقع المياه ، ومحال العرب بها . وكان يسير من حلة الى حلة بالبادية ، وينهما مسيرة اربعة ايام ، فيأتي ماء فيغسل وجهه ويديه ورجليه ، ثم يأتي اهل هذه الحلة فيخبرهم ما حدث في تلك الحلة التي فارقها ويوهم ان



الارض تطوى له . وسئل في تلك الايام عن النبي صلى الله عليه وسلم : فقال : اخبر بنبوتي حيث قال : « لا نبى بعدي » وأنا اسمي في السماء ( لا )

ولما اشتهر امره ، وشاع ذكره ، وخرج بأرض ( سَلَامِيَّة ) من عمل حصص في بني عدي ( وظهر منه ما خيف عاقبته )<sup>(١)</sup> قبض عليه ابن علي الهاشمي في قرية يقال لها ( كوتكين ) وأمر التجار ان يجعل في رجليه وعنقه قرمتين من خشب الصفصاف فقال المتنبى :

زعم المقيم بكوتكين بأنه من آل هاشم بن عبد مناف

فأجبتة مذ صرت من ابنائهم صارت قيودهم من الصفصاف

انتهى حديث معاذ بن اسماعيل اللاذقي ( ابي عبد الله الصديق ) الذي كان اول من صدق نبوة ابي الطيب وآمن به وأخذ يبعته لاهله ! !

وما دمننا قد اطلنا بذكر هذا الحديث فلا بأس عليك ان شاء الله - ان نقلنا لك ما رواه ابو العلاء المعري ايضاً قال :

« وحدثني الثقة عنه حديثاً معناه انه لما حصل في بني عدي وحاول ان يخرج فيهم قالوا - وقد تبينوا دعواه : ها هنا ناقة صعبة ، فان قدرت على ركوبها أقررنا انك مرسل ، وانه مضى الى تلك الناقة وهي رائحة في الابل فتحيل حتى وثب على ظهرها فنفرت ساعة وتكرت برهة ، ثم سكن نفارها ومشت مشي المسححة ، وانه ورد بها الحلة وهو راكب عليها فمجبوا له كل العجب وصار ذلك من دلائله عندهم

وحدث ايضاً انه كان في ديوان اللاذقية ، وان بعض الكتّاب انقلبت على يده سكين الاقلام فجرحته جرحاً مفرطاً ، وأن ابا الطيب تمثل عليها من ريقه وشد عليها غير منتظر لوقته . وقال للمجروح : لا تحاها في يومك ، وعد له اياماً وليالي ، وان ذلك الكتّاب قبل منه فبريء الجرح فصاروا يعقدون في ابي الطيب اعظم اعتقاد ويقولون : ( هو كحجي الاموات )

وحدث رجل كان ابو الطيب قد استخفى عنده في اللاذقية او في غيرها من السواحل : انه اراد الانتقال من موضع الى موضع ، فخرج بالليل ومعه ذلك الرجل ، ولقيهما كلب الخ عليها في التباح ، ثم انصرف . فقال ابو الطيب لذلك الرجل وهو عائد : انك ستجد ذلك الكلب قد مات ، فلما عاد الرجل الى امره على ما ذكر . . ولا يتمتع ان يكون اعد له شيئاً من المطاعم مسموماً ، وألقاه له وهو يخفي عن صاحبه ما فعل . . . والحِرَيقُ سَمُّ الكلاب »

هذا حديث نبوته ونبوءاته ومعجزاته عند اكثر الرواة ، اما قرآنه فقد اجمعوا انه لم يبق



الاً ما نرويه لك قال ابو علي بن ابي حامد — الذي مرّ آتفاً — :  
 وكان ( يعني ابا الطيب ) قد تلا على البوادي كلاماً ذكر انه قرآنٌ اُزل عليه ، وكانوا  
 يحكون له سوراً كثيرةً ، نسخت منها سورة ضاعت ، وبقي أولها في حفطي وهي :  
 « والنجم السّيار ، والفلك الدوّار ، والليل والنهار ، إن الكافر لفي أخطار ، امض على سننك ،  
 واقف أثر من كان قبلك من المرسلين ، فإن الله قامع زيف من الحد في دينه ( الدين ) وضل عن  
 سبيله ( السبيل ) » قال : وهي طويلة لم يبق منها في حفطي غير هذا  
 وأنا لا أحب أن اتجاوز هذه النصوص إلى ما سواها ، إلا وقد نظرت فيها وبصّرت  
 القارئ بالتوائها وضعفها ووهنها ، ويأتيه ما استبطناه وقد وقر في نفسه ردّ هذه المقالة التي نبز  
 بها أبو الطيب ، وبذلك يقوم ردنا مقام البيّنة على ما أردناه — أصبنا أو أخطأنا  
 لن نعود تارة أخرى إلى ما قدّمنا من ذكر التنوخي ثم روايته عن أبي الحسن العلوي  
 وابن أم شيان الهاشمي ، ففي أول كلامنا تجد بعض الأدلة على وهن رواية التنوخي ، واستسقاطنا  
 إياها ، ولا غنى لك عن العودة إلى تذكره عند هذا الحديث عن نبوة المتنبي  
 يسمنا لك فيما مرّ ما بين أبي الطيب وبين العلويين ، وأن صاحبنا كان له عندهم ثأراً قديماً هو  
 الذي أراد أن يدركه فيهم ، وينال « حقّه » منهم ، ورجح عندنا الاستنباط ان يكون أبو  
 الطيب « علويّاً » منسوباً في نسبه وشرفه وجهه ، وأنه كان يريد ان يظهر نسبته إلى العلويين  
 ولكن عارضته دون ما أراد أهوالٌ وأحداثٌ ، فإذا جمعت هذا الرأي هنا ونظرت في النص  
 الذي وقع إلينا من التنوخي عن ابن أم شيان الهاشمي — وهو علوي كبير — ملكك الشكّ وغلب  
 عليك فيما روى فإنه لم ينس أن يذكر لنا فيما قال — لو صدق التنوخي في روايته عنه — أن  
 أبا الطيب ادعى العلوية مرتين

أما حديث معاذ بن اسماعيل اللاذقي فنقد سننّه لا يتيسر لنا لأن صاحبنا هذا اللاذقي مجهولٌ لم  
 نقع له على ذكر ، ولكن لما لا شك فيه أن اللاذقية التي نسب إليها كانت لوقت أبي الطيب موطناً  
 لفئة من العلويين ، ومحطاً لكثير من كبار الدعاة العلويين الذين أحدثوا أحداثاً عظيمة في  
 التاريخ العربي كله . فلا بأس من ان يجعل هذا ذكراً مذكوراً وانت تبصر في اصل الرواية ،  
 على وهنها وتضاربها وتهالك معانيها التي يفسد بعضها بعضاً كما سترى بعد  
 فالحديث الاول وهو حديث ابن أم شيان الهاشمي عجيبٌ لا يفرغ من العجب من اختصاره  
 وتداخله فهو رتب امر ظهور المتنبي على درجات ثلاث الاولى ادعاؤه العلوية ، والثانية النبوة ،  
 والثالثة العلوية ايضاً . فاما ان يدعي العلوية ، ثم يعود فيدعي النبوة فهو قول لا بأس به ، ولكن  
 العجب انه بعد هذا عقب على النبوة بلفظ التعقيب ( ثم ) فقال « ثم عاد يدعي أنه علوي » .



فالذي يدعي النبوة ويبيع بها كما يقول اللاذقي الصديق !! — لا يعقب على هذه الدعوى بالعلوية . فادعاء الرجل النبوة ثم انحطاطه منها إلى العلوية إكذاب لنفسه، وإقرار منه بالخرقة على الناس والعبث بهم . ولا يكون ادعى النبوة ثم ينحط منها إلا بعد قتالٍ يرغم فيه على التسليم، ولا شك أنه إن كان فعل بصاحبنا ذلك ، لحُبس لوقته قبل أن يتمكن من القيام بالدعوة إلى نفسه مرة أخرى بين بني كلب فيدعي العلوية . ثم لو أنه كان مطلقاً ، ورجع عن النبوة إلى ادعاء العلوية ، لكان ذلك كافياً في تكذيبه وتحقيره عند من سلموا له بما ادعى من علويته بدءاً ، ونبوته بعد . فهذا وجه في إبطال هذا النص

أما حديث أبي علي بن أبي حامد — ولم نعرف الرجل — فهو حديث محكم لا يقع فيه هذا الاعتراض الذي قدمناه إذ اقتصر صاحبه على ذكر النبوة وحدها ، وما يأتيه التوهين إلا من قبل غرابته عما جرت عليه الأحكام في شأن من يدعون النبوة ، فيقول أبو علي إن لؤلؤاً أمير حمص «استتابه» ، وكتب عليه وثيقة أشهد عليه فيها ببطان ما ادعاه ورجوعه إلى الإسلام» أما إن يستثنيه ويشهد عليه أنه تائب فهذا لا بأس به وهو الحكم مع المتنبئين ، وأما إن يكتب وثيقة عليه ببطان نبوته فهذا امر لامعنى له ، لأن الوثيقة إنما تكتب فيما يخاف من قبله معاودة الدعوى ، فتكون إقراراً مكتوباً مشهوداً عليه بالبطان من المدعي نفسه كدعوى المملكية في العروض، ودعوى العلوية «مثلاً» في النسب، فتكون الوثيقة حجة عليه إذا عاد ليُحاجَّ الناس فيما ادعاه بعد الإقرار بالكذب في الدعوى الأولى ، أما النبوة فالامر فيها على غير ذلك فإن الرجل إذا ادعى النبوة ثم استتب واشهد على نفسه بالكذب فيما ادعى ، ثم رجع بعد ذلك يدعيها مرة أخرى لم يكن يُنظر حتى يحاج الناس فيما يدعي ، ويقول لهم أنكم لم تأخذوا علي وثيقة مكتوبة مشهوداً علي فيها بالكذب ، وإنما يكون جزاؤه القتل من غير إِنْظار ولا استتابه

فهذه الوثيقة التي ذكرها أبو علي — إن صح أمرها — إنما تكون قد أخذت عليه في دعوى العلوية لا دعوى النبوة . فأنت ترى أن نص ابن أم شيان فيه ذكر العلوية مرتين ، وإن ذكر النبوة يكاد يكون مقحماً فيه ، وترى أن نص أبي علي بن أبي حامد يرجح دعوى العلوية لا دعوى النبوة ، فإذا قرنت هذا إلى ما تمادينا في ذكره عن نسب المتنبى وما اتينا به من الحجة في ترجيح نسبته إلى العلويين ، لم تبعد عن الحكم بأن هذه الروايات إنما يراد بها العلوية لا النبوة

أما ثالث الأحاديث — وهو حديث أبو عبد الله الصديق !! معاذ بن اسماعيل اللاذقي — فعجب كله وبطلانه بين للتدبر ، ولولا أن كثيراً ممن كتب عن المتنبى مرَّ به ولم يعرض له ، لتركناك تحكم بوضعه من سياقه ومدرجه دون أن نأخذ أنفسنا بنقده . وأنت إذا تدبرت الحوار



الذي زعمه ابو عبد الله هذا بينه وبين ابي الطيب ، لم تشك ساعة في ان الرجل كان يضع هذا الكلام وضعاً ولا يرويه رواية . والعجب له !! — قد اتهم نفسه في مواضع من كلامه بقلّة العقل وعمى البصيرة ، وسرعة التهور في التسليم

فهذا المسمى معاذاً كان ولا شك رجلاً مسلماً مدركاً يملك من العقل مقداراً يكفي — على الاقل — في الانصات له اذا حدث ، والا لبطل حديثه هذا من غير محاولة منا في ابطاله ... فان كان كذلك او اقل من ذلك قليلاً ، فما نظنه كان يصبر على الرجل حين ادعى النبوة كل هذا الصبر ، فيبادى في الحوار معه ثم يصف كلام فتى في السابعة عشر انه (ما مرّ بسبعه احسن منه) ، فهذه اما ان تكون كلمة جاهل او كلمة وضاع يريد ان ينتقص من الرجل ، فهو يبيء لا تنقاصه بامتداحه وتعظيمه . ثم كيف يعقل ان رجلاً مسلماً كان في عصر المتنبى ، ثم في مدينة كاللاذقية ويدل كلامه على بعض العلم ، يصدّق دعوى حبس المطر ويعدّها معجزة ، فضلاً عن تصديقه النبوة بعد موت محمد صلى الله عليه وسلم ! وأعجب من ذلك في الوضع البين انه يدعي هذا المسمى معاذاً انه اقر بنبوة المتنبى ثم بايعه لما رأى معجزة حبس المطر وأنه اخذ البيعة لاهله ايضاً على الايمان به ، فأى رجل مسلم غير جاهل ولا مفتون في ذلك العصر يتهور في الكفر بغير معجزة ولا بينة ، ومن عجيب سهو هذا اللاذقي في الوضع انه قال بعد ذلك توّاً « يريد معجزة حبس المطر » « وذلك بأصغر حيلة تعلمها من بعض العرب » . فلو انه كان قد اتقن وضعه لزعم انه بقي على بيعة المتنبى والاقرار له بالرسالة الى ان رأى — بعد زمان — او سمع واستيقن ان الذي فعله المتنبى وزعمه معجزة له ، امرٌ مشهور عند بعض العرب يتعاطونه اذا كرههم المطر ثم يصف كما وصف انه « صدحة المطر » يصرفونها به عن اي مكان يحبون بعد ان يحوون بعضاً وينفثون في الصدحة التي لهم . . . . . الخ فكفر بنبوة المتنبى لذلك وتاب ورجع الى الاسلام . ثم من ضعف وضع هذا اللاذقي انه زعم انه كان قد رأى كثيراً من اهل السكون وحضرموت يفعلون صدحة المطر ولا يتعاطونها ، فسأل المتنبى : هل دخلت السكون ، قال : نعم ! وما دام اللاذقي هذا كان قد عرف هذه الصدحة ، فكيف آمن بنبوة صاحبه ولا دليل له على نبوته غيرها ، وهي مشهورة في الين معروفة معمول بها كما يقول

وأعجب من هذا انه يدعي ان دعوة المتنبى قد عمت كل مدينة بالشام وبويع له بها ، كيف يكون هذا ؟ والشام اذ ذاك منزل من منازل أئمة الدين والعلم ، وكان اكثر اهائها لا يتخلفون عن صلاة ، ولا يزال بين ظهرانيهم عالم يقرأ في مجلسه ، او واعظ يعظ في حلقة ، او خطيب يخطب من منبره ، ثم يؤمنون بدعوى رجل لا تؤيده معجزة بيانية ، ولا خارقة كونية ، وان زعمنا ان اللاذقي قد آمن بالمتنبى لصدحة المطر ، افئوس من له كل مدينة بالشام وتبايعه لهذه الضلالة



او هذه الاكذوبة التي لا تعقل . ليكن اللاذقي رجلاً لا عقل له ، أفىكون اهل الشام كلهم هذا الرجل ؟ !

ويقول اللاذقي للمتنبى يخوفه بما يقول به من النبوة «ان هذا امرٌ عظيم اخاف عليك منه» فيجيبه المتنبى بشعر لا ذكر للنبوة فيه ، وانما هو شعر رجل مقاتل يريد الحرب ، لا نبى يريد ان يؤمن الناس به ، ثم ان الذي قاله في الشعر يدل على غير ذلك فانه قال

ذكرت جسمَ مطلي ، واني اخاطر فيه بالمهج الجسام

وليست النبوة مطلباً يطلب ويحاطر فيه بالنفس والنفيس ، انما النبوة امر من الله لمن اوحى اليه ان يصدع بما يؤمر به ، فيكون عمله هداية الناس بالدين او بالشدة كما يشاء الله ، فلا يكون ذلك مطلباً للنبي يريد ان يناله ، بل يكون امراً يجب ان يطيعه ويعمل به ، وكذلك الايات التي انشدها

أي محل أرتقي اي عظيم أتقي

فالقول فيها قريب من هذا . اما البيتان الاخيران فهما الدليل على تلفيق الرجل فالبيت الاول هذا «مات القطر» اول قصيدة للمتنبى ، والبيت الثاني في آخر القصيدة ، ولا رابط بين البيتين حتى ينشدهما المتنبى معاً في الاستدلال على دخول السكون أو حضرموت ، وكان يكفيه البيت الثاني في الاستدلال لما اراد . ثم ان المتنبى بغير شك لم يدخل اليمن في حياته كلها من يوم ولد إلى يوم مات . أما الذي ذكر في الايات فهو كما قدمنا لك أسماء خطط لاهل اليمن بالكوفة التي ولد بها أبو الطيب

وأيضاً فإن هذه القصيدة التي منها هذان البيتان في مدح علي بن ابراهيم التوخي وكان مدحه سنة ٣٢٣ بعد خروجه من السجن أو بعد رجوعه عن الكوفة إلى الشام سنة ٣٢٦ على ما حققناه <sup>(١)</sup> وهذا الذي ذكره اللاذقي في حديثه كان سنة ٣٢١ قبل أن يقبض عليه . فهذه كلها أدلة بيّنة على وضع القصيدة وتلفيقها ، وانها وضعت على الأرجح بعد وفاة المتنبى

ومن اكاذيب هذه الرواية أيضاً دعواهم أن المتنبى كان عارفاً بالفلوات ، ومواقع المياه ، ومحال العرب بها ، فذلك لا يتيسر إلا لمن ولد بهذه البلاد ونشأ بها ، والمتنبى دخل البلاد في السنة التي يروي فيها اللاذقي هذا الحديث وحبس في السنة نفسها ، فما كان له ان يعرف مجاهل البادية ومواقع مياهها ومحال اهلها كما زعم في قلة من الوقت . فانظر الآن ما تقول في هؤلاء الوضاعين ! أما معجزات المتنبى فلا تتكلم فيها لان بطلانها بين وفسادها مكشوف ، ولقد علمت بهذه

(١) الرأي هو هذا الاخير كما سترى بعد في موضعه ، ولا يصح عندنا غيره



الاحاديث التي رويها لك انهم كانوا يريدون أن يتهموا الرجل بما هو منه براء ، فأولى أن تكون المعجزات التي رواها أبو العلاء ضرباً من الكيد له وتأيداً لاتهمم الرجل بدعوى النبوة أما قرآنه فهو كما ترى ليس بقرآن ، وإنما هو « ضرب من الهذيان » ، والعجب أن يبايع له اللاذقي ولا يحفظ من قرآنه شيئاً ثم يصفه فيقول « ما مرّ بمسمعي أحسن منه » ثم الاعجب أن تم بيعته كل مدينة بالشام كما قال ، ولا يبقى من قرآنه إلا هذه الحماقة الصغيرة التي رووها ، يزعم أبو علي بن أبي حامد أنها بقيت في حفظه

ولا ندري لماذا أصيب المتنبى بهذا العجب !! في مسألة نسبه ، كانت نسبته الى جعفي التي كان يخفيها خوفاً لا يعرفها إلا التنوخي وابن أم شيبان ، وأبو الحسن العلوي ، وقرآنه لا يحفظه إلا أبو علي بن أبي حامد واللاذقي ثم لا يحفظان معاً منه إلا قطعة بعينها مع ان اللاذقي قد ذكر تعدادها مئة عبرة وأربع عشرة عبرة ، واتفقا معاً على حفظ هذه القطعة ونسيان ما بقي من هذا العدد

وبعد فإن أحداً لا يشك في ان الرجل ( أبي الطيب ) كان قد سجن لأمراً ما ، ولكن حرص هؤلاء الذين رويوا اقوالهم على ان يجعلوا حبسه من أجل النبوة يجعلنا نرى انهم جعلوا مسألة النبوة غطاءً يسترون به حقيقة ما قام من اجله أبو الطيب فقبض عليه . ويمن على مذهبا في نسب المتنبى ان الرجل حبس من اجل دعوى العلوية التي ذكرها الرجل الطيب ابن أم شيبان واقحم عليها النبوة ليجعل دعواه في علويته كذباً ، فان الذي يدعي النبوة لا يتورع عن ادعاء العلوية ، ثم ان هذا الرأي من ابن أم شيبان — ان صح عنه — يزيدنا يقيناً بان الرجل كان يعرف من امر نسب المتنبى شيئاً ويريد ان يخفيه وأن لا يظهر عليه احداً من الناس ومسألة القبض على المتنبى لها عندنا سياق تاريخي آخر استنبطناه ، ولكن يحسن بك ان تهى في نفسك مرة اخرى ما قلنا به من نسبة المتنبى الى العلوية ، وما افضنا فيه من القول في عدة مواضع ليسهل عليك ان تعمينا على تحقيق ترجمة الرجل . هذا ونحن والقارىء في هذا الموضوع سواء ، فن تبن له وجه او توجه له رأي ، فليكتب لنا به مشكوراً





دعوتك لما براني البلاء  
وأوهن رجلي ثقل الحديد  
وقد كان مشيهم في النعال  
فقد صار مشيهم في القيود  
وكننت من الناس في محفل  
فها أنا في محفل من قروود  
فلا تسمن من الكاشحين  
ولا تعبان ( بعجل اليهود )  
وكن فارقاً بين دعوى ( اردت )  
ودعوى ( فعات ) بشاؤ بعيد

قأما ان المتنبى في اواخر سنة ٣٢٠ اعتمزم الخروج من الكوفة ، وأنه عقد قلبه على احداث  
حدث لعله ان يصيب من ورائه ما يبتغي وما يؤمل ، ويدرك به ثأراً في قوم ، ليشفي به صدر  
جدته وصدره ، ثم انقذ عزمه في الرحلة عن الكوفة الى بغداد ومن ثم اتخذ طريقه مصعداً  
الى ديار ربيعة بين النهرين الى الموصل ونصيبين ورأس العين وانحدر بعد الى الشام فقبض عليه هناك  
وكان مرور المتنبى برأس عين في اوائل سنة ٣٢١ على الأرجح وفي تلك السنة حدث حادث  
كان من جرائه ان قتل ابو الاغر بن سعيد بن حمدان ( ابن عم سيف الدولة ) ، وذلك ان بني  
ثعابة اجتمعوا الى بني اسد القاصدين الى ارض الموصل ومن معهم من طيء فصاروا يداً واحدة  
على بني مالك ومن معهم من تغلب ( وهم قوم بني حمدان ) ، وقرب بعضهم من بعض للحرب .  
فركب ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان ( اخو سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان )  
في اهله ورجاله ومعه ابو الاغر بن سعيد بن حمدان للصالح يذهب ، فتكلم ابو الاغر فطعنه رجل من  
حزب بني ثعابة فقتله ، فحمل عليهم ناصر الدولة ومن معه فانهزموا ، وقتل منهم ومالكت بيوتهم ،  
وأخذوا حريمهم وأموالهم ، ونجوا على ظهور خيلهم . وتبعهم ناصر الدولة الى الحديثة ( بقرب  
الموصل ) فلما وصلوا اليها لقيمهم يأنس غلام مؤنس وقد ولي الموصل وهو مصعد اليها ، فانضم اليه



بنو ثعلبة وبنو اسد وعادوا الى ديار ربيعة . وانقطع عند هذا التاريخ الذي بين ايدينا في كتب التاريخ ولكن بعض رواة ديوان المتنبى او شراحه يقولون ان المتنبى مر برأس عين في سنة احدى وعشرين وثلاثمائة وقد اوقع سيف الدولة بمرو بن حابس من بني اسد ، وبني ضبة وبني رياح من بني تميم فمدحه بقصيدته التي اولها

ذكر الصبا ومراتع الآرام      جلبت حمامي قبل يوم حمامي

وذكر ما كان من امر سيف الدولة مع هؤلاء الذين ذكرناهم من قبائل العرب النازلين في ارض الموصل وما جاورها ، فين « ان لقاء سيف الدولة لهؤلاء الخارجين من بني اسد وبني ضبة وبني رياح كان على أثر قتالهم ابن عمه ( ابا الاغر بن سعيد بن حمدان ) ، وان مدح المتنبى سيف الدولة قد احفظ عليه بني اسد وبني ضبة حتى كان من امرهم بعد معه ما كان — على ما نذهب اليه — من انهم قتلوه بالعراق كما سيأتي بعد

ويقول رواة الديوان أن أبا الطيّب لم ينشد سيف الدولة هذه القصيدة ، ولا نظن ان ذلك يكون دليلاً على أنه لم يلق سيف الدولة في سنته تلك ، بل الأرجح عندنا انه لقيه وحده ، واتصل بينهما الود قليلاً قليلاً ، وفي القصيدة ايات تدل على ان سيف الدولة ( وكان صغيراً في مثل سن المتنبى ) افضل عليه بعض الافضال واكرمه واجبه . والعجب ان تكون هذه القصيدة وهي من اول قصائده في حياته <sup>(١)</sup> تدل على حبّ بليغ لسيف الدولة ، يقرب من حبه له بعد ، والذي تدل عليه مدائجه التي استفاضت بعد اتصاله به في سنة ٣٣٧ كقوله مثلاً

وتعذر الاحرار صيرَ ظهرها <sup>(٢)</sup> إلا إليك عليّ ظهر حرام  
( أنت الغريبة ) في زمان أهله      ولدت مكارمهم لغير تمام  
أكثرت من بذل النوال ولم تزل      علماً على الافضال والانعام  
صغرت كل كبيرة ، وكبرت عن      لكأنه ، وعددت سن غلام  
ورفلت في حلل الثناء ، وانما      عدم الثناء نهاية الاعدام  
عيب عليك ترى بسيف في الوغى ،      ما يصنع الصمصام بالصمصام ؟  
ان كان مثلك كان او هو كائن      فبرئت حينئذ من الاسلام

وهذا غلو عجيب ... وانت اذا رجعت إلى مدائح المتنبى الى ان اتصل بسيف الدولة في سنة ٣٣٧ لم تجد دلالة الحب والتعظيم بادية في مثل هذه المعاني ، وغيرها مما لم نذكره من القصيدة . ولعل المتنبى كان قد رأى من سيف الدولة في ذلك العهد مثلاً من امثلة المروءة والفتوة التي كان

(١) كانت سن المتنبى اذ ذاك ١٨ سنة (٢) يعني ظهر ناقته



يفقدها في رجال عصره ، وانت ترى ان المتنبى في صغره كما يتناك اول كلامنا — كان يرى الرجولة والفتوة المثل الاعلى الذي يعلق به طرفه ، وذلك لما انطوى عليه قلبه من حب المجد وطالب الثأر ، ولما في نفسه من الثورة على زمنه واهله ، ومن ظلموه وارادوا به شراً وذللاً ومهانة وعجب ايضاً ان لا يمدح المتنبى واحداً من الخلفاء وابنائهم وهم بالعراق ، ولا احداً من كبار العراقيين من الامراء ثم يعمد الى مدح بني حمدان وحدهم ، ولم تكن شوكتهم بعد قد بلغت مبلغ غيرهم من الامراء ، فذلك دليل على انه لم يمدحهم للعتاء وحده ، بل مدحهم لامر آخر لا نكاد نتيقن إلا أطرافاً منه ، ولعل بني حمدان كانوا يعرفون من أمر المتنبى شيئاً ، وكانوا يصلون جدته في حال نكبتها ، فذلك ذكر المتنبى أبوي سيف الدولة في القصيدة وطلب لقبريهما السقيا ، وقد كان له مندوحة عن ذكرهما ، وذلك قوله

صلى الإله عليك غير مودّع وسقى ترى أبوينك صوب غمام

وفي مدحه لبني حمدان أو سيف الدولة وإخوته وأبويه على التحقيق ما يرجح ذلك

قوم تفرست المنايا فيكم فرأت لكم في الحرب صبر كرام

تالله ما علم امرؤ لولاكم كيف السخاء ، وكيف ضرب الهام

وعندنا أن هذه القصيدة قد أثبتت في صدر سيف الدولة محبة هذا الفتى العربي الطموح الثائر الذي لا يستقر ، وكأن توافقهما في السن<sup>(١)</sup> والفتوة قد جمع بين قلبيهما ، ولولا ما كان في صدر المتنبى من الاماني التي لا تهدأ ولا تفت ، لبقى معه ، ولولا ما كان فيه سيف الدولة من مثل ذلك ، ومن أهبطه إلى حرب بني أسد وبني ضبة ، لعزم على صاحبه في الرفقة في الحل والترحال ، ولكن أراد الله شيئاً فكان . . . . .

وخرج المتنبى من أرض بني حمدان ، ومن جوار سيف الدولة خاصة إلى عزمته بالشام . وبدأت الحوادث تأخذه أخذاً حتى رمت به في سجنه ، ولم يكن المتنبى لذلك العهد مغموراً مجهولاً كما يذهب إليه أكثر الكتاب ، بل كانت قصائده قبل مدخله إلى الشام قد أثبتت عليه عيون الدولة العباسية وجواسيسها ، وأطراف العلويين الذين هضموه وظهروه ، ونظرات العلويين الفاطميين أيضاً ، وكانت دعوة الفاطمية قد نفذت في بلدان العربية في تكسّمها واستئثارها ، مع قوتها وحصافة القائمين بالدعوة إليها ، وما كان لهم من المذاهب في التدخل في شؤون السياسة تدخلًا حكيمًا سرّياً ، يترفقون له ليصلوا إلى ضرب الخلافة العباسية والقضاء عليها ، وإقامة الخلافة العلوية الفاطمية

وكان الذي أمسك العيون على المتنبى فيما نذهب إليه ، أنه قبل ان يلتقى سيف الدولة في المرة

(١) ولد المتنبى سنة ٣٠٣ وولد سيف الدولة في تلك السنة



الاولى سنة ٣٢١ وكان في طريقه بأرض العراق قال من الشعر ما وقع إلى هؤلاء ، فالفهم إليه  
 فمن ذلك ما روى من أن أبا سعيد الجيمري عذله على تركه لقاء الملوك وامتداحهم فقال له  
 أبا سعيد جنب القصابا فرب رأي أخطأ الصوابا  
 فانهم قد أكثروا الحجابا واستوقفوا لردنا البوابا  
 وإن حد الصارم القرصابا والذابلات السمر والعرابا  
 ترفع فيما بيننا الحجابا

فمثل هذا القول لا يذهب باطلاً عند أصحاب الامر في الدولة ، ومن يضعون عيونهم على  
 سياسة العصر ودسائسه ، وقد كان عصرًا مملوءًا بكل عجيب من الدعوات الخفية ، والثورات  
 السرية التي لا يخطئها مطلع على تاريخ تلك الفترة من العصر العباسي . ويؤمن من شعر المتنبى  
 الذي وقع في ترتيبنا لديوانه في هذه الفترة أنه حين دخل العراق لقي بعض الكيد على أثر ما عرف  
 عنه من الثورة القائمة في صدره ، ودليل ذلك قوله

رماي خساس الناس من صائب استه وآخر قطن من يديه الجنادل  
 ومن جاهل بي ، وهو يجهل جهله ، ويجهل علمي أنه بي جاهل  
 ويجهل أي — مالك الارض — معسر — وأي — على ظهر السماكين — راجل

ولم يكنف صاحبنا بذلك بل خرج الى ذكر نفسه وصفها ، وعرض بما يضر من الخروج  
 ابتغاء لما يؤمل من الثار أولاً وما سماه ( المجد والعلی ) تالياً . فقال

تحقر عندي همتي كل مطلب ويقصر في عيني المدى المتطاوُل  
 وما زلت طوداً لا تزل مناكي الى أن بدت ( للضم ) في زلازل

يخيّل لي أن البلاء مسامعي وأي فيها ما تقول العواذل  
 ومن يبع ما أبغي من المجد والعلی تساوا الحايي عنده والمقاتل  
 ( ألا ليست الحاجات الا نفوسكم وليس لنا الا السيوف وسائل )  
 ( غثاة عيشي أن تغث كراحتي وليس بغث أن تغث الماكلك )

ولا يلقنك ما نحن فيه عن أن تعود الى ما ذهبنا اليه في أمر نسبه ونكتبه الاولى وهو  
 صغير ، لتعلم سر القول في قوله ( الى أن بدت للضم في زلازل ) فهو يردك الى ذكر المشكلة  
 القائمة في نفسه والتي وصفناها لك على ما وقفنا اليه ، إذ أنه بهذا الشرط قد ضمن لك معنى ما  
 زيد من أنه كان مغلوباً على أمره ، محكوماً عليه بأمر كله ظلم وضم فلهذا بلغ مبلغاً ، زلله هذا الضيم  
 وقد حاول من صدره مخرجاً على انه كان — كما وصف نفسه — رابط الجأش ثابت النفس



ثبوت الجليل على ما يعمل تحته من العوامل البركانية التي تبتغي مخرجاً بالانفجار  
دَعَا — ونعود الى شعره في الفترة التي نحن فيها من تاريخه ، فكان مما قاله في العراق  
ايضاً قصيدته التي اولها « ضيف ألم برأسي غير محتشم » ونقل اليك طرفاً منها لتدبره على  
ما رسمنا يقول

ليس التعاقل بالآمال من أربي      ولا القناعة بالاقلال من شيمي  
ولا اظنُّ بنات الدهر تتركني      حتى تسدَّ عليها طُرُقها هممي

سيصحبُ النصلَ مني مثلُ مضره      وينجلي خبري عن صِمة الصممِ  
لقد تصبرتُ حتى لاتَ مصطبر      ( فالآن أقحم حتى لاتَ مقتحم )  
لا تُركنُ وجوه الخيل ساهمةً      والحرب اقوم من ساق على قدمِ  
بكلِّ منصامتٍ ما زالَ منتظري      ( حتى أدلت له من دولة الخدمِ )  
تنسي البلاد بروق الجوِّ بارقي      وتكتفي بالدم الجاري عن الديمِ  
ردي حياض الرَّدَى يا نفس واتركي      حياض خوف الرَّدَى للشاء والنعمِ  
( أن لم أذكرك على الارماح سائلةً      فلا دعيت ابن ام المجد والكرم )  
( أيملك الملك — والاسياف مظامةً      والطير جائئة — لحم على وضم )<sup>(١)</sup>  
من لورآني ماءً مات من ظمإٍ      ولو عرضت له في النوم لم يئمِ  
ميعاد كل رقيق الشفرتين غداً      ( ومن عصي من ملوك العرب والعجم )  
فان اجابوا فما قصدي بها لهم      وان تولّوا فما ارضى لها بهم

فهذا الذي اثبتنا لك من شعره في القصيدتين ، وما صرح به فيهما عن آماله وآرايه ، وعن  
رأيه في الدولة العباسية التي ملك زمامها العجم والديلم والترك بمن كانوا من خدم الخلفاء ، وعن  
رأيه في الخليفة الضعيف الذي لا يملك من أمر نفسه شيئاً ثم يعدُّ في نظر شعبه ملكاً بمسكا  
تعطى له المقادة ، وتصرف اليه الطاعة بالاذعان والتسليم ، وما يتجلى في كلماته من ارادة التغلب  
والثورة على الدولة عربها وعجمها ، كل ذلك ولا شك جاب على صاحبنا على صغره اهتمام القائمين  
بأمر الدولة من الولاة والدعاة من العرب والعجم والترك والديلم ، وأصحاب الدعوة العلوية  
والدعوة الفاطمية

(١) (لحم على وضم) جملة يكنى بها عن الضعيف الذي لا ناصر له كالمرأة التي لا حامي لها ، وهذه الكناية  
فاعل قوله ( أيملك الملك ) ، والبيت الثاني بدل من قوله « لحم على وضم »



فلما كان اتصاله ببني حمدان في سنة ٣٢١ ومدحه لهم — دون غيرهم من الولاة والامراء أمثالهم ، والمنافسين لهم والحاquدين عليهم ، والمريدين الإيقاع بهم لما عرفوا به من الصراحة من الحكم ، والدهاء في السياسة ، والعصبية للعريضة الصريحة ، وبفضهم لحكام الاعاجم الذين كانوا هم أصحاب الامر والنهي في الدولة كلها — ازداد اهتمام هؤلاء بالفق العربي (المتني) وردوا أنظارهم اليه ، وأدركوا أن هذا التأثير الشاعر البالغ سيكون له شأن أي شأن لو ترك غير مراقب ولا مأخوذ عليه السبيل التي ينبغي ، والامر الذي يهدد به ، فأجمعوا على الإيقاع به حتى لا يستفحل أمره ، ويتسع عليهم الخرق من قبله فلا يملك له الرافع مرقعة ورحل صاحبنا من (رأس عين) حيث مدح سيف الدولة متخذاً طريقه إلى الشام ماراً بحران ثم منبج ثم أنطاكية واللاذقية وحماة وحمص ولبعلبك ، وتردد بين هذه المدن حتى قبض عليه . وكانت هذه البلاد نفسها منازل من منازل الدعوة العلوية الذين كانوا أصحاب سياسة ودهاء في دعوتهم إلى قلب الخلافة العباسية ، وإقامة الخلافة العلوية الخالصة ، وكانت الاعاجم في الشرق ، والموالي الذين بلغوا غاية السلطان في خدمة الخلافة العباسية يدأ مع العلويين على الدولة العباسية ، وكانت هذه البلاد أيضاً مجالاً للدعاة الفاطميين أصحاب الجيوش والسلطان بالمغرب ، وكان هؤلاء الدعاة يسعون جهد السعوي لضم العلويين اليهم واستمالة الولاة على اختلافهم إلى مناصرتهم ليم لهم دخول الشام دون معارضة بعد فتح مصر — وكانوا يعدون له العدة — ثم يقفوا وجهاً لوجه حيال الدولة العباسية بالعراق ، وكان قد تم لهم أمر عظيم في ما وراء دجلة والفرات ، وبذلك تسقط الدولة العباسية ، وتقوم على انقاضها الدولة العلوية الفاطمية وكان في المتني في طريقه يظهر في القبائل والمدن أمر نسه ، ويذيع بينهم أنه علوي الأصل شريف النسب ، محتالاً لذلك بالدهاء ، مجتهداً في اتخاذ العضد قبل أن يعلن أمره إعلاناً صريحاً لثلاث يواقعه العلويون وينزلوا به كيدهم الذي يكيدون له . دار دورته في البلاد التي ذكرناها وأمره الى علو لما عرف من فصاحته وبلاغته ، وحسن سمته ، وجمال هديه ، وتوقد ذكائه ، وما يمتاز به من حسن المعاشرة ، ولطيف المنادمة مع سعة العلم ، ودقة الفهم له ، وكان في القبائل البادية اظهر امراً ، وأشد عضداً ، حتى كان آخر امره ببني عدي وبني كلب ، ففشا ذكره بينهم ، وابعوه على العون له ، في الدعوة الى رد الحكومة الى العرب دون الاعاجم . وكان ظهوره في بني عدي هو الذي جلب عليه السجن والشقاء

ذلك ان بني عدي <sup>(١)</sup> هم قوم بني حمدان ، فكان ظهوره هناك ، ولقاؤه قبل ذلك سيف

(١) هم بنو عدي بن اسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن ( تغلب ) ، وينتهي الى عدي هذا نسب بني حمدان



الدولة ومدحه بني حمدان عامة — سبياً في تيقظ ولاية (محمد بن طعج الاخشيد) وكان على دمشق ، ولم يكن ظهر امره بمصر بعد ، وكانت بين بني حمدان والاخشيديين الاتراك المتعصبين للدولة العباسية ، عداوة جالبتها المنافسة ، وكان سيف الدولة مخصوصاً بها وحده دون بني حمدان لما ظهر من قوته على صغر سنه ، وحبه في توسيع سلطان بني حمدان حتى يضم الشام وما يتبعها الى ولايته وولاية اخوته . فلا بد اذن للاخشيديين من مراقبة هذا الذي مدح بني حمدان ، وأحدث حدثاً في القبائل التي كانت لهم موالية ، خشية ان يكون موفداً من قبل سيف الدولة للقضاء على مطامع الاخشيديين في الاستيلاء على الشام ومصر

وأيضاً ، فان دعاة الفاطميين الذين كانوا بالشام نظروا الى ذلك ، وخافوا ان يكون موفداً من قبل سيف الدولة وبني حمدان ، وكان بنو حمدان قد استعصوا على الدعوة الفاطمية مع انهم كانوا من شيعة العلويين ، وامتناع بني حمدان على الدعوة الفاطمية كان هو السبب في مناصرتهم للخليفة العباسي وتحققهم بخدمته لما يعرفون من ان دعوة الفاطميين كانت قد ضمت اليها اكثر ولاية الاعاجم الذين كانوا يحكمون بلاد الخلافة ما وراء الفرات وفي العراق نفسه . وكان هذا هو السبب ايضاً في العداوة المتقدة بين بني بويه وبني حمدان فيما بعد وخاصة سيف الدولة ، فان بني بويه كانوا علويين فاطميين

فاجتمعت على المتني عيون الفاطميين ، وعيون العلويين ، وعيون الدولة القائمة في الشام فلما ظهر في بني عدي ارسلا في القبض عليه ، فطاردوه من بلد الى بلد ، وكان يستخفي منهم ، حتى وقع اخيراً في يد ( ابن علي الهاشمي العلوي ) في قرية يقال لها كوتكين<sup>(١)</sup> ، فقبض عليه وأمر النجار بأن يجعل في رجليه وعنقه قرمتين من خشب الصفصاف فقال له المتني يتين قد ذكرناهما آنفاً وبقي المتني في السجن من اواخر سنة ٣٢١ او اوائل سنة ٣٢٢ الى سنة ٣٢٣ ثم اطلق وكان المتني في اول امره مستخيفاً بالسجن ، لما يأمل من بلوغ خبره الى سيف الدولة ، فان بني عدي قوم سيف الدولة — كما يتوهم — لن يتركوه في ايدي هؤلاء الا ان يحملوا خبره الى بني حمدان فيخف بنو حمدان لنيتهم في دخول الشام . ولكن نية بني حمدان تأخرت طويلاً فان سيف الدولة لم يهدد اطراف الشام بعساكره الا بعد ذلك بزمان طويل

ومما يدل على استخفافه بالسجن في اول امره ما رووه من ان ابا دلف بن كنداج — سجانه — اهدى اليه هدية وهو معتقل بحمص ، وكان قد بلغه انه ثابه عند الوالي الذي اعتقله ، فكتب اليه أهون بطول الثواء والتلف والسجن والقيد يا أبا دلف ( غير اختيار قبلت برك بي ) والجوع يرضي الاسود بالحيف

(١) لعلها كانت قرية من ( سلمية ) وهي قرية من أعمال حمص



كن ايها السجن كيف شئت فقد وطئت الموت نفس <sup>معترف</sup>  
لو كان سكنائي فيك منقصة لم يكن الدر ساكن الصدف  
وفي هذه الايات تقف كبرياؤه كما هي لم يأخذ منها عذاب السجن وشقاؤه شيئاً . حتى انه  
ليقول للذي يبره في سجنه ( غير اختيار قبلت برك ) ، ولو لا ما انا فيه من العذاب لرددت  
عليك هديتك غير حافل بك ولا بها . ثم ينزع المثل على عادته ( والجوع يرضي الاسود بالحيف )  
وهي سخرية حديدة مؤلمة

فلما طال عليه الامل في السجن لجأ الى الحيلة في الخروج منه ، فكتب الى ابن طفج  
يستعطفه ويقننه ما رمي به من ارادة الخروج على السلطان فكان مما كتب  
بيدي ايها الامير الاريب لا شيء الا لاني غريب  
او لام لها اذا ذكرتني دم قلب بدمع عين يذوب  
( ان اكن قبل ان رأيتك أخطأ ت فاني على يدك اتوب  
عائب عابني لديك ومنه خلقت في ذوي العيوب العيوب )

الا ان سعي الفاطميين والعلويين في ابقائه في السجن ، وما اشرنا اليه من خوف والي  
الشام من الحدث الذي احدثه ان يكون من قبل بني حمدان — لم يصنع اليه سمع الامير فبقي في  
سجنه الى سنة ٣٢٣ . وقد رويت له القصيدة التي كانت السبب في اطلاقه وفيها اشارة إلى كل  
هذا الذي ذكرنا لك ومحسن هنا ان نلم لك ببعضها لتتبين ما أرحنا لك من التاريخ  
يقول المتني يصف الامير

ولو لم أخف غير اعدائه عليه لبشرته بالخلود  
رمى ( حبالاً ) بنواصي الخيول وسمير يرقن دماً في الصعيد  
ويض مسافرة ما يُقمن لا في الرقاب ولا في الغمود  
يقدن الفناء غداة اللقاء إلى كل جيش كثير العديد  
فولس بأشباعه ( الخرشني ) كشاء احس بزأر الاسود  
فن كالامير بن بنت الامير او من كآبائه في الجدود

والذي تنبها له هنا انه ذكر في هذه القصيدة ( حبالاً ) و ( الخرشني ) وقد عينا بالبحث عن  
الحادثة التاريخية التي نستطيع بها ان نمين السنة التي قيلت فيها ، ثم وفقنا الله الى تفسير ذلك  
بالاستباط . ففي جمادي الآخرة سنة ٣٢٢ سار الدؤمستق ( قرقاش ) في خمسين الفاً من الروم  
فنازل ملطية <sup>(١)</sup> وحصرها مدة طويلة حتى هلك اكثر اهائها بالجوع ثم فتحها وهدم سورها وقصورها

(١) بلدة مذكورة مشهورة في ديار ريعة على حدود بلاد الروم في ذلك العهد



وضرب خيمتين على أحدها صليب ، وقال : من اراد النصرانية انحاز الى خيمة الصليب ليرد عليه اهله وماله ، ومن اراد الاسلام انحاز الى الخيمة الاخرى وله الامان على نفسه ، ويبلغه مأمنه ، فانحاز اكثر المسلمين الى الخيمة التي عليها الصليب طمعاً في اهلهم واموالهم ، وسيّر مع الباقيين بطريقاً يباغهم مأمهم ، وفتحها بالامان . ثم ملكوا ( سميساط ) وخرّبوا الاعمال واكثروا القتل وفعّلوا الافاعيل الشنيعة ( وصار اكثر البلاد في ايديهم ) ، وسكت المؤرخون.... وظاهر أن والي الشام وهو اذ ذاك محمد بن طغج الاخشيدي لم يكن ليصبر على ذلك ، فلما امتد الدمستق بجيوشه وقصد حلب ، خرج اليه هو او بعض من انقذه لقتاله فردّه عن التوغّل وانقلب الدمستق هارباً ولم يدخلها . وقد جعلنا هذه الحادثة تاريخ القصيدة لانها توافق ما اثبتنا من تاريخ المتنبى ، ثم لما ذكر من امر حلب ، ثم لذكر هذا الحرشي . والحرشي ، هو ملك الروم لانهم ينسبون ملوك الروم الى جبل بيلادهم يقال ( خرشنة ) ، وتكون هذه القصيدة لذلك مما كتبه ابو الطيب الى محمد ابن طغج الاخشيدي التركي في اواخر سنة ٣٢٢ او اوائل سنة ٣٢٣

واما قول المتنبى في هذه القصيدة يخاطب ابن طغج

وقيل عدوتُ على العالمين      بين ولادي وبين القُـهُودِ  
فمالكَ تقبلُ زورَ الكلامِ      وقدرُ الشهادةِ قدرُ الشُّهُودِ  
فلا تسمعنَّ من الكاشحين      ولا تعبأَنَّ ( بعجل اليهودِ )  
وكنْ فارقاً بين دعوى ( أردتِ )      ودعوى ( فعلتِ ) بشأوَ بعيدِ

فقد ذكر في البيت الاول أنه وهو رضيع لم تتم له القوة على الاستمسك في قعدته ، كان قد اتهم بالخروج على السلطان ، وهذا لم يحدث ولا شك ، وإنما هو إشارة لما كتبنا عنه في نسبه من النكبة التي حلت به وبجده من نفي النسب العلوي الشريف عنه ، ومراقبة العلويين لجده خوف أن ييدر منها ما لا يحبون ، فجعل صاحبنا تلك المراقبة لنفسه — إذ لم يفعلوا بها ذلك إلا من أجل نسبته هو إلى العلويين . والبيت الثاني استتارة لابن طغج إذ كان من أعداء العلويين في غير علانية ، وكان من أنصار العباسية فهو يقول له : مالي أراك تقبل في قول أعدائك وأعداء مواليك العباسيين ، وكان أولى بك أن تزن أقوالهم بما تزنهم به ( فقدر الشهادة قدر الشهود ) ، فلا تسمع لهؤلاء الذين يضمرون العداوة ( الكاشحين ) . ثم وصل كلامه عن العلويين بذكر العلويين الفاطميين فقال ( ولا تعبأَنَّ بعجل<sup>(١)</sup> اليهود ) ، وعجل اليهود كناية عن أحد دعاة الفاطميين الذين كانوا هناك بالشام . وتأويل ذلك أن العباسيين وكثيراً غيرهم حتى من العلويين أنفسهم

(١) قد حار الشراح في تفسير الكلمة ، وتلبوها على وجوه كثيرة لا تصح ، وهذا هو الوجه عندنا وهو الصواب ان شاء الله



(كبي حدان) كانوا لا يعرفون بنسبة الفاطميين ويزعمون أن جدّهم كان يهودياً ، وأسلم ليدخل على الاسلام فاسد العقائد نكايّة . وأسدهم على ذلك أن الدعوة الفاطمية كانت دعوة سرّية لها أصول خاصّة ودرجات مرتبة ، من درجة التلمذة إلى درجة داعي الدعاة ، ولكل درجة من الدرجات تعليم خاص ، ومرتبة معروفة مقيّدة . فقول المتني (عجل اليهود) إشارة إلى ذلك ولا أنس هنا أن أعود بالقرّاء إلى بيت من أبيات مضت في ذكر التوخي وهو قول المتني يذكر التوخين

« أليس عجيباً أن بين بني أبي لنجل يهودي تدبّ العقارب »

وقد تبين لنا بعد البحث في تواريخ العلويين أن بعض الدعاة الفاطميين كان قد دخل اللاذقية (وهي من منازل تنوخ) وأدخل قسماً من التوخين في الدعوة الفاطمية وبذلك افترق التوخيون فرقتين ، فرقة العلويين أو الشيعة وفرقة الفاطميين ، وهذه الأخيرة هي التي خرج منها الدرّوز وهم تنوخيون . وفريق الدرّوز يهتمون من قديم عبادة (العجل) ، وقد نفى ذلك كثير من الباحثين والله اعلم بحقيقة امرهم ، ولعل هذا هو السر في قول أبي الطيب (عجل اليهود) يشير بذلك الى الفاطميين ، وفي قوله (نجل يهودي) يريد داعي الفاطميين الذي قسم التوخين ، وضرب الاخوة بعضهم ببعض . وأما قوله :

وكن فارقاً بين دعوى (اردت) ودعوى (فعلت) بشأور بعيد

فهو عندنا من الأدلة في أن الامر الذي قبض على المتني من اجله لم يكن النبوة ، وأما هو الخروج على السلطان ، وأنت إذا قلبت الدعويين « دعوى (اردت) ، ودعوى (فعلت) » على معنى النبوة لم يتم لك تساوق المعاني على ذلك ، وتم لك في معنى الخروج على السلطان هذا التساوق ، إذ ان ارادة الخروج شيء ، والفعل الذي يسمى به الرجل (خارجاً) شيء آخر ... والظاهر عندنا ان السبب في اطلاق المتني من السجن لم يكن هذه القصيدة وحدها ، بل السبب البليغ في هذا الرضى عنه فيما زجج ان بعض التوخين العلويين (غير الفاطميين) كانوا قد سعوا عند ابن طغج لاطلاق المتني ، وذلك لصلتهم ببني حدان واتفاقهم معهم في المذهب (العلوية) ، وأظهروا لابن طغج موالاتهم فرضي منهم بهذا وأكرمهم باطلاقه <sup>(١)</sup> ، ولدى العلويين الكوفيّين سعوا من ناحية اخرى لدى الوالي ان لا يطلقه فأرضاهم بأن يأخذ عليه وثيقة تثبت بطلان دعواه في النسبة الى الشجرة العلوية الشريفة المكرمة . والذي حملنا على ان

(١) ولا بأس أيضاً في ان نذكر ان (بني عدي) وهم قوم سيف الدولة النازلين بأرض الشام ، كان لهم شأن في ذلك ، وأرضاهم ابن طغج لما يخشى من انتقاضهم عليه اذا لم يبذل لهم الرضى في رجل قبض عليه عامله في أرضهم وكان في جوارهم



نظن ذلك من امر التوخيخ ان المتنبى بعد خروجه من السجن مدح التوخيخ وأخلص لهم وزل عندهم ثم رجع الى الكوفة وبقي بها مدة ، فلما عاد في سنة ٣٢٦ رجع اليهم وبقي عندهم ومدحهم ايضاً وأجاد في مدحه لهم اجادة بينة ظاهرة ، وقد كان هذا الفتى وقيفاً الوفاً كما وصف نفسه وكان يأسره الاحسان ويغايه على امره كثيراً ، وقد ظهر هذا الخلق في روعة المثل الذي ضربه يوماً ما فيما بعد وهو قوله « ومن وجد الاحسان قيذاً تقيدا »

\*\*\*

وقد اكثر الكتاب من الاستشهاد بحادث حبس المتنبى وما كان منه فيه ، وزعموا انه كان متكبراً احمق الرأي ضعيف الارادة ، فدعته كبرياؤه أوّل أوّل الى الاستخفاف بالسجن ، ثم رجع فذل وانقاد واستخذى في قصيدته الاخيرة ، وليس هذا لنا برأي ، فان الايات البائية التي ذكرناها لا تدل على ضعف وانما كان كما روينالك مرهف الحسّ شاعر النفس ، فلما بلغ جدته خبر حبسه كتبت اليه ، وذكرته بما فعل وهو بدار غربة ، وعذلتة على ما كان منه وشكت اليه ألمها ، وكشفت له عن ذي قلبها ، فرق وبكى وكتب الايات الاربعة على اثر ذلك وطبع عليها قابه وحنانه ورقته ، لا ضعفه واستخذاءه ، ويكفي في الدلالة على بطلان رأيهم انه جعل البيت الرابع مهاجمةً لجميع من ادعى عليه واراد حبسه ، وهجاءً بايغاً لهم ، وليس هذا من الحكمة ، ان كان ممن يستخذى ويضعف . وذلك حيث يقول :

« عائب عابني لديك ، ومنه خلقت في ذوي العيوب العيوب »

ثم لما كتب قصيدته الاخرى الدالية ذكر اياتاً يزعمون انها تدل على مذهبهم في ناسب الرجل وهي قوله

أملك رقي ومن شأنه	هابات اللجين وعقو العبيد
دعوتك عند انقطاع الرجاء	والموت مني كحل الوريد
دعوتك لما براني البلاء	وأوهن رجلي ثقل الحديد
وقد كان مشيهاً في النعال	فقد صار مشيهاً في القيود

ونحن لا نرى في هذه الايات شيئاً لانه انما اراد — كما قلنا — ان يترفق لغرضه بالحيلة ، حتى يخلص من السجن ، اذ وجد ان لا جدوى عليه من الصبر على السجن الذي يضيع الامل في تحقيق ما يريد من الانتقام من هؤلاء الذين فعلوا به ما فعلوا . والذي يذل لا يقسو في الصفات هذه القسوة التي ابرزها المتنبى في اياته بعد — إذ وصف من كانوا معه في السجن متهمكاً ساخرأ على عادته فقال

وكنت من الناس في محفلٍ      فها انا في محفلٍ من قروء



ثم يخاطب ابن طنج مخاطبة التدفيسأله على وجه التقرير والوم فيقول « فمالك تقبل زور الكلام؟ » ثم ينهأ ناصحاً ومخذراً فيقول « فلا تسمعن من الكاشحين » ثم يأمره على وجه التعليم والتنبيه بقوله « وكن فارقاً » فهذا مذهب تعاليمي في الامر ، ينطوي على تبصير الامير — الذي يزعمونه يذل له — بوجه الصواب من الرأي في التفريق بين الدعويين ، وتذكير له بانه اخطأ خطأ كبيراً بتركه التحقق من اصل الدعوى التي اقيمت عليه وتطبيقها على ما كان منه حقيقة ، ولو كان فعل ذلك لبطل عند الامير ما يدعون عليه ، وهذا كما ترى فيه معنى التحجيل للامير . ولا نظن ابن طنج كان يخطئ إدراك هذا البيان البين في شعر المتنبى ، ومع ذلك فقد أعفاه من هفوة اللسان وأطلقه اكراماً للتوخين فيما ذهبنا اليه ، وما كان من مدحه له في القصيدة مدحاً لم يظفر بمثله من شاعرٍ مثل المتنبى الشاعر البليغ العربي الشريف

فهذا كما ترى سياقاً تاريخياً لا بأس به — إن رأيت ذلك — في أمر القبض على أبي الطيب ولا ذكر فيه للنبوّة ، ولا يمكن أن يكون قبض عليه لهذا الهراء الذي يزعمون ، وستعلم بعد أن الخالع حدثنا عن أبي الحسين الناشئ الشاعر أنه قال : « كنت بالكوفة في سنة ٣٢٥ وأنا ألمي شعري في المسجد الجامع بها ، والناس يكتبونه عني ، وكان المتنبى إذ ذاك يحضر معهم وهو بعد لم يعرف ولم يلقَ بالمتنبى . . . . » وهذا دليل على أن القبض عليه في سنة ٣٢١ لم يكن للنبوّة إذ لو كان ذلك كذلك ، لتعلمه الناس بالكوفة التي نشأ بها ، ولا أشار إلى ذلك الناشئ ، وكلام الناشئ يدل على أن ذلك لقبٌ نُبِز به الرجل ، ولم يكن بسبب هذه التكبّة التي أصيب بها في سنة ٣٢١ ، أو الحدث الذي أحدثه في تلك السنة

وهناك سياق آخر للتدليل على بطلان هذا الافتراء الذي رمي به الرجل ، نستنبطه من الاسلوب الشعري أولاً ، ومن الحالات النفسية القائمة في شعره ثانياً ، ومن الاصول التاريخية في أمر المتنبى في ذلك العهد أخيراً ، ورأينا أن نضمر ذلك ولا نطيل به حتى نظهره في كتابنا — إن شاء الله — عن المتنبى ، وبالله التوفيق (١)

أما هذا النبز الذي نبز به أبو الطيب وعرف به إلى اليوم ، فليس مرجعه إلى هذا الخروج الذي كان منه في بني عدي ، فقبض عليه ، وألقي في السجن من جرائه ، بل له عندنا مساق آخر هو أقرب إلى الصدق وأولى بالاعتبار

(١) اعلم اننا تركنا أيضاً في هذا الحديث عن رحلته وحبسه ما قال من شعر في مدح رجال لقيهم في طريقه لمبلاد التي نزلها ، اذ ليس يضر هنا اغفال ذلك حتى حين ، واثبت فعلنا لم يكن ليتسع هذا العدد من المقتطف لبا نريد وما نؤمل من استيفاء ترجمة الرجل على الوجه الذي نرضيه ، ونقر عيننا به



كان أبو الطيب من أول أمره متورعاً في خلقه لا يخرج من حدود الوقار ، مترمماً لا يابن الشهوات ولا يلقي إليها مقاده ، مترفعاً عن سفاسف الاخلاق ، متمسكاً بمعالها ، آخذاً نفسه بالجد الذي لا يفتر ، وكان لا يقرب الشُّهم ولا يدانها ، « فما كذب ولا زنا ولا لاط » ولا أتى أمراً منكراً يؤخذ عليه ، أو يزنُّ به ، واستمر على ذلك حياته كلها ، وخالف الادباء والشعراء من أهل عصره ، فما شرب الخمر ولا حمل وزرها ، ولولا اضطرابه فيما نرى لما حضر مجلسها ، وكان منصرفاً إلى العلم قارئاً له ومحققاً لدقائقه ، طويل النظر والتدبر فيما يمرُّ به من أحداث الزمان كثير الاهتمام بأمر الامة التي هو منها ، لا يفوته مغزٍ ينتقده او خلق يستسقطه ، وكان اهل العصر على خلاف له في ذلك وخاصة من انتسب الى الادب ، واعتزى الى الشعر ، فكان الادباء والشعراء أهل شراب ومعاقرة وهو وهزل وباطل ، لا يفرغون الى الجدل الا بمقدار ، ولا يتورعون عن دنية الا مكرهين على الورع . فلا عجب إذا عدَّه اهل صناعته من الادباء والشعراء غريباً بينهم

وكان المتنبي في اول شعره يكثر من ذكر الانبياء ويردد اسماءهم ويشبه نفسه بهم ، ويقيس اخلاق مدوحيه الى اخلاقهم فن ذلك قوله في نفسه

ما مقامي بأرض نخلة الا ( كمقام المسيح بين اليهود )

وقوله في القصيدة نفسها

ان اكن معجباً فعجب عجب ( لم يجد فوق نفسه من مزيد )

أنا ربُّ الذدى وربُّ القوافي وسمام العدى وغيظ الحسود

أنا في أمة — تداركها الله ( غريب كصالح في ثمود )<sup>(١)</sup>

وقوله

« أنا الذي يمين الاله به ان أقدار والمرء حيثما جعله »

فشبهه نفسه بالانبياء والرسل الذي ارسلهم الله ليكونوا شهداء على الناس

وقوله في رثاء التوخي ( محمد بن اسحق )

وكأنما ( عيسى بن مريم ) ذكره وكأن ( عازر ) شخصه المقبور

وكان ايضاً كثير الانذار للملوك والامراء بعذاب بئس سيأتهم من قبله كقوله

ميعاد كل رقيق الشفرتين غداً ومن عصي من ملوك العرب والعجم

فان اجابوا فما قصدي بها لهم وان تولوا فما ارضى لها بهم

(١) يروي ابن جني أن المتنبي قال : لقت بالمتنبي بهذا البيت



فهذه امثلة مما تناثر في شعره من هذه المعاني ، وأنت إذا نفضت ديوانه وجدت في معانيه المعاني التي تنبى بالغيب كقوله في بدر بن عمار  
لو كان علمك بالاله مقسماً في الناس ما بعث الاله رسولا  
لو كان لفظك فيهم ما انزل الفرقان والتوراة والانجيل  
ولا نطيل بذكر الشواهد في ذلك فهذا امر متعالم مشهور

وعندنا ان ابا الطيب لما عاد من الكوفة سنة ٣٢٦ واتصل سببه ببدر بن عمار ولزمه ، وعلا عنده ، واصاب كرامة لم يصب مثلها من قبل ، تناوشه الشعراء إذ خافوه على ارزاقهم ، وطفقوا ينتقصون الرجل ويطلبون له العيوب ، واغراهم بذلك ما وجدوا من ترفعه عن مجالس لهوهم ، وانصرافه عن الهزل الذي يكونون فيه ، وظنوا به الكبر ، فاخذوا يذكرون شعره ويتنادرون به ، فلما وقعوا على كثرة دوران اسماء الانبياء في هذا الشعر ، وتشبيهه نفسه بهم ، وما هو فيه من التعفف والتورع : أرادوا له لقباً يبرزونه به ، فلقبوه ( المتنبى ) يريدون المتشبه بالانبياء ، واخذوا يذكرونه بهذا الاسم . ويتداولونه بينهم . ثم استفاضت شهرته به لما اتصل بأبي العشائر سنة ٣٣٦ وصار لا يُذكر إلا به

وقد رأيت قبل ان القبض عايه كان سنة ٣٢٢ وان الناشئ قال ان ابا الطيب كان يحضر مجلسه سنة ٣٢٥ بالكوفة « وهو بعد لم يعرف ، ولم يلقب بالمتنبى » فتلقبى بالمتنبى كان بعد سنة ٣٢٥ ولا شك كما رأيت ، وبذلك يتبين ان يكون قد حبس من أجل دعوى النبوة . فلما علا امر المتنبى وظهر ، وخشي من خشي من العلويين ومن اليهم احدثوا من هذا التنبى ( المتنبى ) — الذي قصد به التشبه بالانبياء في الخلق ، والوعيد والانذار ، وتشبيه نفسه بهم في شعره — قصة مخترعة عن نبوة زعموا ان الرجل ادعاها ، واعانهم على صوغها ما كان من امر حبسه حين اراد اظهار نسبته الى الشجرة العلوية المكرمة . فكانت هذه القصص التي نقضناها واطهرنا بطلانها





أَبْنِي أَيْنَا ، نحن أهل منازل  
أبدًا غُرَابُ الْيَنِّ فِيهَا يَنْعَقُ  
نَبْكِي عَلَى الدُّنْيَا وَمَا مِنْ مَعْشَرٍ  
جَمَعَهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا  
وَالْمَرْءُ يَأْمَلُ ، وَالْحَيَاةُ شَهِيَّةٌ ،  
وَالشَّيْبُ أَوْقَرُ ، وَالشَّيْبَةُ أَزْقُ  
وَلَقَدْ بَكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ ، وَلَمَّتِي  
مَسُودَةً ، وَلَمَاءَ وَجْهِي رَوْنَقُ

خرج أبو الطيب رحمه الله من سجنه وشقائه وعذابه مستمر النفس ، مكتهل القلب . فقد جرب أحداث الزمان ، وما ابتلي به من النكبات التي عرقت في سجنه ، وما كيد به من أعدائه ، فانطوى على ما به غير جازع ولا شاكٍ ولا مستسلم ، وابتسم للدنيا وهو يضمر الغيظ عليها « ولكنه غيظ الأسير القد <sup>(١)</sup> » ، وكان يعمل في نفسه بما قال بعد  
هُوِّنْ عَلَى بَصْرِ مَا شَقَّ مَنْظَرَهُ فَأَمَّا يَقْظَاتُ الْعَيْنِ كَالْحِلْمِ  
وَلَا تَشْكُ إِلَى خَلْقٍ فَتَشْمَتَهُ شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْغُرْبَانِ وَالرَّحِمِ  
وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ لِلنَّاسِ تَسْتَرَهُ وَلَا يَفْرُكُ مِنْهُ ثَغْرٌ مَبْتَسِمِ  
وإن صحَّ ما رأيناه في ترتيب شعره ، وما قلنا به من أن التوخين كانوا قد سعوا لدى ابن طغج في إطلاقه من سجنه ، فقد خرج صاحبنا من السجن ولحق بالتوخين باللاذقية وأقام عندهم وفي جوارهم ، وكانت صلاته وثيقة بأبناء اسحق التوخي ( محمد والحسين ) فلما مات محمد رثاه ، وقد قدمنا طرفاً من ذكر ما ورد في رثائه لهذا الرجل . وبين في شعره الذي رثاه به ما كان يضمر له من الحب ، وما يفي له به من حسن صنيعه عنده . وأخلص بعد موت ( محمد ) الوفاء والمودة لآخيه ( الحسين بن اسحق ) ، ولكن صاحبنا لم يسلم هناك من الأعداء — أعدائه من العلويين والفاطميين والعباسيين فقد قصَّد بعض شعرائهم قصيدة في هجاء الحسين بن اسحق ونحاهها أبا الطيب ، فكتب الحسين إلى أبي الطيب يعاتبه ، فرد عليه جواب كتابه بأبيات يقول فيها ، يعاتبه على تصديقه ما باغاه

(١) هو المتنبي وأوله « غيظ على الأيام كالنار في الحشا » . والقيد : القيد من الجلد



تطيع الحاسدين وأنت مرءٌ جعلت فداءه — وهم فدائي  
 وهاجي نفسه من لا يميزُ كلامي من كلامهم الهراء  
 وإن من العجائب أن تراني فتعدلُ بي أقل من الهباء  
 وتذكر موتهم وأنا سهيلٌ طلعت بموت اولاد الزناء

ونحن نرى أن المتنبي أقام قليلاً في جوار الحسين ثم وافاه كتابٌ من جدته ، وقد كان بلغها خبر انطلاقه من السجن ، تبشّه شوقها ، وتشكو له بشها وحزنها وتعزم عليه في الرحلة إليها ، وتذكر له ما كان من أمرها مع العلويين بالكوفة ، وأنها ارضتهم ، واخذت على نفسها العهد أن يقلع ولدها عما تهوّر فيه من إرادته اظهار نسبه ، وينت له مغبّة ما ينوي من ذلك ، ووعظته بما اصابه من قبل في سجنه ، واحرجته في الحضور إليها ، فلم يجد قلب أبي الطيب بدءاً من الطاعة ، وكنتم عزمه عن الحسين بن اسحق التوخي ، ولكن عزمه لم يخف على صاحبه ، فأرادته على المكث ، فأبدى أبو الطيب رأيه بالموافقة وأضمر الخلاف والرحلة عن اللاذقية الى الكوفة . . . وقد اشار الى ذلك في مدحه اذ يقول معرضاً بعزيمة البقاء ليصرف التوخي عن أن يعوقه

لك الخير، غيري رام من غيرك الغنى ، وغيري بغير (اللاذقية) لاحق  
 هي الغرض الاقصى ، ورؤيتك المني ، ومنزلك الدنيا ، وأنت الخلائق

واتخذ صاحبنا الليل جملاً — كما قالوا — وانحدر الى الكوفة ، وقد امتلأت نفسه بأحقاده وآلامه وآماله . وسار من بادية الى مدينة ، ومن مدينة الى بادية ، ينظر الى الفتن التي مزقت أمته وأبليت جدتها ، وما داخها من الانحلال والتفكك ، وما اصاب اخلاقها من السقوط والتسفل ، وما فعلت الدعوات السرية في نقض مجدها ، وتفريق كلمتها حتى فشلوا وذهبت ريحهم وكانت هذه الفترة من حياة الرجل ، فترة نظر وبصر وتجربة ، وأوان تردّد لا يدري ما هو فاعل ولا ما الله فاعل به . فقد رمى بنفسه الى الكوفة على غرر مرضاة لجده لا رغبة منها في دخولها ، واخذته الوسوس فيما يراه هناك بعد الذي كان منه بالشام من ارادته اظهار نسبته العلوية . وكان الثأر يغالبه على ترك النية والعودة الى الشام ، لولا ما يخاف على جدته من سوء فعله . فدخل الكوفة بهمهم واحقاده وآلامه سنة ٣٢٣ أو في اواخرها على الأرجح ، فلما استقرّ بها رأى ورأت جدته إن ثورته ليست مما يجدي عليه شيئاً ثم ، فانصرف الى مجالس الكوفة ومساجدها يشغل بطلب العلم نفسه عما يساورها ويهزّ منها ، وكان لانصرافه هذا وإقباله على شيوخ الادب والدين والفلسفة وغيرها من علوم العصر اثر كبيراً في تهذيب نهجه الشعري ، واستجّمْ بهداة العلم قوة اخرى على الثورة والتقليل بدت في شعره بعد مخرجه من الكوفة



رائعة مدوية كأنما انفجرت في لسانه انفجار البركان في زلازل الارض  
 وكان المتنبى لسنته تلك ( سنة ٣٢٣ ) عزباً لا يأوي الى سكن من النساء ، ولعلَّ جدته  
 رأت ان تهدي منه قليلاً بالزواج فزوجته على غير رغبة منه قريباً من سنة ٣٢٥ قبل خروجه  
 من الكوفة ، وذلك لان المتنبى بعد مرجعه الى الشام سنة ٣٢٦ ذكر لأول مرة في شعره  
 ( الابوة ) . فما عرفناه من خلق أبي الطيب أنه كان إذا نزل به أمر أو جد في حياته جديد  
 فسرمان ما يتأجلج ذلك في صدره ولا يستقر حتى يشير اليه من شعره ، لكثرة ما تلد الحوادث  
 في شاعرية هذا الرجل من المعاني والآراء ... قال أبو الطيب في قصيدة يمدح بها أبا أيوب أحمد  
 ابن عمران قريباً من سنة ٣٣٢ يذكر المرأة

وترى — المروءة والفتوة والابوة — عَ في — كلُّ مليحةٍ ضمَّراتها

هـ — الثلاث المانعاني لذتي في خلوتي لا الخوف من تبعاتها

ولعلَّ ولده هذا الذي ذكره في قوله ( الابوة ) هو ( محسّد ) الذي ورد ذكره في خبر  
 مروى وهو بواسط سنة ٣٥٤ وفيه أنه أجاز شعراً أنشد ، وورد ذكره أيضاً في مقتل المتنبى  
 وأنه قتل معه . فلو فرضنا أنه قتل وهو في الثلاثين من عمره أو أقل لكان هذا التاريخ الذي  
 حدّدناه لزواج المتنبى هو أقرب إلى الصواب إن شاء الله

وقد كان قرب المتنبى من جدته الحازمة في الكوفة ، وتزوُّده من العلم هناك ، مما ملأه حكمة  
 جديدة بدأت تستعلن في شعره الذي قاله بعد . هذا على انه — مقامه بالكوفة — لم يمدح أحداً  
 ولم يتعرض بشعره لمعروف ولا لمنكر ، على كثرة الاحداث التي كانت في تلك السنوات ، وعلى  
 شدة ما لقي من العنت وهو بين أظهر أعدائه أو أصحاب ثأره ، ولكنه كان متمسكاً من مقامه ،  
 مضطرباً في عيشه . وكان أثر هذا التملل والاضطراب في نفسه المستحصدة القادرة على الكتمان  
 والاتزان في بعض الاحايين — أن طفق يولد هذا الشاعر معاني نفسه ويختار لها ألفاظها  
 وينتقي عباراتها ، مدققاً محصفاً مفتشاً عن الكلام الموجز الذي يستطيع أن يضم فيه ما يحيش  
 في صدره ، ويعتاج في نفسه ، حتى استوى على طريقة ممتدة من الاصول الشعرية التي ينشأها في  
 أول كلامنا إلى الغاية التي كان يرمي اليها ، ولذلك احتلف نهجه في الشعر الذي قاله بعد مخرجه  
 من الكوفة عن نهجه الاول اختلافاً يبيِّن ، ولكنه لم ينقطع من الاستمداد من الاصل الاول الذي  
 هو الطبيعة القائمة في النفس ، والتي لا تتغير في أصلها وإن تغيرت في الصورة والصَّـرْغ ومذهب  
 البلاغة والافصاح

هذا وما من شك في أن الرواية عن هذه الفترة من حياة الرجل لم تأت بحديث يعلم به من  
 امر أبي الطيب كثير ولا قليل . إلا ما حدثناك به من انه كان يحضر مجلس العاشي بالمسجد الجامع



بالكوفة سنة ٣٢٥ ليسمع منه شعره ويكتبه مع الكاتين وكان لم يعرف بعد ولم يلقب بالمتني . إلا  
ان صاحبنا في رثاء جدته سنة ٣٣٥ قد افصح عن السبب في فراقه الكوفة في هذه المرة بمض  
الافصح ، وعرض بأشياء كانت وقعت له هناك . يقول (١)

ولولم تكوني بنت اكرم والد  
لئن لذ يوم الشامتين يومها  
(تغرب لا مستعظاً غير نفسه  
(ولا سالكاً الا فؤاد عجاجة  
(يقولون لي: ما أنت في كل بلدة!!  
كان بنهم عالمون بأني (٢)  
وما الجمع بين الماء والنار في يدي  
(ولكنني مستنصرٌ بدُّابه  
(وجاعله يوم اللقاء تحيتي  
إذا فل عزمي عن مدى خوف بعده  
(وإني لمن قوم كان نفوسهم  
(كذا أنا يادنيا إذا شئت فاذهي ،  
(فلا عبرت بي ساعة لا تعزني  
لكن أباك الضخم كوزك لي أمّا  
لقد ولدت مني لانهم رغباً  
ولا قابلاً الا لخالقه حكماً  
ولا واجداً الا لمكرمة طعماً  
وما تبغني؟ ما أتبغني جل أن يسمى  
جلوب اليهم من معادنه اليتما  
بأصعب من أن أجمع الجد والفهم  
ومرتكب في كل حال به الغشما  
وإلا فلست السيد البطل القسماً  
فأبعد شيء ممكن لم يجد عزمًا  
بها أفت أن تسكن اللحم والعظمًا  
ويانفس زيدي في كرائها قدماً  
ولا صحبتني مهجة تقبل الظلمًا

قد ينالك أولاً أن أبا الطيب بقوله لجده في القصيدة « هيني أخذت الثأر فيك من العدى »  
وقوله : « لئن لذ يوم الشامتين يومها » — إنما أراد (بالعدى) و (الشامتين) العلويين  
الذين أخفوا عنه نسبه — فيما ذهبنا اليه — ومنعوه الانتماء للدوحة العلوية المباركة ، فإذا تقرر  
عندك هذا وارتضيته ، وجدت أن قوله بعد ذلك

(تغرب لا مستعظاً غير نفسه ولا قابلاً الا لخالقه حكماً)

يدل على أن هؤلاء العدى والشامتين بجده ، والذين منعوه من دخول الكوفة حين قصدها  
قبل وفاة جدته سنة ٣٣٥ — كانوا في تلك السنة التي فارق فيها الكوفة (٣٢٥) أو أوائل  
سنة ٣٢٦ قد أرادوه على خطّة خسف فأبى ابو الطيب ان يركبها ، وشمخ بنفسه ان يذل لاحد

(١) قد آثرنا ان ننقل لك الايات جميعها في نظمها لتقرأها متدبراً فان نفس الشاعر وشعره ، الذي  
استنبطنا منه ما اردناه هنا ، وفي نسبه هناك ، مما يتخذ دليلاً على صحة ما نقول به  
(٢) قوله (كان بنهم) دليل على أنه أراد قوماً بأعيانهم ، ولولا ذلك لقال (كان بنهم) يرجع الغم  
الى الدنيا يعني الناس جميعاً قال بعد (كذا أنا يا دنيا) وهذا أسلوب من اساليب ابي الطيب في الإشارة الى  
اغراضه التي في نفسه والتي لا يريد التصريح بها ، وانما يجعلها إشارة لمن يريد افهامهم غرضه



من الناس ، او ان يقبل له حكماً يريد ان يجريه عليه وفيه المذلة والهوان وإهدار الكرامة ،  
واسقاط الفتوة والمروءة ، وآثر ان يخرج عن الكوفة مراغماً لهم ، مفضلاً آلام الغربة على  
الهوان في الوطن

ويبين من الشعر انهم كانوا يستضعفونه ، ويسفهون رأيه في ركوب الفلوات ، وتتقله بين  
البلدان بقولهم « ما انت في كل بلدة ؟ » وقولهم « ما تبتغي ؟ » بما تريد من فراق الكوفة ، تذرع  
الارض من بلد الى بلد . فكان جوابه ان ما يبتغيه اجل من ان يسميه لهم ، ثم استدرك على ذلك  
فزعم انهم انما يسألونه ويلحون عليه في استخراج ذات نفسه ومضمرها لخوفهم منه ، وانهم يعلمون  
أنه سيأتيهم بالذبح الذي يترك صغارهم ايتاماً ونساءهم ثكالى . وقد ابغى في انذاره لهم بعد كما ترى  
في الايات ، ورهبهم بما يكون منه ، وذكرهم بقومه ومحدثهم وحريتهم وقلة مبالاتهم بالمهالك  
طبيعة قائمة فيهم حتى ان نفوسهم لتكاد تكره البقاء في ابدانهم لما فيهم من الحرية والشرف  
ثم افصح المتني عن الذي ارادوه به في قوله

فلا عبرت بي ساعة لا تعزني ولا صحبتي مهجة تقبل الظلماً

فكان الذي كان منهم كان وضعاً من عزة نفسه ومهانة لها ، وانهم كانوا يريدون ان ينزلوا  
به ظاهراً يبيناً لا يقر عليه حرّاً ، وعندنا انهم ارادوا ان يرضوه برضيخة من المال تكون عليهم  
كالجزية له يأخذها منهم كلما حال الحول ، على ان يبقى بالكوفة ، ويرضى بما يريدون منه غير  
مخالف لهم ولا مظهر لهم عداوة ، وان شاء ان يمدحهم بشعره فعل ، وله عايمهم ان يعطوه في مديحه  
لهم مثل الذي يحبى به من غيرهم اذا مدحه ، وكبر على ابي الطيب ان يرشى بالمال حتى يسكت عنهم ،  
ويقر على ظلمهم له وضييمهم اياه ، وفي الارض سعة ومسراد لمن شاء ان يكون عزيزاً مكرماً  
وخرج صاحبنا من الكوفة قاصداً الشام مرة اخرى ، ونزل على علي بن ابراهيم التنوخي





واحتمال الأذى — ورؤية جانب  
 — غذائه تَضَوَّى به الاجسام  
 ذلَّ من يغبط الدليل بعيش  
 رَبِّ عيش أخفُّ منه الحما  
 من يهنَّ يسهل الهوان عليه  
 ما لجرحٍ بِمِيتٍ إيلام  
 أقراراً ألدُّ فوق شراره؟  
 ومراماً أبغى وظلمي يُرام؟

كان شعر أبي الطيب في أول أمره كما حدثناك قد اختلط بألفاظ لا تستقر في الشعر، وقعت إليه من ألفاظ المتكلمين والمتفلسفة وأصحاب المنطق وأهل الجدل في الملل والنحل وغير ذلك، وكان أسلوبه يجري على طريقة هؤلاء في التوجيه والتقسيم، ثم في توليد المعاني الشعرية على طريقة أهل العصر في توليد معاني الجدل والدجاج لارادة الفالج في الخصومة لا تقرير الحق في القضاء والحكومة، وأتاه ذلك من قوة حافظته وكثرة دوران هذه العلوم في فكره، واشتغاله بالنظر فيها نظر المحقق المفكر، إلا أن تفكيره لم يكن محضاً لهذه العلوم، بل كان في عقله الذي يفكر به، فكر الشاعر الذي يتسع بالعلوم ويمد بينها وبين طبيعته الشعرية اسباباً من الخيال. ولما عاد إلى الكوفة سنة ٣٢٣ وهي مقر كثير من أئمة العلم والأدب والشعر، ولزم مجالسهم سنتين أو أشْفَ قليلاً، عملت هذه المجالس في تهذيب علمه الذي وقع عليه في الصغر، وعملت طبيعته الشعرية في هذه العلوم عمماها، وكان له من الفراغ ما يكفيه للتفكير والاتساع في النظر والترجيح والتعديل بين علمه وبين طبيعته، ثم كان له من توقد ذهنه، واشتغال قوى نفسه الملهبة بأحقاها والآمها، ما يحمله على استخراج روائع المعاني التي توافق همه وألمه، وتوليد الآيات البيانية التي تتصل بما في قلبه وفكره، واجتباء العبارة التي تكون في إيجازها بمنزلة الرمز لما يدور في نفسه في المعاني المطولة

والآن وقد رجع صاحبنا إلى الشام في جوار علي بن إبراهيم التتوخي سنة ٣٢٦ كان أول ما قال هذا الشعر الذي أوجزنا لك في صفته، دالا على مذهبه الجديد، وعلى تدرُّج حالته النفسية تدرجاً متوالياً متفاسحاً... يقول



أفكر في معاقرة المنايا      وقود الخيل مشرفة الهوادي  
( زعيم للقسا الخطي عزمي      بسفك دم الحواضر والبوادي )  
( الى كم ذا التخلف والتواني !      وكم هذا التماذي في التماذي ! !  
وشغل النفس عن طلب المعالي      يبيع الشعر في سوق الكساد ! !  
وما ماضي الشباب بمسترد      ولا يوم يمر بمستعاد  
متى لحظت بياض الشيب عيني      فقد وجدته منها في السواد  
متى ما ازددت من بعد التناهي      فقد وقع انتقاصي في ازديادي

ثم يقول . . . بعد

( وما الغضب الطريف وإن تقوى      بمنصف من الكرم التلاد )  
( فلا تغرك ألسنة موال      تقلبن أفئدة أعادي )  
( وكن كاللوت لا يرثي لباك      بكى منه ، ويروى وهو صادي )  
فإن الجرح ينغر<sup>(١)</sup> بعد حين      إذا كان البناء على فساد  
وإن الماء يجري من جدار      وإن النار تخرج من زناد

( أشربت أبا الحسين بمدح قوم      زلت بهم فسرت بغير زاد )  
وظنوني مدحتهم قديماً      وأنت بما مدحتهم مرادي  
( ولاني عنك بعد غد لغادر      وقلبي عن فنائك غير غاد )  
محبك حيثما اتجهت ركابي      وضيقت حيث كنت من البلاد

كان شعر صاحبنا في هذا الباب من القول — الى ما قبل هذه القصيدة شعراً قريباً لم تستخرجه فكرة عامية مستوعبة لاحداث الزمن ، ولا نظرة مجرّبة نافذة في ضمير أخلاق الناس ، ولم يكن يزيد على الدلالة على ما في نفس الفتى من السمو ، وما في قلبه من كرم العنصر ، وما تبدي طبيعته الفتيّة من أصول الرجولة المستحكمة في طبعه وغريزته ، وما يملأ صدره من أسباب الحقد وطلب الثأر ، وما يكشف عن نيّته في إحداث حدث عظيم يجلب فيه على أعدائه بخيلة وسيفه حتى يدبل لها من ( دولة الخدم ) الذين ماكوا على الناس أمرهم ، وصرقوهم في أهوائهم ، فذلك قوله في صباه . . . . (٢)

(١) نغر الجرح بالعين ( كفتح ) اذا انجر وسال منه الدم يقال جرح نغار على المبالغة . وفي رواية ( ينغر ) بالفاء يراد بها يتورم . والذي ائتمناه أجود معنى

(٢) قصدنا بجمع هذا الشعر هنا ان نتطر فيه بما يعيننا عن الاطالة في تفصيل الفروق بينه وبين شعره الذي قاله بعد خروجه من السكوفة سنة ٣٢٦



عش عزيزاً أومت وأنت كريمٌ بين طعن القنا وخفق البنود  
( فرؤوس الرماح أذهب للغيظ ، وأشفى لغل صدر الحقود  
فاطلب العز في لظى ، ودع الذل ولو كان في جنان الخلود  
يقتل العاجز الجبان وقد يعجز عن قطع بخنق المولود  
ويوقى الفتى المسخس وقد خوَّض في ماء لبنة الصنديد  
وقوله

ومن يبع ما أبغى من الجيد والعلی  
ألا ليست الحاجات إلا نفوسكم  
فماوردت روح امرئ - روحه له -  
غثاة عيشي ان تغث كرامتي  
تساو الحايي عنده والمقاتل  
وليس لنا إلا السيوف وسائل  
ولا صدرت عن باخل وهو باخل  
وليس بغث ان تغث الما كل

وقوله

ليس التعل بالآمال من أربي  
ولا اظن بنات الدهر تتركني  
لم الليالي التي أخت على جدتي  
أرى أناساً ، ومحصولي على غم ،  
ورب مال فقيراً من مروءته  
الى آخر القصيدة . وقد مضت منها آيات

فتدبر النهجين في الشعر فضل تدبر نجد ما رسمنا لك واضحاً بيناً ، وتر أثر هذه الرحلة الى الكوفة على ما بينا لك آنفاً مستعاناً غير خاف . فقد بدأ صاحبنا يفكر بما اكتسب من تجربة وما أفاد من علم ، ويدس ما ألم به من الاحداث في شعره منتزعاً للعلل ، وضارباً بيلاعته في مفصل الحكمة ، ونافذاً بألفاظه في مضمحل اخلاق الناس حتى يكشف لك عنها الغطاء . فانظر اين قوله اولاً « ارى أناساً ومحصولي على غم .. » من قوله بعد

فلا تغررك السنة موالٍ تقابهن أفئدة أعادي

فان الموضع الذي اخذ منه المعنيين واحد ، ولكنه كان في الاول غسلاً محصوراً غير شامل ، وكان في الاخر منهما حكماً شاملاً متراًمياً نافذاً الى اصل طبيعة الكذب في هؤلاء الناس ممتدة من ضمائرهم الى ألسنتهم ، والسر كل السر في نسبة تحريك اللسان الذي يظهر المودة والولاء



الى الفؤاد الذي يضرر البغي والعدوان والكذب والنفاق (١)

هذا، وقد بدأ أيضاً يصف في شعره ما وصلت اليه الامة العربية، اذ ملكتها الموالي من الترك والديلم وغيرهم ممن كانوا اول امرهم بمنزلة العبيد، وذلك مما استفاده في رحلته الى الكوفة، ومارآه في بلاد العربية. ولم يخل هذا مما يدور في نفسه، وما وقع له من المصائب والمكاييد والحسد... يقول وهو يمدح علي بن ابراهيم التنوخي ايضاً حين زل به سنة ٣٢٦ او كان ذلك في اول سنة ٣٢٧

( واما الناس بالملوك وما  
( بكل أرض وطمتها أم  
تُفْلِح عُرْبٌ ملوكها عجم )  
ترعى بعبد كأنها غنم )  
يستخشن الحرّ حين يلمسه  
وكان يُبرى بظفره القلم  
اني وإن لمت حاسدي فما  
انكر اني عقوبة لهم  
وكيف لا يحسد امرؤ علم  
له على كل هامة قدم  
يها به أبساً الرجال به  
وتقي حد سيفه الهم  
( كفاني الذمّ اني رجل  
اكرم مال ملكته الكرم )  
يجنى الغني للثام — لو عقلوا —  
ما ليس يجنى عليهم العدم  
( هم لا مواهم ولسن لهم  
والعار يبقى ، والجرح ياشم )

ثم قوله في سنة ٣٢٧ في مدح المغيث بن علي بن بشر العجلي  
أذاقني زمني بلوى شرقت بها  
لو ذاقها لبيكى - ماعاش - واتعجا  
الايات . . . . . وقوله له ايضاً

فؤاد ما تسليه المدام  
( ودهر ناسه ناس صغار )  
وما أنا منهم بالعيش فيهم  
ولكن معدن الذهب الرغام  
( أرايب ، غير انهم ملوك ،  
مفتحة عيونهم ، نيام )  
( بأجسام يحرق القتل فيها  
وما أقرانها الا الطعام )

وأياتاً أخرى . . . . .

وكانت حكمة المتنبى وبلاغته في هذه الفترة آتية من قبل نظره في امر نفسه ودخيلتها وخصتها، وما يحيط بها وما يؤثر فيها ، ويشير من كوامنها وعواطفها ، وثبت فكرته على ذلك . وطفق يقلب الامور والاحداث في الدنيا كلها على امتداد نفسه واتساع قلبه وهمته ، فانفجر بين جنبيه ينبوع الكلام المتدفق ، وفيه من قوته ورجولته ، ومن بيانه وفصاحته ، ومن ثأره وعداوته ، ومن تهكمه

(١) - سيكون تفسير هذه الاسرار البليانية واستخلاص حالته النفسية منها في كتابنا عن المتنبى ان شاء الله ووفق



وسخريته . وخرج مديحه أيضاً عن نهجه الاول ، فصار أدق وأبلغ في أداء المعاني ، وتصوير الفكرة باللفظ المقارب ، وانقلب من مديح معروف مقلد ضعيف الى مديح لا يراد به الممدوح خاصة ، وإنما يريد به أفكاره هو فيمن يحق له أن يمدحهم ، فوقع في كلامه المبالغة . والمبالغة في شعر أبي الطيب ليست كالمبالغة في شعر غيره من الشعراء ، فهو اذا ذكر الممدوح وبألف في صفته إنما يعطي الشعر حق نفسه من أفكاره في عظمة الرجال الذين عدّهم في زمنه ، وكان يود أن يمدحهم بهذا الشعر ويحفظ لهم فيه صورة حية باللفظ الناطق بالبالغ

فأنت ترى أن نبوغ المتنبي إنما بدأ يتجلى ويتكشف حين أرغمته همائم نفسه على استيعاب ما يحس به من العواطف المتباعدة والمتقاربة ، فكانت دراسة قلبه — ومعرفة دقائق ما يحزُّ فيه من الآلام ، ثم المعاني التي تولد من هذه الآلام — أصلاً من الاصول العظيمة في نبوغه ، ثم في طبع شعره بطابع لا يخفى على ناظر أو متأمل ، ثم في هديه الى أن الشعر لا يكون شعراً إلا حين يروى من معاني القلب ويستقي منها . ولهذا كانت إجادة المتنبي باللغة أقصى غايتها في شعره الذي قاله في تصوير رجال الحرب ، أو في رسم صور الحرب ، أو فيما كشف به عن ضميره الذي كان كحومة الوعى بغبارها ودمائها وقتلاها ، وقعقة سلاحها ، وتداوي أصواتها ، والتماع أستها وحرابها . واستمر نبوغه أو أكثره على هذا الباب حتى كان اتصاله بسيف الدولة ، فبدأت هناك في قلبه معانٍ أخرى <sup>(١)</sup> تقاسحت بها نفسه ورجبت فامتدت بلاغته وانبسط نبوغه على الحياة كلها فأخذ منها ثم أعطى حكمة باقية ويناغاً خالداً ، . . على أن هذه الحكمة وهذا البيان لم ينقطع استمدادهما من نفسه ، وما رزى به في حياته ، وما أصابه من أحداث وأحوال . ولو تدبرت لوجدت لكل حكمة في شعره أصلاً تاريخياً في قلب هذا الشاعر الذي لم يكن قلبه ينسى شيئاً أو يفاته . وكأني به — وهو يقول البيت السائر والمثل الشرود — كانت تتراءى تحت عينيه ، ويدوي في مسمعه كل ما مر به مما أثر فيه ، فيقول البيت وفي كل لفظة منه سببٌ ممدود إلى ذكرى يذكرها أو فكرة يتخيلها . . . . . ولنضرب لك مثلاً قريباً نوجزه وعليك بسطه ، ففي الايات التي وضعناها على رأس هذه الكلمة يقول . . .

« واحتمال الاذى — ورؤية جانيه — غذاء تَضَوَّى به الأجسام »

فإن تجد الأصل التاريخي في هذا البيت؟ أصل المعنى الذي اراده الشاعر هو في قوله « واحتمال الاذى غذاء تَضَوَّى به الأجسام » ، ولو كان غير المتنبي لوقف عند هذا فهو تمام وكفاية ، ولكن المتنبي الذي ( لم يكن قلبه ينسى شيئاً أو يفاته ) ، والذي ( كانت تتراءى تحت عينيه ، ويدوي في مسمعه كل ما مر به مما أثر فيه ) ، والذي كان قد احتمل اذى كثيراً من أهل وطنه بالكوفة كما

(١) هي معاني المرأة التي احبها !



مرُّ بك ، والذي كان رجع الى الكوفة ، وحمل نفسه على معاشرته من آذوه وهضموه حقه ، وأقام  
بينهم مرغماً يراهم في كل خطرة بعينه وبخياله — زاد في المعنى وتممه ، واثبت فيه قلبه وعواطفه  
بقوله « ورؤية جانبية » فهذه الجملة المعطوفة المعارضة هي توقيع المتني على البيت . وهناك سرٌّ آخر  
في تسميته ( احتمال الاذى ) غذاءً ليس هذا موضع تفصيله <sup>(١)</sup> ، وعلى هذا ففس بقية شعره وحكمته  
وبعد . فقد شغلنا هذا عن تحرير القول في رحلته ومدخله الشام ... وقد رويناه لك في اول  
هذا الباب ان المتني نزل الشام على علي بن ابراهيم التوخي ، وأنشدناك ابياتاً من قصيدته التي  
مدحه بها وفيها يقول

( أشرت أبا الحسين بمدح قومٍ نزلت بهم فسرتُ بغير زاد )

وقد اختلفوا في قوله ( أشرت ) أي من الإشارة عليه بمدحهم فتكون ( أشرت ) . او من  
الأسر وهو الفرح والطرب فتكون ( أشرت ) بإسناد الفرح الى نفسه . والرواية الاولى عندنا  
أرجح . والظاهر ان المتني لما قدّم على عليّ هذا باللاذقية أشار عليه بأن ينحدر الى ( طبرية )  
ليمدح رجلاً — لعلمه من العلويين او اشياهم — فمدحه مرغماً ولم يظفر منه بطائل ، فعاد الى عليّ من  
فوره وأنشده هذه القصيدة ، ثم قصيدة اخرى وصرح فيها بذكر بحيرة طبرية ، وما لقي هناك من  
الادعياء ( وهم الذين يدعون النسب الى علي رضوان الله عليه ) ... فيقول لعليّ ... ( والبحيرة  
التي يذكرها هي بحيرة طبرية المشهورة )

لولاك لم اترك البحيرة ، والغور دفيئاً ، وماؤها شيم

والموج مثل الفحول مزبدة . . . . .

فهي كماويّة مطوّقة جرد عنها غشاؤها الأدم

يشينها جريها عليّ بلدي تشينه ( الادعياء ) و ( القزم )

أبا الحسين استمع فمدحكم بالفعل — قبل الكلام — منتظم

ووصف البحيرة وصفاً رائعاً لم يدع لها عيباً الا عيبها انها تجري على ارض تطوّها اقدام هؤلاء  
الادعياء من العلويين والتمام ممن ذكرهم في قوله ( القزم ) . ولو رجعت قليلاً الى ما كنا حدثناك  
من إرصاد العلويين له بكفر عاقب ( وهي بقرب طبرية ) في سنة ٣٣٦ بعد ذلك ، وجدت ان  
الذين قصدهم بقوله « اشرت أبا الحسين بمدح قوم » هم من العلويين ايضاً ، ولعالمهم هم الذين

(١) اذا قرأت المتني على هذا الاصل ، لم تجد الشاعر الذي يذكره الناس ملء الافواه ، بل تجد شاعراً  
فذاً لم يرزق الشعر ولا الحكمة مثله ذا لسان وبيان . وسنفرد في كتابنا باباً كبيراً لبيان هذا الاصل في شعر  
المتني ، وتفسير اكثر شعره على هذا المذهب



اتهبوا الفرصة حين نزل عندهم ليقتلوه ففاتهم برحلته الى الرملة في جوار ابى محمد بن طنج  
وهذا الكيد الذي لقيه ببجيرة طبرية في سنة ٣٢٦ ، وما قاساه من مدح الذين اشار عليه  
بمدحهم علي بن ابراهيم ، زلزل نفس الشاعر وهزه هزة رابية قذفت بحممه الشعرية البركانية  
التي رويها لك اولاً ، ومجد فيه اثر ذلك بيناً كقوله

اني وان لمست حاسدي فما انكر اني عقوبة لهم  
وكيف لا يحسد امرؤ علم ( له على كل هامة قدم )

وبين ان علي بن ابراهيم لم يكن ليقبل من شاعر ان يمدحه ويقول في مدحه له يصف  
نفسه بأن له « على كل هامة قدم » الا ان يعلم ما دفع الشاعر الى اخراج هذا القول . وقد  
تحمل هذا علي لابي الطيب اذ كان هو الذي اشار عليه بمدح عدو من اعدائه ، وزين له الرحلة  
اليه . وهو يعلم ما في نفس ابى الطيب لقوم هذا الممدوح او هؤلاء الممدوحين . وبقي ابو الطيب  
قليلاً في جوار علي التوخي ومدحه ثم قال له في مدحه يودعه ويذكر نيته في الفراق

واني عنك ( بعد غد لغاد ) وقلبي عن فنائك غير غادي

حبك حيثما اتجهت ركابي وضيفك حيث كنت ( من البلاد )

وخرج من اللاذقية قاصداً حلب ولكنه لم يبق بها طويلاً بل قصد قصداً انطاكية

حين زلها المغيث بن علي بن بشر العجلي فمدحه وذلك حيث يقول له

لما أقت ( بأنطاكية ) اختلفت الي بالخبر الركب ان في حلبا

فسرت نحوك لا ألوى على أحد أحت راحتي الفقر والادبا

أذاقني زمي بلوى شرقت بها . . . . .

وكان ما لقيه ابو الطيب بطبرية لا يزال يهد منه ، ويعتلج في قلبه وصدره ، فكان شعره

في هذه الفترة شعر التأثير المفكر المتأمل ، وقد كشف عن ذلك في قوله مثلاً

فلموت أعذر لي ، والصبر أجل بي ، والبر أوسع ، والدنيا لمن غلبا

وفي قوله ( والبر أوسع ) سرُّ تقلقه بين بلاد كثيرة في فترة وجيزة ، فانه كان يريد أن ينال

نيلاً عظيماً بكثرة التجوال ، حتى اذا ما جمع ما يريد استطاع ان يفعل ما قال وما أنذر بقوله

« والدنيا لمن غلبا » . . . وكانت قصيدته الثانية في مدح المغيث بن بشر أروع من الاولى ، وأكثر

إفصاحاً عن نفسية الشاعر في تلك الفترة ، فانه كان قد هدأ واستجم من وعاء السفر ، ووجد

الوقت كافياً ، والقول ذاسعة ، فقال كاشفاً عن ضميره ، ومصرحاً بآرائه في الايات التي

ذكرناها وأولها

فؤاد ما تسايه المدام ( وعمر مثل ما تهب الثام )



وفي هذه القصيدة ( غير الايات التي مرت آنفاً ) إشاراتٌ عجيبَةٌ الى ما في نفسه كقوله في المغني  
تَلَذُّ لَهُ المروءة وهي تؤذي ومن يعشق يَلَذُّ له الغرامُ

فقوله ( وهي تؤذي ) هو توقيع المتني على البيت كما ذكرنا ، إذ كان الرجل لا يرى في عصره  
مروءةً الاّ وقد احتوشتها اللثام بالسوء من القول والفعل ، ويخص نفسه بذلك إذ كان هو  
صاحب المروءة التي لقي بها وبفعاها أذىً كثيراً من أعدائه والحاسديه والناظرين اليه وكقوله أيضاً  
وقبض نواله شرفٌ وعزٌّ ( وقبض نوال بعض القوم ذام )

فهو يفرق بهذا الشرط الاخير من أرادوا أن ينيلوه نيلاً فعفّ وأبى ، وأثر الفقر على أن  
يقبل من نوالهم شيئاً كما مرّ بك فيما فرضناه في مسألة دخوله الكوفة في الباب السابق  
ثم رحل المغني عن أنطاكية لتوّه فانه لم يكن من اهائها — كما قال —

وليست من مواطنه ولكن يمر بها كما مرّ الغمامُ  
فالتفت أبو الطيب فلم يجد من يمدحه الاّ القاضي ابا الفرج احمد بن الحسين المالكي ثم عليّ  
ابن منصور الحاجب وعمر بن سليمان الشراي — وهو يومئذ يتولى الفداء بين الروم والعرب —  
وليس في مدحه لهم شيء يذكر مما يدل على أن الرجل كان قد ملّ فهو يقول ليكتسب ما بقوته  
ويقوت أهله ثم ضاق بهم ذرعاً ، وضاق ذرعاً بما يكاد به ، فعزم الرحلة إلى حمص ولبنان فر في  
طريقه بالفراويس من أرض قدسرين وهي التي فيها ( حمص ) فسمع زئير الاسد فقال  
أجارلّ يا أسدَ الفراويس مكرمٌ ؟ فتسكن نفسي ، أم مهانٌ فسلمُ  
( ورائي وقدامي عداةٌ كثيرةٌ أحاذر من لصٍّ ، ومنك ، ومنهم )  
( فهل لك في حافي على ما أريده فاني بأسباب المعيشة أعلم )  
إذاً لا تأكل الرزق من كلّ وجهةٍ وأثريت مما تغنين واغم

وفي خطاب أبي الطيب للاسد في هذه الايات يتجلى كل ضميره ، وما فيه من آثار العداوة ،  
وما فيه من المطالب والاماني ، وهي تدل دلالة يئنة على ان الرجل كان قد ملّ من مدحهم ، وأراد  
ان يجد منفذاً ينفذ منه الى تحقيق آماله وآرايه في إدراك ثأره من عدائه ، واصلاح ما أفسد  
الحكم القائم في البلاد العربية ، وكان يؤدّ ان يلقى الرجل الذي يعينه ويستعين به على أغراضه  
ويكشف له عن ضمير نفسه . فكان مدحه هو المقدمة للاتصال والاختبار ان يجد عند احد  
ما يؤمل ، فمدح في طريقه الانطاكي عبد الرحمن بن المبارك ، ولكنه لم يجد لديه شيئاً ، فقصده الى  
لبنان في جوار الكاتب أبي علي هرون بن عبد العزيز الإوراجي وبقي عنده ومدحه مدحاً عظيماً  
ولكن الرجل لم يكن عند ظن أبي الطيب ، فأقام عنده يستجم من مشقة السفر في ربي لبنان ،  
يصطاد ويطرد ويغترف من ينبوع الجمال الذي أنبطه الله في تلك البلاد



ومهمه جِبْتُهُ على قدمي  
تَعَجَّزَ عَنْهُ العِرامس الذليل  
بصارمي مرتدٍ ، بمخبرتي  
محتزى ، بالظلام مشتمل  
إذا صديقٌ نَكَرْتُ جانبَه  
لم تعيني في فراقه الحيل  
في سَعَةِ الخافقين مضطرب  
وفي بلادٍ من أختها بدل

كان لهذا الاضطراب والملل الذي استشعره أبو الطيب في رحلاته في البلاد التي أوجزنا لك رسمها، أثر كبير في قلبه الموجه المتأمل . وكانت أيام الهدوء والراحة التي اهتباها من غفلة الزمن قد جذبت معاني قلبه ، ورمت في فؤاده بالحطب الذي يوقد به ناره ، فلما ملَّ الاوراجي ولم يجد منه شيئاً ولا عزمًا ، وكان أبو الحسين بدر بن عمار بن اسماعيل الاسدي قد صعد الى طبرية من قبل ابي بكر محمد بن رائق ليتولى حربها اي قيادة جيشها وحمايتها في سنة ٣٢٨ — وكان أبو الحسين فيما نظن عربيًا ماضيًا كالسيف ، حلو الشئائل سمحًا ، قريب المذهب من ابي الطيب في بنضاء العجم ، لما انزلوه بالدولة من التفرقة والتمزيق — قصده أبو الطيب فرحًا كأنما وجد فيه ما اراد من الفكرة والسطوة والسلطان والقوة ، والرجولة الفذة التي ابدع أبو الطيب في عبقها بعد حين اعجب بها وفن . وكانت اول قصيدة مدح بها تدل على ما ادرك ابا الطيب من الفرح والنشوة ، وانتظار الفرج على يديه

أحلمًا زى ، أم زمانًا جديدًا أم الخلق في شخص حيٍّ أعيدًا ؟ !  
تجلى لنا فأضأنا به كأننا نجومٌ لقين سعودا  
فقد جمع أبو الطيب في هذين البيتين كل عاطفة ينبض بها قلبه ، وما استثارها من الفرح بهذا العربي الذي

تعرف في عينه حقائقه كأنه بالذكاء مكتحل  
(أشفق عند اتقاد فكرته — عليه منها — أخاف يشتعل)



وبقي المتنبى في جوار بدر وفي مجالسه (وفي عريته) من أواخر سنة ٣٢٨ الى اوائل سنة ٣٣٣ على وجه التقريب لا على التحقيق، وكأنه كان قد أحب الرجل حباً عظيماً لما يرى من مروءته وقوته ورجولته. والظاهر ان بدرًا قد وجد في نفسه لابي الطيب مثل ما وجد له، فأعلن ذلك الشاعر على ان يتفتح ويحيد ويبدع، فان مدائحه لبدر تكاد تكون في الطبقة الثانية من جيد شعره، وفيها ايات في الطبقة الاولى من الشعر العربي كله. وقد بدأ نهجه ايضاً يتغير ويتميز بألوان وآيات. ولا عجب، فقد مارس الرجل الحياة بشاعريته، وتلقّف من الدنيا عبرها وحكمتها، وسمع منها وحفظ عنها، وأعمل فيها ذهنه المتوقد، وأرسلها إلى قلبه ليفتحها بناره، ويصوغها في يانه الذي وصفناه أولاً، ثم زين بها كلامه. ولم يكن طوال هذه السنين يدع استيعاب الكتب والآراء ونقدها، والتبصر في أعقابها واطرافها. وأيضاً فانه كان قد بدأ يستحکم بفعل طبيعة الحياة البشرية فقد شارف الثلاثين، وامتلاً شبابه بقوته وقوته ورجولته، وعبّ قلبه بالامه وأحقاده وآماله التي كان يجاهد فيها ويسعى لها ليحققها. وأيضاً فإن الأمل في إدراك الطلب، وبلوغ الامنية والظفر بها، وقرب تحقق الفلج على الخصوم، مما يشعل القلب ويزيد النفس مضاً ونفاذاً. وقد كان له ذلك كله في جوار صاحبه وحييه بدر بن عمار الاسدي العربي الذكي الفؤاد، فاتخذ أبو الطيب سبيله في الشعر عجباً، واستقام على طريقته، ومضى على غلوائه، ورمى الدنيا بعينَي نسرٍ كاسرٍ يتلو فريسته أن تفرّ منه، وزاده علواً ما وجد من حماية بدر له في طبرية موطن أعدائه كما حدثناك، وأورى زناذه مالتى من عداوة بعض الشعراء له، وما سعى به الوشاة المفسدون لدى بدر بن عمار ليقبلوا عليه قلبه. ومثل أبي الطيب اذا أريد به الشر انتقض انتفاضة الاسد اذا رامه عدوّ، وفي انتفاضه تتقدّف قوته كلها على لسانه البليغ المبين، وذلك لقوة أعصابه، وشدة توترها، وسرعة تأثرها مع ذلك

وفي جوار بدر بن عمار الاسدي بدأت عصبية أبي الطيب للعرب والعربية تسفر عن وجهه، وتجلو عن نفس الشاعر ظلمات قد ضربت عليها حجابها، وهيأت شاعريته لما يستقبله لدى سيف الدولة العدوي العربي هازم الروم، وقامع الدسائس الفاطمية بالشام وبعض العراق. وبذلك كله كانت هذه الفترة من ترتيب الزمن في تكوين الشاعر الاكبر طريقاً وتمهيداً للنبوغ الفذ الذي استودعه الله في قاب هذا الشاعر وفكره وأدبه وقوته وحقده وثأره والعصر الذي عاش بين اهله مبتلى بمعاشرتهم... او كما قال في آخر عمره يعني نفسه

وقت يُضيع، وعمر... ليت مدته في غير أمته من سالف الأُم !!  
أتى الزمان بنوه في شببته فسرّهم... وأتينا على الهرم !!



وقوله يعني أهل عصره

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام  
ودهره ناسه ناس صغار وان كانت لهم جث ضخام

أحب أبو الطيب بدر بن عمار، واحبه بدرٌ واكرمه ورفعته اليه وعزّره، ونصره على اعدائه من العلويين او اشياهم بطبرية وما جاورها، ووجد كلاهما في صاحبه ملجأ يأوي اليه، فقد كان أبو الطيب مهضوماً مطاردًا. وكان قلبه ممتلئاً من آثار الظلم التي اوقعها جبايرة العصر بالعرب، وكان فكره متبعاً لدهاء دهاة السياسة الذي كانوا يعملون على قلب الدولة او تمزيق شملها بالشعوية العجيبة البغيضة المبغضة اليه، وكان يرمي ببصره فلا يجد العربي الذي يأوي اليه، فان وجدته فينبذه وينه أهوال. فلما وجد بدرًا، ووجد في قلبه وفكره مثل الذي في قلبه وفكره، توقد الرجل الشاعر توقد النار المستعرة قد وجدت طعامها من الحطب

وبدأ يصف بدرًا العربي الشجاع المحارب، ويصف الحرب، ويصف كل قوة او مثلاً من قوة، ويبدع في ذلك كله مستمدًا من قلبه الجريء، وخياله المتسامي الى أشرف السلطان والغاية، حتى خرجت مدائحها في بدر آية في دقة التصوير، وسمو المعنى، وشرف الغاية... يقول في صفة بدر

(هان على قلبه الزمان، فما  
يكاد من طاعة الحمام له،  
يكاد من صحة العزيمة، ما  
تعرف في عينيه حقائقه  
(أشفق - عند اتقاد فكرته -  
(أغر - أعداؤه اذا سلموا  
يقبضونهم - وجه كل ساجدة  
يبين فيه غم ولا جدل)  
يقتل من ما دنا له الأجل  
يفعل قبل الفعل ينفع  
كأنه بالذكاء مكتحل)  
عليه منها، أخاف يشتعل)  
بالهرب - استكبروا الذي فعلوا)  
أربعها - قبل طرفها - تصل

والطعن شزره، والارض واحفة  
قد صبغت خدّها الدماء كما  
كانما في فؤادها وهل  
يصبغ خدّ الحريدة الخجل

(يا بدر، يا بحر، يا غمامة، يا  
ان النبات الذي تقالبه  
انك من معشر اذا وهبوا  
قلوبهم، في مضاء ما امتشقوا،  
ليث الشرى، يا حمام، يا رجل  
عندك، في كل موضع مثل  
ما دون أعمارهم فقد بخلوا)  
قاماتهم، في تمام ما اعتقلوا)



( مثلك يا بدر لا يكون ، ولا تصالح - الا لملك - الدول )

ومن تدبر هذا النهج في المديح ، ورجع الى مدائحه الاولى ، ولم يخل فكره مما ذكرناه في اول هذا الباب ، وجد في هذا الشعر عاطفة الشاعر الذي عطفته على بدر ، وعرف ان هذا الشعر ليس مديحاً كالذي تلوكه الالسنه ، وينقده نقاد عصرنا هذا ، بل هو تصوير الرجولة وبارازها في ألقاظها الحية ، وتفصيل مميزاتا عند الشاعر ، ووجد ايضاً صدقاً في ذلك كله ليس لشعر ، ولا لشعر ابي الطيب نفسه فيما سبق من مدائحه ، وهذا موضع للتدبر والتأمل ، فتدبره وتأمله <sup>(١)</sup> ... وتأمل قوله « يا بدر ، يا بحر . . . » فقد ناداه باسمه ، ثم بصفة صفة من بعض صفاته ، فلما امتد في الصفات الى كل غاية ، ووجد انها مما لا يفرغ منه ، ضمن كل المعاني التي في نفسه من صفة بدر في لفظ واحد هو قوله « يا رجل » فقد كانت كل صفات صاحبه هي الرجولة ، تحتها كل كريمة من معاني النفس من مروءة وهمة وشجاعة وسباحة وسناء

وكان المتني — في عشرته لابن عمار — قد بدأ يفسح في شعره مجالاً لآحساسه القوي بالجمال القوي المشبوب ، معبراً عنه بالعبارة المرسلة من قلبه القوي المشبوب ، فكانت قصيدته في وصف الاسد والمقابلة بينه وبين بدر وأسديته وقوته رائعة قليلة المثل ، مفردة من بين الشعر العالمي ، اجتمعت له فيها الحكمة السهلة ، والبيان المشرق الندي ، والخيال الجامع المقدر المبدع ، والاختيار الصافي للصفات المميزة التي تجعلك تقرأ صفة ما يصف وكأنك تراه ماثلاً بين عينيك . ولا بأس من ان نورد لك بعض ذلك على سبيل المثل هنا ، اذ كانت هذه الطريقة الشعرية قد بدأت عند الرجل ثم استحكت فيه حتى بلغت اقصى غاياتها من شعره الذي قاله في سيف الدولة بعد

قالوا . . . خرج بدر بن عمار الى اسد فهرب الاسد منه ، وكان قد خرج قبله الى اسد آخر — كان يقطع طريق السابلة ، ويلاحق بهم اذى كثيراً — فهاجه عن بقرة افترسها بعد ان شبع وثقل ، فوثب الى كنف فرسه فأعجبه عن استلال سيفه ، فبادره بالسوط يضربه حتى مرّغه في التراب ... فقال

أمعصر الليث الهزّ بئر بسوطه !      لمن ادّخرت الصارم المصقولاً ؟  
وقعت على الأردنّ منه بايئة ،      نضدت بها هام الرفاق تولوا  
وردّ ، اذا ورد البحيرة شارباً ،      ورد الفرات زئيره والنيل  
( متخضب بدم الفوارس لابس      في غيله من لبدتيه غيلاً )

(١) ليس فيما بقي لدينا من ( المقتطف ) سعة حتى نشرح هذا ، فنسأل القارئ ان يعيننا بذلك ، وفطنته وأدبه ، فان غمض عليه شيء ، فليراسلنا بعنواننا ، ليتسنى لنا ان نوفي أبا الطيب حقه في كتابنا ان شاء الله ونرضي القارئ بما يريد وبالله التوفيق



( ما قوبلت عيناه إلا ظننتنا  
 ( في وحدة الرهبان ، إلا أنه  
 ( يطأ الثرى مترفقاً ، من تيهه ،  
 ( ويردُّ عُفرتَه الى يافوخه  
 ( وتظنه مما يزجر ، نفسه  
 ( قصّرت مخافته الخطى ، فكأنما  
 ( ألقى فريسته ، وبربر دونها ،  
 ( فتشابه الحلقان — في اقدامه —  
 ( أسد يرى عضويه فيك كليهما :  
 — تحت الدجى — نار الفريق حلولاً )  
 لا يعرف التحريم والتحايل )  
 فكأنه آسٍ يجسُّ عيلاً )  
 حتى تصير لرأسه إكليلاً )  
 عنها — لشدة غيظه — مشغولاً )  
 ركب الكميُّ جواده مشكولاً )  
 وقربت قرباً خاله تطفيلاً )  
 وتخالفا في بذك الماكولاً )  
 متناً أزلّ ، وساعداً مفتولاً )

( ما زال يجمع نفسه في زوره  
 ( ويدقُّ بالصدر الحجار ، كأنه  
 ( وكأنه غرّته عينٌ ، فاذنى ،  
 ( أنف الكريم — من الديّة — تاركٌ  
 ( والعار مضاضٌ ، وليس بخائف  
 ( سبق التقاءكه بوثة هاجم  
 ( خذلته قوته ، وقد كلفته  
 ( قبضت منيته يديه وعنقه  
 ( سمع ابن عمته به ، وبجاله ،  
 ( وأمرٌ مما فر منه فراره  
 ( تأسف الذي اتخذ الجراءة خذلةً )  
 حتى حسبت العرض منه الطولاً )  
 يعني الى ما في الحضيض سيلاً )  
 لا يصير الخطب الجليل حليلاً )  
 في عينه العدد الكثير قليلاً )  
 من حتفه ، من خاف مما قيلاً )  
 لو لم تصادمه لجازك ميلاً )  
 فاستنصر التسليم والتجديلاً )  
 فكأنما صادقه مغلولاً )  
 فنجا يهرول أمس منك مهولاً )  
 وكفّله ان لا يموت قتيلاً )  
 وعظ الذي اتخذ الفرار خيلاً )

فهذا شعر لو ذهب أئنه وأفضله وأجلوه لما أعانتني ( الوريقات ) ولا وسعتني ، وفيما رسمته في طريق كلامي عن شاعرية الرجل كفاية لو تدبرت . وقد أثبتنا لك كثيراً من القصيدة اللامية السالفة ، ثم هذه في وصف الاسد ، لان هاتين القصيدتين هما ( نقطة الانقلاب ) — كما يقولون — في شاعرية ابي الطيب من النهج الاول الى النهج الثاني الذي لزمه وسار في دربه ، وتميز به . فني هاتين نجد ابا الطيب فتىً وكهلاً وشيخاً . ولو قسمتهما الى ما يأتي بعد من شعره لوجدت أن الرجل قد بدأ يستمر مريره بدءاً من هذه السنوات التي أقامها عند بدر بن عمار من سنة ٣٢٨ ، وفيها أيضاً الاصول النفسية والشعرية والبيانية التي مددنا لك اطرافاً منها في ثنيات القول



ولابدَّ هنا من الإشارة الى موضعٍ يكثرُ مروره في شعر أبي الطيب ، ذلك ان الرجل لاستحكام أصل الرجولة والمروءة والفتوة في نفسه غير مدَّعٍ ولا متمثلٍ -- كان اذا رأى ما يخالف الرجولة ويحطُّ منها ، اهتزت نفسه واشمأزَّ ، وأبدى ازدراءه واحتقاره ، فهو يحب من عدوه أن يستمسك بعروة الرجولة في اللقاء والهزيمة والنصر كما يحب ذلك من نفسه . . .  
فحين فرَّ الاسد الثاني الذي ذكره من بدر بن عمار بعد هزيمة (ابن عمته) ، استدعى ذلك احتقار أبي الطيب له ، فثارت رجولته كلها لهذا الفرار القبيح من اسدٍ هو الاسد ، فضمن شعره هذا المعنى من الازدراء والسخرية به حيث يقول

« سَمِعَ (ابن عمته) به وبجأله فنجأ يهرُّولُ أَمْسَ مِنْكَ مَهْولاً »  
« وَأَمْرُ مَا فَرَّ مِنْهُ فَرَارُهُ وَكَقْتَلُهُ أَنْ لَا يَمُوتَ قَتِيلًا »

فمن ألوان السخرية والتهم والازدراء لهذا الاسد الحيان ، انه حين وصف فراره جعله (هرولة) ، والهرولة حالة بين المشي والعدو ، فهو من خوفه واضطرابه ترك المشي وأراد العدو ، ولكن منعه الهلع أن يعدو فاضطك فصار عدوه للفرار بنفسه لا هو من العدو ولا هو من المشي . ثم أبدى في البيت الثاني كل احتقاره له بقوله « وكقته أن لا يموت قتيلاً » فما يحسن بأسدٍ أن يفرَّ وانما هما خططان : إما صبرٌ وظفرٌ وإما إقدامٌ وحُتْفٌ ، فبذلك يثبت الاسد أنه أسدٌ لا خروفاً ولا نعاماً

ولنضرب لك مثلاً آخر في ذلك . ففي سنة ٣٤٢ أوقع سيف الدولة بالروم في موقعة (بطان هنريط) وكان الدمستق وولده يحاربان ، فخرج الدمستق ، وأصيب ولده في مقتل أشفى به على الموت ، وفرَّ الدُّمستق تاركاً ولده في يد الموت ، فلم يفت أباً الطيب حين ذكر هذه الموقعة أن يشير إلى هذه الحادثة ، وأن يدلَّ على ازدراءه واحتقاره لهذا الدمستق الذليل الحيان الذي خالف مهجته وولده للموت ، فكان مما قال

لَعَلَّكَ يَوْمًا يَا دَمَسْتَقَ عَائِدٌ فَكَمْ هَارِبٍ مِمَّا إِلَيْهِ يُؤُولُ  
(نَجُوتٌ بِأَحْدَى مَهْجَتِكَ جَرِيحَةٌ وَخَالَفْتُ أَحْدَى مَهْجَتِكَ تَسِيلُ)  
(أَتَسَلِّمُ لِلْخَطِيئَةِ ابْنِكَ هَارِبًا؟ وَيَسْكُنُ فِي الدُّنْيَا إِلَيْكَ خَائِلٌ) !!  
(بِوَجْهِكَ مَا أُنْسَاكَ مِنْ مَسْرِشَةٍ نَصِيرُكَ مِنْهَا رَنَةٌ وَعَوِيلُ)

وهذه الايات غاية في الدلالة على استحكام الرجولة في طبع أبي الطيب ، وانه كان يؤذيه ويشبهه ان لا يجد في الرجال صفة الرجولة — من اقدام وصبر ومروءة وشهامة وما الى ذلك من كريم الصفات ، ولو كان اولئك الرجال من أعدائه . وأعد قراءة البيت الثالث فكأنك بأبي الطيب ينشده متعجباً مزدرياً ثم يبصق على صورة هذا الحيان الدمستق



ثم رجعنا الى ما كنا فيه : وجد ابو الطيب في بدر بن عمار ( الرّجل ) ، فاستقرّ وهذا حيناً وملاً نفسه من خلال القوة والفتوة والمروءة التي تحقق بها بدر. ولكن وقع في هدوئه واستقراره واقع هزه ونفضه ، وذلك انه وهو بطبرية — التي كان بها العلويون من اعدائه ، والذين ذكرهم فيما قدمناه لك في قوله في صفة البحيرة — بحيرة طبرية

« يشينها جريها على بلد تشينه ( الادعياء ) و ( القزم ) »

لم يفتأ يجد من عداوتهم له كيداً كثيراً ، حتى سعوا به لدى بدر بن عمار ، واغروا به الشعراء لينيطوه بالسنتهم ، وكان هنالك رجل متمتع بأحدى عينيه ( أعور ) يدعى ابن كروّس ، وكان قد اتصل بيدر ، وكان من أشد أعدائه عليه ، ولذلك قصده بالذكر من بينهم . ونحن وان لم نكن نعرف شيئاً عن هذا ( المتمتع ) ابن كروّس الا انه يخيل لنا انه كان من صنائع العلويين او الفاطميين ، سحب بدرأ كالعين عليه ، ثم ليحمله ينحاز اليهم ان استطاع الى ذلك سبيلاً — على عاداتهم مع الامراء وغيرهم تمهيداً لقلب الخلافة من العباسية الى العلوية او الفاطمية فلما كان ذلك ، دخل على فرح ابى الطيب ما رده الى قاقه واضطرابه ونغمومه وهمومه ، فعاد يذكر أحزانه ، ويقلب الرأي في الفراق اذ لم يجد عند بدر عضداً ينصره نصرته المحب لحبيبه ، فيقول

كأن الحزن مشغوفٌ بقلي فساعة هجرها يجبد الوصالاً  
كذا الدنيا على من كان قبلي- صروف لم يدمن عليه حالاً  
( أشدُّ الغمِّ عندي في سرورٍ ) تيقن عنه صاحبه انتقالاً  
( ألفتُ رحلي ، وجعلت أرضي ) قودي والغريِّ الجلالاً  
( فما حاولت في أرض مقاماً ) ولا أزمعت عن أرض زوالاً  
( على قلق كأن الريح تحتي ) أوجهها جنوباً او شمالاً

ثم يقول بعد أبيات يذكر مالتى من أعدائه من الشعراء

فيا ابن الطاعنين بكلّ لدنٍ . . . . .  
ويا ابن الضارين — بكلّ غضبٍ من العرب — الاسافل والقِلالا  
أرى المتشاعرين غرّوا بذمي ، ومن ذا يحمد الداء العضالاً ؟ !  
ومن يكُ ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ يجد مرّاً به الماء الزلالاً  
وقالوا : هل يبلغك الثيّب ؟ فقلت : نعم ، اذا شئتُ استغلالاً



فهو بهذه الايات يعرض عليه ما يلاقي من الكيد ، ويستعديه باليت الاخير على نصرته على أعدائه . ولا ندري ما الذي كان يكاد به ابو الطيب ، ولكن نظنّ انهم كانوا يتغاضون به وبشعره وما فيه من الغلو والطموح وما رد في أثناؤه من الوعيد للطغاة والملوك والاعداء ، والانذار لهم أن يصيبهم من قبله كلُّ مكروه . والحقيقة ، ان هذه المعاني في شعر ابي الطيب مما يستجلب التنبه لها ، والوقوف عندها ، فليس في العربية كلها شاعرٌ قد كثر ذلك في شعره كما كثر في شعر ابي الطيب ، بل أنت تقاب دواوين الشعراء جميعاً فلا تكاد تجد فيها هذه المعاني في الانذار والوعيد والترديد ، وخاصة في المديح الذي يراد به عطف القلوب لاستخراج مكنونها ، وإلانة الايدي لقبض نواها . وهذه المعاني مما يعكس على الشعراء مرادهم إن راموه وتعاطوه في اشعارهم . أما ابو الطيب فقد جعلها عمود شعره غير مبالٍ ولا حافل . فمن هذه الظاهرة في شعره — نعي اعتماده في كثير منه على الانذار والوعيد — بدأ اعداؤه في جوار بدر يسمونه ( المتنبى ) ويفظونه بذلك ، ويعنون أنه يتشبه بالانبياء اذ كان عمود نبوتهم هو الانذار والوعيد أيضاً وهو قد جعل ببيان شعره على هذين ، ولعلّ هذا هو المراد بقوله « أرى المتشاعرين غروا ( بذمي ) » فهذا ذمه عندهم كما ترى

واشتدّ هذا الكيد على ابي الطيب حتى حمله على فراق بدرٍ إذ ( نكر جانبه ) حين لم يجد عنده كل ما أراد ، ووجده يسمع للوشاة ويصغيهم أذنه . وكان آخر ما لقي ابو الطيب من ذلك حين سار بدرٌ الى الساحل ( ساحل طبرية ) حين أضيف عمله إلى عمله بطبرية ، وكان ابو الطيب قد تخاف عن المسير معه ، فاتهم ذلك الاعور ابن كروّس فكتب إلى بدرٍ يقول له « إن أبا الطيب إنما تخلف عنك رغبةً بنفسه عن المسير معك » . وبلغ ذلك أبا الطيب فتأثرت نفسه وعزم الرحيل والفراق ، ولكنه أجل ذلك حتى يعود بدرٌ ليعرف ما عنده ، والظاهر أن بدرًا كان قد حمل في نفسه شيئاً من آثار هذه السعايات . فلما عاد الى طبرية ولقيه أبو الطيب فظن لما يدور في نفس بدر ، وخاف ان يخذله فاعتمد الرحلة وطى الارض ، ولذلك كانت آخر قصيدة مقصّدة مدح بها بدرًا بينة الدلالة على اضطراب نفسه وقلقه وعزمه هذا فهو يقول فيها

« أنكرت طارقة الحوادث مرة ثم اعترفت لها فصارت ديدناً

وقطعت في الدنيا الفلا ، وركائبي فيها ، ووقتي الضحى والموهنا

وظهر فيها أيضاً خوفه ان يسلمه بدر الى أعدائه ، فيرصدوا له ويفتكوا به على غرة ، فصرح

لبدر بذلك حيث يقول يذكر امر تخلفه عنه ، ثم مخاوفه ، ثم ينذره

فطن الفؤاد لما أتيت الى النوى ولما تركت مخافة ان تفضننا



اضحى فراقك لي عليه عقوبة ليس الذي قاسيت منه هيناً  
 فاغفر فدى لك واحبني من بعدها لخصني بعطية منها (أنا)  
 (وانه المشير عليك في بضلة فالحر ممتحن بأولاد الزنا)  
 (وإذا الفتى طرح الكلام معرضاً في مجلس أخذ الكلام اللذعنى)  
 (ومكايد السفهاء واقعة بهم وعداوة الشعراء بئس المقتنى)  
 لُعنَ مقارنة اللثيم، فانها ضيف يحجر من الملامة ضيفاً  
 (غضب الحسود - إذا لقيتك راضياً - رزء أخف علي من أن يوزناً)

ثم بقي مع بدر وهو يضر في نفسه فراقه ، فكان يتتبع مرضاته في كثير مما لا يرضى به حتى شرب الخمر في منادته ، ليصرف بدرأ عما كان في نفسه قليلاً حتى تعرض له الساعة المواتية للفراق . فلما انت الساعة بادر واحتمل اهله ونفسه وخرج الى دمشق وقصد عملاً من اعمالها يقال له (حمى جرش) كان به أبو الحسين علي بن احمد المري الحراساني ، وكانت بينهما مودة وهما بطبرية ، فاجأ اليه ، واحتمى بحماه ، وذلك في سنة ٣٣٣ على وجه التقريب لا التحقيق





لا أَقْتَرِي بِلَدًا إِلَّا عَلَى غَرَرٍ  
ولا أَمْرٌ بِخَلْقٍ غَيْرِ مُضْطَغِنِ  
ولا أَعَاشِرُ مِنْ أَمْلَاكِهِمْ مَلَكًا  
إِلَّا أَحَقَّ بِضَرْبِ الرَّأْسِ مِنْ وَثْنِ  
مَدَحَتْ قَوْمًا ... وان عشنا نظمت لهم  
قصائدًا من إناث الخيل والحُصْنِ  
فلا أَحَارِبُ مَدْفُوعًا إِلَى جُدُرٍ،  
ولا أَصَالِحُ مَغْرُورًا عَلَى دَخَنِ

اتصّر (ابن كروّس) الاعور على أبي الطيب، وأفسد عليه بدر بن عمار . ويّسنّ أن  
دهاء أبي الطيب وحياته أعاته على اجتباب الخطر الذي كان له رصداً في طبرية، والذي كاد  
يدركه مرة أخرى بعد في سنة ٣٣٦ حين أرصد له العلويون ليقتلوه ففاتهم الى الرملة، وهذا مما  
يرجّح عندنا أن (ابن كروّس) كان من شيعة العلويين او من انفسهم او من دعاة الفاطمية  
وكان ابو الطيب — كما قدمنا لك — وهو عند بدر قد بدأ يطمئن ثم هاجه هذا الاعور  
ابن كروّس فانطلق الى غايته في نفسه من الحقد والثورة والافتحام ولكنه كتم ذلك . فلما نزل  
بعلي بن احمد المرّي كانت قصيدته اعلاناً للحرب مرّة أخرى، وزلزلة وقعت في قلبه فأخرجت  
قديمه من الاحقاد والبرات والآمال والآراء، واستمر يتنفّض ويقذف بركانه بحمسه إلى ان  
كان اتصاله بأبي العشائر في اواخر سنة ٣٣٦ . وكان شعره — في هذه الاغراض ثم في هذه  
الفترة — نظرات متطايرة كالشمر تحت ظلام الليل، وهي مع ذلك حكيمة تقع في المفصل ولا  
تخطيء، إذ كان الرجل قد تحنّن واستحكم واستمرّ في الشعر على طريقته، مما وجد من الهداة  
في جوار بدر ثم ما وجد من الكيد بعد . ولم يتصل بعد بدر بأمر ينادمه بل كان يتنقل من مكان إلى  
مكان نائراً مغضباً موعداً منذراً مرعداً، يريد ويغني، ويؤمل ويتنظر، ويملّ ويسأم، ويحنق ثم ينفجر  
فانظر الآن الى هذا الشعر الذي قاله لعلي بن احمد المري بعد ان تردّ النظر مرّة أخرى

إلى ما كتبناه في الفصل الثامن . . . . يقول  
( لا افتخارُ إلا لمن لا يضامُ      مُدْرِكٌ أو محاربٌ لا ينامُ )  
( ليس عزمًا ما مَرَضَ المرءُ فيه      ليس همًّا ما عاق عند الظلامُ )



واحتمال الاذى — ورؤية جانب — غذاء تصنوي به الاجسام  
 ذل من يعطى الدليل بعيش — رب عيش أخف منه الحمام  
 كل حلم أتى بغير اقتدار — حجة لا حجة اليها اللئام  
 من يهن يسهل الهوان عليه — ما لجرح بميت إيلام  
 (ضاق ذرعاً بأن أضيّق به ذر) — عاً زمامي ، واستكرمتي الكرام  
 (واقفاً تحت أخصي قدر نفسي) — واقفاً تحت أخصي الانام  
 (أقراراً ألدّ فوق شرار!!) — ومراماً أبغي وظلمي يرام!!  
 (دون أن يشرق الحجاز ونجد) — والعراقان — بالقنا — والشام!

فهذه أبيات قد اجتمعت فيها نفس المتنبى كلها بحكمته وتجربتها وعلومها وقوتها ورجولتها  
 وثورتها وانتفاضها وزلازلها ، وآمالها وأحقاها ووعيدها وإنذارها ، وصدقها وعواطفها المتسعة  
 التي يأكل بعضها بعضاً ، وفيها (توقيع المتنبى) على كل بيت . فلا تحسبن شاعراً يستطيع أن يأتي  
 بمثلها أو يسرق معانيها إلا أن يستطيع أن يسرق نفس أبي الطيب وقلبه جملة من بين جنبيه ، أو  
 ألا أن يكون قد مهد له في نفسه وفي صدقه وفي آلامه وآماله وغير ذلك ما تيسر لأبي الطيب  
 وألقى أبو الطيب هذه (القنابل) الحكيمة في حمى جرش ثم أدركته مكاييد الاعور ابن  
 كرويس أو العلويين فعجل بالرحيل غير مختار له ، فقال يودّع صاحبه المرّي ويعتذر له ، وقد  
 أبان في الايات كل الإبانة

(لا تترك رحيلي عنك في عجل — فأني لرحيلي غير مختار)  
 (وربما فارق الانسان مهجته — يوم الوغى — غير قال — خشية العار)  
 (وقد منيت بحسادٍ أحرّ بهم ، — فاجعل نداك عليهم بعض أنصاري)

ثم انطلق من حمى جرش يتفحص البوادي عجلاً يفور فوران القدر على نارها المتضرة ،  
 وتسعرت الدنيا في عينيه ، وتلذّعت الافكار النارية بين جنبيه ، ونفّج شعره كعمعة الحريق  
 ونقيضه وزفيره وفرقته ، كما سترى . ومن شدة ما لقي أبو الطيب من كيد هذا الاعور ابن  
 كرويس كان — على عادته — يتخيّله كلما تافست في مسيره واقتحامه ظلمات البادية . وقد  
 حفظ لنا أبو الطيب في شعره — على عادته ايضاً — صورة ناطقة من إحساسه وعواطفه  
 وهو يطوي البادية طياً عجلاً فقال (١)

(١) لقد أكثرنا من نقل شعر أبي الطيب إذ كان السياق الآن يقتضي ذلك ، ولئلا نقطع القارىء  
 بالرجوع الى الديوان ، ثم لنختصر القول من ناحية اخرى ، فعلى القارىء — كما كتبنا على انفسنا — أن  
 يستنبط ويستخرج المعاني على الاصول التي درجنا عليها في كتابنا . هذا والتدبر والتأمل أصل الاصول في  
 العلم والاستنباط . . . .



ركبت مشمراً قدي إليها وكل عذافر قلق الضفور  
(أواناً في بيوت البدو رحلي وأونة على قد البعير)  
(أعرض للرماح الصم محري وأنصب حر وجهي للهجير)  
(وأسرى في ظلام الليل وحدي كأنني منه في قمر منير)

وهذان البيتان فيهما من رجولة أبي الطيب وتقشّمه ومضائه وتدفعه واستهائه بالشقاء في سبيل آرايه وآماله ما فيهما ، ففسّرهما لنفسك ، واعلم أن هذا الرجل شاعرٌ مبینٌ ، قلبه في لسانه ، وعواطفه في بيانه

(فقل في حاجة لم أقض منها — على شغفي بها — شروى فقير  
(ونفس لا تحب إلى خسيس ، وعين لا تدار على نظير )  
(وكف لا تنازع — من أتاني — ينزعني — سوى شرفي وخيري)  
(وقلة ناصر — !! جوزيت عني — بشر منك — يا شر الدهور !)  
(عدوي كل شيء فيك حتى خلعت لكم موغرة الصدور)  
(فلو أني حسدت على نفيس لجدت به لذي الجد العثور)  
(ولكني حسدت على حياتي ، وما خير الحياة بلا سرور؟)  
(فيا ابن كروّس ، يا نصف أعمى ، وإن تفخر ، فيا نصف البصير)  
(تعادينا لأننا غير لكن ، وتبغضنا لأننا غير عور)  
فلو كنت امرئاً يهجي هجونا ولكن ... ضاق فتر عن مسير

ولما تدبرت الايات، فستجدن أن نفسه الكريمة الايية الانوفة المستكفة قد أريد بها الشر والاذى فاهتزت ، وتدافعت هزاتها في أعصابه كلها ، فأثبتها على لسانه المبين في هذه الالفاظ المتقصة بأصواتها ومعانيها وألوانها البيانية في التدفع والالتفات والاتقال، ثم في البغض للدنيا وازدراءها ، ثم في السخرية والتهمك والاحتقار لهذا الاعور الذي حاجه عن عشه في جوار ابن عمار وأراد الله خيراً بشاعرية هذا اللسان القوال العربي المبين ، إذ رماه ابن كروّس بعد هدأة واستجمام . فلما طوى البادية على ما وصفنا يقصد قصد انطاكية ، فدخلها في سنة ٣٣٤ وكان بها أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله بن محمد الحصيني ، وكان ينوب عن ابيه في مجلس القضاء بأنطاكية وكان داهية من دهاة عصره فيما نرى ، فقصده أبو الطيب يمدحه ، وجعل أول القصيدة يدل على ما وصفنا لك من تسعّر الدنيا في عينيه وبين جنبيه ، وكانت معاني مدحه من هذا الباب أيضاً . وقد تضمنت الايات التي سننقلها لك آراءه في الحيل الذي كان يتقلب بين رجاله ، وازدراءه للرجال الذين قصدهم فلم ياف عندهم خيراً يعينه على حاجته التي قال فيها فيما مضى من الايات



( فقل في حاجة لم أقض منها . . . ) ، ثم وصف رحلته بين اهل البادية ، وما كان يحذره في ارضهم خوف الطلـب أن يهتدي اليه فيدركه فيفتك به ، ثم يشور ويتمزج في أعنة نفسه فينذر ويوعد . . . . . وبذلك تعرف ان نفسه كانت على غايتها متوترة مستوفزة ثائرة . ثم يأتيه كتاب جدته فيقصد العراق ، فيمنعه اعداؤه من العلويين الذين ارادوا به السوء من دخول الكوفة التي بها جدته ، فيجلب ذلك عليه الهم والالـم ، فتموت جدته فيهبج ويتلذع ويئن ويبكي ، ثم تدركه رجولته فتزد عليه قوة مضاعفة فيدع وينفرد بقصيدة من اجزل الشعر وأرضه ، ومن اكثر شعره خاصة دلالة على ما في نفسه ، وما اصابه في حياته من مولده الى يومه هذا سنة ٣٣٥

يقول أبو الطيب

أفضل الناس أغراض لذا الزمن ( يخلو من الهم أخلاهم من الفطن )

( وانما نحن في جيل سواسية شير على الحر من سُقم على بدن )

( حولي بكل مكان منهم ) خـلق ) تحطي اذا جئت في استقهاها ، بمن ؟

وهذا بيت يهجو بالفاظه قبل ان يهجو بمعانيه ، ويدل على ما في نفس الرجل من الآلام ، وما لقي من اهل عصره من الكيد والمكر ، وما كانوا عليه من الحسة واللؤم ، والشر الثاني من البيت التالي صفة صادقة لعصره كما تجدها في التاريخ ، وقد اشرنا الى صفة هذا العصر فيما مر بك

( لا أقترى بلداً الا على غرر ولا أمرُ بخلق غير مضطغن )

( ولا أعشر من أملاكهم ملكاً الا أحق بضرب الرأس من وثن )

اني لاعذرهم مما أعنفهم حتى أعف نفسي فيهم ، وأني

( فقر الجاهل بلا عقل ، الى أدب فقر الحمار بلا رأس ، الى رسن )

( ومذممين بسبوت صحبهم عارين من حلل ، كاسين من درن )

خرباب بادية ، غرث بطونهم ، ممكن الضباب لهم زاد بلا ثمن

( وما يطيش لهم سهم من الظن ) كما يري أننا مثلان في الوهن

وخلة في جليس ألتقيه بها

وهذا البيت مما يدل على دهاء ابي الطيب وسعة حياته ، ودقته في الحذر اذا أحيط به ، وخاف ان يظفر به عدوه

وكلمة في طريق خفت أعربها فيهتدي لي ، فلم أقدر على اللحن

(١) قد استشهدنا بأبيات كثيرة من قصيدته في رثاء جدته فيما مضى في نسبه وغيره ، وذلك لما ترى من انها كانت تحمل نفس أبي الطيب كلها صريحاً ورغوياً



( قد هَوَّن الصبرُ عندي كل نازلة      وليّن العزمُ حدَّ المَرَكبِ الحشنِ )  
 ( كم مَخْاصٍ وَعَلَى في خَوْضٍ مَهْلِكَةٍ      وقَتْلَةٍ قَرَنْتِ بالذمِّ في الحينِ )  
 ( لا يُعْجِبُنَّ مَضِيًّا حَسَنَ بَزْتِهِ      وهل تَرُوقُ دَفِينًا جُودَةَ الكَفَنِ )  
 ( لله جَالٌ أَرْجِيهَا ، وَتَخْفَنِي      وَأَقْضِي كَوْنَهَا دَهْرِي وَمِطْلَانِي )

ولا يفوتك هنا ان ابا الطيب في هذه الفترة قد اشار الى مطلب له بهذا البيت في هذه القصيدة ومن قبل ما أشار اليه في القصيدة التي قبلها بقوله « فقل في حاجةٍ لم أقض منها . . . » ونحن نَقِفُك عند هذا البيت لتجعله منك على ذكر حتى يأتي تأويله فيما يستقبل

( مدحتُ قومًا ، وإن عشنا نُظِمْتُ لَهُمْ      قصائدُ مَنْ إِنْثِ الحِيلِ والحِصْنِ )  
 تحت العِجَاجِ - قوافيها مضمرة -      إذا تَنَوَّشَدُنْ لم يَدْخُلْنَ في أَذُنِ  
 ( فلا أَحَارِبُ مَدْفُوعًا إِلَى جِدْرِ ،      ولا أَصَالِحُ مَغْرُورًا عَلَى دَخَنِ )  
 ( خَيْمَ الْجَمْعِ بِالْبِيدَاءِ يَصْهَرُ      حَرُّ الهَوَاجِرِ فِي صَمٍّ مِنَ الْفَتَنِ )

ويُنَّ من نفس أبي الطيب في الشعر أنه قد تطلق واستن في عدوه إلى غايته ماضياً لا يلوي على شيء ، وأن لسانه قد اندلق بمعاني قلبه ، فهو مبين في شعره وإشارته ، غير حافل بما سوف يلقاه من الكيد فيما بعد ولولا أن الرجل كان بركاني الطبع — يحمد ثم يفور ، ويقر ثم يتقلع — لما كان من اثر كيد ابن كرويس له ، ما ترى في كلامه من التدفق والتدافع الذي تراه فيما رويناه لك من الشعر . ويحسن بك وأنت تقرأ هذا أن تسبغ مارسمنا لك في التيقُّظ لا إشارة الرجل ، وأن يكون منك على ذكر أن الرجل كان حين يفور ويقول ، تراءى لعينه ويدوي في مسمعيه كل ما سمعه أو مر به ، فهو يوجز لك ما في نفسه ضميراً في آياته وكلماته

وقد استمر أبو الطيب على حالته التي نصف ، حتى اتصل بأبي العشائر فكل شعره في هذه الفترة آراء ونظرات كلها مستبطن من ينابيع نفسه ، وذلك لما قلنا به من أن الأصل في نبوغ المتني هو ( استيعابه ما يحسُّ به من العواطف ، ودراسة قلبه ومعرفة ما يحز فيه من الآلام ، والمعاني التي تولد من هذه الآلام ، ثم اهتدائه إلى أن الشعر لا يكون شعراً إلا حين يروى من معاني القلب ويستقي منها ) . . . وبينما الرجل كذلك ، إذ جاءه كتاب جدته تسأله المسير إليها وتشكو شوقها إليه ، وطول غيبته عنها ، فلما قصد الكوفة التي هي بها وشارفها حيل بينه وبين دخولها ، ورؤية جدته المسكينة — على ما مضى في تأويل هذه الواقعة — فلما ماتت رحمها الله ثارت نفسه ، وقذف بكل مكنونها من الآلام التي لقيها ، والحوادث التي فعلت فيه فعلاها ، وكاد يصرح بما لقي من كيد العلويين له في مسألة نسبه على ما فسرناه ، وما قصد به من الحسد والوشاية . ويكفي ان نشير هنا إلى بيت واحد من قصيدته في رثاء جدته لتعلم أن باغ الالم من



قلب أبي الطيب حتى مزقه ، والبيت لا يحتاج إلى شرح أو تفصيل ، وفي تدبره أو تأمل لفظه غنى ، إذ كان حسرةً محبوسةً في ألفاظ ، وكمدًا مكفوفًا وراء كلمات . يقول  
( عرفت اليلالي قبل ما صنعت بنا ، فلما دهنتي لم تزدني بها علما )  
منافعها : ما ضرر في نفع غيرها ، تعدي وتروى : ان تجوع وان تظا  
واجتمع على أبي الطيب ما في قلبه من الألم ، وما فجأه من موت جدته فترت نفسه بقوتها  
حيناً ، واستسلمت بحكمتها وفلسفتها أحياناً — وهو فيهما حكيم بليغ — فهو بعد ان ثار ما ثار  
بمثل قوله في رثاء جدته

كذا أنا يادنيا اذا شئت فاذهبي      ويا نفس زيدي في كرائها قدما  
فلا عبرت بي ساعة لا تعزني      ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما  
وانطلق من بغداد — حيث كان حين مات جدته — قاصداً أنطاكية بالشام ، يقول في  
القاضي أبي الفضل أحمد بن عبد الله بن الحسن الانطاكي  
انعم وأبد — فللا موراً وآخر —      أبداً ، إذا كانت لهن أوائل —  
مادمت من أرب الحسان ، فاما      روق الشباب عليك ظل زائل —  
للهو آونة تمر كأنها      قبل يزودها حبيب راحل —  
جمع الزمان ، فلا لذية خالص      مما يشوب ، ولا سرور كامل

ومثل هذا الرأي قليل عند أبي الطيب ، بل هو ليس من عادته ، ولا بما يواتيه طبعه على معاطاته والعمل به . وأما أنه كان قد اشتد في فورته الى الغاية حتى باغ أقصى ماتحمله نفسه من الغنى والمشقة ، ثم أصابته فترة تعقب ذلك لا بد منها ، فاستخرجت حكمته هذا المعنى وهو يحمل من اليأس والتعب والنصب ما ترى في مثل قوله « روق الشباب عليك ظل زائل » وقوله : « جمع الزمان . . . » فهذا كلام اليأس المستسلم ، اذا قاله من كان مثل أبي الطيب في تدفيعه وتقمحه وفورته ، وهو أشبه بالاستعجام من التعب والشقوة والنصب . هذا على ان الحالة التي كانت متلبسة به ، لم تفارقه كل المفارقة بل كان فيه اعتاب منها ، فلما قصد المعاني التي يقصدها على طبعه وغريزته ، والتي تكون بالفاظها كالقنبلة في حديدتها ، خرجت منه ألطف تعبيراً وأقل تفجراً منها في غيرها .. فيقول لهذا القاضي

لا يحسر الفصحاء تنشد ههنا      بيتاً ، ولكني الهزبر الباسل  
ما نال أهل الجاهلية كلهم      شعري ولا سمعت بسحري بأل  
( واذا أتتك مذمتي من ناقص      فهي الشهادة لي باني كامل )  
من لي بفهم أهيل عصر يدعي      — أن يحسب الهندي — فهم باقل



وكذلك ، ولكنه أقوى قليلاً ، ما أتى به بعد في قصيدته لآخي هذا القاضي ( أبي سهل سعيد بن عبد الله بن الحسن الانطاكي ) إذ يقول في صفة نفسه

- إذا قدمتُ على الاهوال شيعني قلبٌ ، إذا شئتُ ان اسلاكم خاننا  
( أبدو فيسجد من بالسوء يذكرني فلا أعاتبه صفحاً وإهواناً )  
( وهكذا كنت في أهلي وفي وطني ان النفيس غريبٌ حيثما كانا )  
( محسّد الفضل مكذوب على أئري ألقي الكميّ ، ويلقاني اذا حاننا )  
لا أشرّبُ الى ما لم يفت طمعاً ولا أبيت على ما فات حسراناً  
ولا أصرّبُ بما غيري الحميد به ولو حملت اليّ الدهر ملائناً

وفي هذه الايات يلتفت — على عادته — الى الايام التي مضت له بالكوفة ، وما لقي هناك في خبر موت جدته ، فيذكرها فيثبّتها في شعره . والالتفات في شعر المتني من معنى الى معنى ، هو الذي تستطيع ان تستخرج به اسرار الرجل كلها ، اذ كان على ما وصفنا لك يستوعب ما يدور بقلبه من الحواطر والاحساس والالام ويستخرج منها معاني شعره . فالتفاتة هنا بعد رجوعه من الكوفة — دليل على ما كان قد لقي هناك من الكيد ، وهذه الصفات التي وصف بها نفسه هي ايضاً من اثر ما لقي هناك

ولم يلبث صاحبنا ان ثابت اليه قوته ، فنفضت عن نفسه أسباب اليأس والحشوع ، وألجأته الى طريقته الشعرية التي تميز بها وانفرد ، وهي طريقة طبيعته الثائرة المستوفزة المتأهبة للقتال والنضال . ولكنه حين بدأ يعود الى المذهب الذي جرى عليه — كما رأيت فيما مضى — كان لا يزال مثاباً كالمستيقظ من سبات عميق قد فتره . . . فذلك قوله بعد ذلك وهو بأنطاكية ايضاً حين مدح ابا ايوب احمد بن عمران

ومطالب فيها الهلاك آتيتها ثبت الجنان كأنني لم آتها  
ومقانب بمقانب غادرها أقوات وحش كنّ من أقواتها  
أقباتها غر الحيات ، كأنما أيدي بني عمران في جبهاتها

فذكره الماضي وما كان فيه من المغامرة والتفحم والقتال والكفاح ، أشبه بقصة من يقص عليك حلماً كان رآه في نومه . فهو لا ينظر الى المستقبل كعادته ، ولا يندر ولا يوعده ، ولا يصف ما سيكون منه بعد ، كما رأيت في شعره الذي سبق هذه الفترة التي اصابته . ويؤيد هذا ان حكمته كانت تجري هذا المجرى من كلام الاحلام — وكذلك كان مدحه — فهو يقول في حكمته في هذه القصيدة

في الناس أمثلة تدور ، حياتها كماتها ومماتها كحياتها



فالمُتَنَبِّي لو كان في غير حالته تلك لآخذ هذا المعنى ورماه اليك متفجراً مدوياً ، ولوجدت كل كلمة منه ملأى بما نفسه من الازدراء للناس ، والاستهانة بهم ، ولا بدع في السخرية والتهكم على عادته حين يتناول أمثال هذه المعاني ، كقوله فيما مرَّ بك

حولي بكل مكانٍ منهم ( خالق ) تخطي إذا جئت في استفهامها ، بمن ؟

وكانت أيامه تلك هي آخره الفتور الذي حدَّ من طاحه وجماحه ، ثم انبرى كأشد ما كان ، وقد اجتمعت نفسه وتضامَّ شتاتها ، وعادت اليه افكاره كلها فهو ينقل منها في شعره نقلاً يميناً ، ولا يضر الا ما كان لا بدَّ له من اضماره وهو منطلق في الحديث عن نفسه وما يحول في صدره ، فلما قدم على علي بن احمد بن عامر الانطاكي يمدحه قذف في وجهه بهذه الايات

أطاعن خيلاً من فوارسها الدهر وحيداً ، وما قولي كذا ومعني الصبر ؟

فهذه صورة مما كانت عليه نفسه قبل ما ذكرناه ثم انتقله بعد الى طبيعته القوية كما سترى . فهو حين ذكرانه يقاتل الدهر ، ذكر انه يقاتله وحيداً لا ناصر له ولا عضد فلما جرى ذلك في ضميره ، أثبت عليه كبريؤه أن يضعف في القتال لتوحيده وانفراده وقلة ناصره ، فاستدرك على هذا المعنى الذي خطر له فلام نفسه ان يخطر لها هذا الخاطر — وهو نذير الضعف والاستسلام والخضوع — فقال : « وما قولي هذا القول المستضعف الذليل ، ومعني أقوى ناصر ، وأشدَّ عضد وهو هذا الصبر الذي أقاتل به ، وهو عندي بمثابة الانصار والاشياع » ثم تفجّر بعد ذلك

وأشجع مني كل يومٍ سلامتي وما ثبتت الا وفي نفسها أمر

تمرست بالآفات حتى تركتها تقول : أمات الموت ، أم ذعر الذعر ؟

وأقدمت إقدام الآتي ، كأن لي سوى مهجتي ، أو كان لي عندها وتر

ذر النفس تأخذ وسمها قبل يديها ، ففترق جاران دارها العمر

وهذا كله تعليق على الشطر الاول من البيت الاول ، وجدال قائم بين الفترة التي كانت قد أصابته وما علق به من آثارها ، وما أنبطت في نفسه من المعاني والآراء — وبين الطبيعة التي تقوم عليها شخصيته وتتميز بها نفسه ، وهي طبيعة القوة والتقوُّم ، وما تفجّر هذه الطبيعة في نفسه من معاني الافدام ، وما تولد له من الآراء والاحكام . فلذلك كانت الايات التي تليها هي انتصار طبيعته القوية المشبوبة الفتية ، وكانت الآراء التي تضمنتها هي الآراء التي كثرت ورودها في شعره ، اجتمعت فيها آراؤه في المجد الذي يصبو اليه ، وما يجب ان يأخذ نفسه به لادراكه ، واحكامه على أهل عصره ، واستسقاطه لهم ، وخاصة ملوكهم وأمرأهم الذين قاربهم فلم يجد فيهم خيراً بل وجدهم خذلاناً لمن استنصرهم ، وخبياً وخداعاً لمن استنصحتهم ، فقال في ذلك في أعقاب الايات التي رويها



ولا تحسبنَّ المجد زقاً وقينةً      فما المجد إلا السيفُ والفتكُ البكرُ  
( وتضرب أعناق الملوك، وأن ترى  
( وتركك في الدنيا دويماً، كأنما  
إذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناقص  
على هبة، فالفضل فيمن له الشكر  
( ومن ينفق الساعات في جمع ماله  
مخافة فقر، فالذي فعل — الفقر )  
( عليّ لاهل الجور كلُّ طمرة  
عليها غلامٌ ملءٌ حَيَزُومَه غمرُ )  
يدير بأطراف الرماح عليهم      كؤوس المنايا حيث لا تشتهي الحمرة  
وكم من جبال جبت تشهد أنني      السجبال، وبحرٍ شاهدٍ أنني البحرُ

( وجنبني قرب السلاطين مقتها      وما يقضيني من جاجها النسر )  
( واني رأيت الضرَّ أحسنَ منظرًا      وأهون من مرأى صغير به كبر )<sup>(١)</sup>

واخذ المتني بعد ذلك يشتدُّ في نفسه ويقوى على اثر ما اصابه من الفتور، واخذ يستعرض حياته كلها ويستخرج ما فيها، وآراءه ويختار منها، ويصوغها في شعره، وكل ذلك مما بينه على ما مر به من احداث الزمن، فانه حين رحل عن انطاكية قادماً دمشق نزل في طريقه على علي بن محمد بن سيار بن مكرم التميمي فكان مما ورد في شعره له قوله

وما سكاني سوى قتل الاعادي      فهل من زورة تشفي القلوباً !!  
تظلُّ الطير منها في حديثٍ      ردُّ به الصراصر والنعيَا  
ثم يستذكر ما لقي من الحساد كابن كروّس وغيره ممن آذوه وهو بطبرية وانطاكية وغيرها فيقول حين ذكر الليل

أقلب فيه أجفاني كأنني      أعُدُّ به على الدهر الذنوباً  
( وما ليل بأطول من نهارٍ      يظلُّ باحظٍ حسّاديَ شوباً )  
( وما موت بأبغض من حياةٍ      أرى لهمُ معي فيها نصيباً )  
( عرفت نوائب الحداث حتى      لو انتسبت لكنت لها نقيّاً )

ثم يزيد على ذلك إذ يذكر آرايه في الحياة وما كان منه في مسعاه للمجد وطلمه، وما كان خرج في إدراكه من الثأر والمطالبة ( بحقه ) المهضوم في انتسابه للعُلوية كما مرَّ بك، ثم ما مرَّ به

(١) نظان ان القاريء ليس في حاجة بعد الى الوقوف به عند كل مفصل للقول، ففي ما قدمناه من النهج كفاية له، وحسبه ان يطعن عند كل بيت اطمئنان المستغرق في التدبر، فتفجر في نفسه المعاني، وبذلك يرى حقيقة الرجل ممثلة مجسمة في الفاظه واياته. وان تعرف المتني الا ان تفعل ما نريك من الرأي



من الاحداث، ومن لقي من الناس الذين استدعوا احتقاره لهم وازدراءه إياهم، وهو مع ذلك مضطراً لمعاونة عشرتهم ومصادقتهم، ثم يذكر موت جدته بالكوفة، وأثر ذلك في نفسه وهي التي يجها حب الوفاء والإخلاص والبنوة وذلك إذ يقول

أقلُّ فعالي به أكثره مجد      وذا الجيد فيه نلت أو لم أنل - جدُّ  
( سأطلب حقِّي بالقتل ومشايخ - كأنهم من طول ما التئموا مرْد )

( أذمُّ إلى هذا الزمان أهيله ، فأعلمهم فدم ، وأحزمهم وغد )  
( وأكرمهم كلب ، وأبصرهم عم ، وأسهدهم فهد ، وأشجعهم قرد )  
ومن نكد الدنيا على الحر ، أن يرى      عدواً له ، ما من صداقته بدُّ  
بقلي ، وإن لم أرو منها ، ملالةً      وبني عن غوانها ، وإن وصلت ، صدُّ  
فهذه كما ترى كلمات كلها منزع مما كان في حياته لذلك العهد ، وما أصابه من الرزايا ، وما أدركه من الإخفاق في المطالب ، وما أورثه ذلك من الحسرة والمرارة وألم الحرمان . ولما كان ذلك كله مما أصابه إنما أصابه — على ما ذهبنا إليه أولاً — في طريقه وهو يسعى لادراك ثاره عند العلويين الذين ظلموه وظلموا جدته وأنزلوها بشر منزلة ، وكانت جدته قد ماتت قبيل ذلك الوقت بقايل ، وكان أثر موتها لا يزال يحز في نفسه ، التفت قلبه إلى تلك الجيبة التي فارقت ، وانتقل من هذه المعاني التي تراها في الايات السابقة الى ذكر جدته فقال  
خليلاي دون الناس حزن وعبرة      على فقد من أحببت ما لها فقد  
تليج دموعي بالحنون كأنما      جفوني — لعيني كل باكية — خدُّ  
ثم تابث صاحبنا بعد هذين البيتين وهو يكتبهما ، وتأمل أحزانه وآلامه ، ورأى أن البكاء والنحيب مما لا يحمل به ، وكيف يبكي ويعسول وهو من هو في الصبر والجلد وتحمل النكبات غير جازع ولا متململ ، وقد لقي بصره — في سبيل جدته وفي سبيل نفسه — كل نائبة ، وطوى الارض موكللاً بذرعها غير حافل ، وقاسى من الحسد ما قاسى ، وأصابه من عداوة الناس له ما أصابه ، فاغتابوه وآذوه . فاستدرك صاحبنا على بكائه على جدته بقوله بعد يصف نفسه وما كان منه وما كان من اعدائه

وإني لتغنيني من الماء نغبة      وأصبر عنه مثلاً تصبر الرشد  
وأضي كما يضي السنان لطيتي      وأطوى كما تطوى المجاجة العقد  
وأكبر نفسي عن جزاء بنية      وكل اغتيال جهد من لا له جهد  
وأرحم أقواماً من العي والغبي      وأعذر في بنفي لانهم ضدُّ



وعلى ما وصفنا لك من حالته ، وما يلج في صدره ويعتاج في نفسه ، انحدر الى دمشق ولم يقيم بها الا قليلاً ، وقصد طبرية وذلك في سنة ٣٣٦هـ ، ولعل ابن كروس كان قد غادرها إذ ذاك والظاهر ان ابا الطيب انما دخاها في جوار بعض اصحابه ، ومن كانوا يكرمونه من اهل الفضل والنبل ، واطمأن قليلاً بها ثم هاجت العلوية عليه مرة أخرى ، وأثبتوا عليه عداوتهم ، وأرادوا ان يكيدوا له كيداً ليخلصوا منه ومن افعاله ، ونحسب ان ابا الطيب كانت له في البلاد التي دخاها شيعة تشاركه الرأي وتنعصب لمذهبه في السياسة ، وتزيد في تعصبها لشعره وأدبه ، فكان ذلك سبباً في إثارة الفتن في كثير من البلاد التي دخلها . . .

وأنت ، فلا تظن ان مثل ابي الطيب كان اذا دخل بلداً دخله صامتاً مخيط الشفتين ، لا يفتحهما الا حين ينشد قصيدته في ( المديح ) في مجلس من يمدحه ، ثم ينصرف الى داره منزوياً في ركن من اركانه ، حتى يأذن له شيطان شعره بقصيدة اخرى وهكذا وهلم جرأ . كلا ، فإننا لا نشك في ان أبا الطيب - ذلك الظريف المجاس ، الحاضر البديهة ، الحلو النادرة ، الاديب النفس ، صاحب الرأي في السياسة ، وطالب الحكمة أتى كانت ، والتاثر على حكام عصره ، والمزدرى لاهل زمانه ، والذي تتين في شعره مواضع التجربة الطويلة ، والخبرة النافذة ، والتمرس بالاخلاق عاليها وسفسافها ، والذي كان شعره قطعة من احساسه وطبيعته ، وما يمسيها مما يدور حولها او يدانيهما من احساس الناس وطبائعهم ، والذي كان شعره يتم على تلك الطبيعة البركانية المتفجرة ، والتي لا تهدأ الا ريثما ترتد اليها قوتها القاصفة العاصفة الناسفة ، والذي لم تكن هذه الظاهرة في شعره دعوى او باطلاً او ظاهراً لا باطن له — اذ لو كان ذلك كذلك لوقع فيها التخالف على تطاول السنين ، ولنقصت وضعفت بضعت الاسباب الجالبة لها — والذي كان ذا لسان وبيان ، وكان جدلاً طلق اللسان أبي النفس ، لايهاب ان يصارح وان يكشف عن ضميره على شدة ما لقي من الكيد والمكر والترص والرصد ، ثم كان ( الرجل ) الشاعر الفرد من أهل عصره الذي كشف عن سيئات العصر ، وصوّر رذائله كلها في كثير من شعره ، والذي كان قريباً من الامراء ، أثيراً عند كثير ممن لقيهم — نقول : إنا لا نشك — ولا تشكّن انت — في ان ابا الطيب ، قد أثار كثيراً من الجدل في الادب والسياسة ، وتمرس بالناس وتمرسوا به وأخذ وأعطى ، وناقش وجادل ، وذهب مذهباً في تناول الآراء والافعال والاحداث التي وقعت في الدولة العربية ، ويبن رأيه فيها في مجالس أصحابه ، وتناقلت الالسنه ما كان يقول ، ووجد حسّاده من تكشفه وصراحته مطعناً ومقتلاً يطعنونه فيه ، وظفر الوشاة بغذاء قلوبهم ، وزاد ألسنتهم مما كان الرجل يكشف به من الرأي ، وما يديه من النظرات والافكار ، فسعوا به الى اعدائه ، والذين كانوا يضرون له السوء من



اصحاب السلطان ، او من كانوا يعادون أبا الطيب لاسباب خفيت عن السعاة والوشاة ، وان لم يخف عنهم ان هؤلاء كانوا ممن لا يميلون الى بقاءه بينهم ، أو يترصدون ان يظفروا به قبل ان يفوتهم بحذره ودهائه

فيبين ان ابا الطيب دخل طبرية — على حالته تلك التي نصف — مراغماً للعلويين ، ثم لم كانوا يكيدون له قبل على عهد بدر بن عمار ، والذي كان يتولّى كبر ما يأتون به الاعور ابن كروس كما مرّ بك . وكان في هذه الايام التي بقيها بطبرية حذراً متوجساً يترقب ، وكان بالرملة إذ ذاك ( سنة ٣٣٦ ) الامير ابو محمد ( الحسن بن عبيد الله بن طنج ) فلما أتاه الخبر بأن ابا الطيب نازل بطبرية طمع في مديح أبي الطيب ، وودّ لو نزل عليه ، واقام عنده مكرماً ، فلم يزل يرأسه ان يتحمل اليه وينزل عنده ، فاضمر ابو الطيب الرحلة اليه ، وكان الخبر قد بلغ العلويين أن (أبا محمد بن طنج ) راسله وعزم عليه في الرحلة اليه ، فألفوها نهضة معترضة أن يفتكوا به ، وتوهموا الطريق التي سيركها ابو الطيب — ولا بدّ — في رحلته ، فأصدروا له جماعة من عبيدهم السودان بقرية بالقرب من طبرية يقال لها ( كفر عاقب ) ، وامرهم ان لا يفتاوا الرجل الا جثة دامية . والظاهر ان أبا الطيب كان قد جرى في خاطره انهم فاعلو مثل ذلك ، فخالف الطريق التي درج السابلة على ركوبها ما بين طبرية والرملة ، فلما فات الرصد ، باغى ما كانوا قد عزموا عليه ، وما كانوا قد أرصدوا له ، فربت نفسه ، وزفر زفرته من هذا الكيد الملاحقه بكل طريق ، واثارت في صدره الزوبعة التي كانت تتور فيه كلما ابتلى ببلاء من العداوة ، او أصيب بمصيبة من الكيد والمكر السيئ . فلما دخل الرملة ليمدح الامير أبو محمد ابن طنج كان يفور ويغلي ويتقلقل ويتفجّر ، فلم يأخذ نفسه بأداب المديح والزيارة المبتدأة ، ورعى في وجه ممدوحه بقنابله قبل أن يلج الى مديحه فقال

فألي وللدنيا ، طلابي نجوئها ، ومسعاي منها في شديق الأراقم —  
من الحلم أن تستعمل الجهل دونه ، إذا اتسعت في الحلم طرق المظالم —  
وأن ترد الماء الذي شطره دم ، فتسقى ، إذا لم يسق من لم يزاحم —  
ومن عرف الأيام — معرفتي بها ، وبالناس — روى رحمة غير راحم —  
فليس بمرحوم إذا ظفروا به ، ولا في الردى الجاري عليهم بأثم —  
ثم التفت الى نفسه ( يمدحها ) فقال

( إذا صلت لم أترك مصالاً لفاتك وإن قلت لم أترك مقالاً لعالم )  
وقد قدمنا لك في أثناء القول ان أبا الطيب كان إذا نزل به نازل مما يكره من النعم والهّم  
اشد به ذلك وأخذ عليه نفسه ، فينصرف فكره كله الى التدبر فيما مضى عليه من الرزايا ، وما



أجلب عليه من العداة وعداواتهم . ولا يزال يحدّق بعصره في هذه الحالة ، مستوعباً كل إحساس في نفسه وكل ما مرّ به وأصاب منه ، حتى تتجسّر في قلبه ونفسه ينابيع اليان فينزع الحكمة من قلبه ولها أصولٌ تاريخية ضاربةٌ فيه . فإذا تدبّرت الايات السالفة وجدت فيها تاريخ قلبه وتاريخ مصائبه كلها على ما سقناه في حديثنا . ثم ان أبا الطيب لما كرهه أمر العلويين الذين أرسدوا له بكفر عاقبٍ ، ارتد الى الحالة التي وصفنا ، فلم يزل يدور ذلك في فكره بين قلبه ولسانه فلم يقدر أن يمتنع عن ذكره في شعره الذي قاله لابي محمد خاصة ، ثم في شعره الذي قاله بعد لظاهر العلوي كما سترى . فيما قال لابي محمد يذكر هذا السكيد الذي كيد به في طبرية

كريمٌ لفظتُ الناس لما بلغته كأنهم ما جف من زاد قادم  
وكاد سروري لا يفي بنداوتي على تركه في عمري المتقادم  
( وفارقت شر الارض أهلاً وتربةً بها علويٌ جدّه غير هاشم )

والظاهر أنه كانت ، بين الامير ابن طنج وهذا العلوي الذي كاد هو وشيعته لابي الطيب في مخرجه من طبرية ، عداوة قائمة . وأن هذا السكيد كان لسبيين : الاول ، ما كان بين العلويين وبين أبي الطيب كما قدمنا ، والآخر ، هذه العداوة بين رأس العلويين بطبرية وهذا الامير الذي خرج أبو الطيب من طبرية قاصداً له مادحاً إياه ، فلذلك قال أبو الطيب فيما يلي ما انشدناك بلا الله حساد الامير بحلمه ، وأجاسه منهم مكان العامم  
فإن لهم في سرعة الموت راحة ، وإن لهم في العيش حزن الغلاصم

هذا وقد بقي أبو الطيب في جوار الامير ابي محمد بالرملة مكرماً ، يصحبه الامير في رحلاته ويحضره مجالسه ، ويرافقه في زياراته ، ويفضل عليه كل الافضال ، حتى أرضى ذلك القاب الذي كان بنض الاعاجم فيه طبيعة ثانية قائمة لا تقتر . وكان من اصحاب هذا الامير رجل من شيوخ العلويين بالرملة ، وأبناء شيوخهم ، وكانت له ولاهله اياك كثيرة عند بني طنج ، فلم يفت الامير ابا محمد ما في مدح ابي الطيب له ، وهو لم يمدح رجلاً جليلاً كصاحبه هذا ( ابي القاسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوي ) ، فرغب الى ابي الطيب ان يمدحه وكان من ابي الطيب ما كان في امتناعه على ما مر بك ، فلما اجاب الامير الى مدحه مرغماً ، حاملاً على نفسه — إذ كان قلبه لا يرضى ابداً عن هؤلاء العلويين الذين آذوه ، والذين لقي من كيدهم بالامس القريب ما لقي ، من إرصادهم لقتله — قال قصيدته يمدحه ولكنه قدم قبل مدحه هذه الايات وفيها ما فيها من لمز قوم من العلويين ، لعاسهم ان تكون بينهم وبين طاهر قرابة دانية ؟

نخوفني دون الذي أمرت به ولم تدر ان العار شر العواقب  
( ولا بد من يوم أغرّ محجّل يطول استماعي بعده للنوادر )



يهون على مثلي اذا رام حاجة وقوع العوالي دونها والقواضب  
كثير حياة المرء — مثل قائلها يزول — وباقي عيشه مثل ذاهب  
إليك ، فاني لست ممن اذا اتى عِراض الافاعي نام فوق العقارب  
(أتاني وعيد الادعاء وأنهم أعدوا لي السودان في كفر عاقبـ)  
ولو صدقوا في جسدّهم لحذرتهم فهل في وحدي قولهم غير كاذبـ

ثم التفت الى نفسه ( يمدحها ) كما مر بك في قصيدة الامير ابن طغج فقال فيما يلي ذلك  
إلي — لعمري — قصد كل عجيبة كأنني عجيب في عيون العجائب  
بأي بلاد لم أجرّ ذؤابتي ؟ ! وأي مكان لم تطأه ركائبي ؟ !

وقد مضى ذكر هذه القصيدة وأيات أخرى منها اكتفينا بما مضى منها عن الاعداد . على  
أن هناك أشياء أخرى ، كان أولى بنا التوسع في تفصيلها ولكننا أجأناها الى موضعها من كتابنا  
وبالله التوفيق

ثم عزم ابو الطيب الرحلة من الرملة الى جوارابي العشائر الحسن بن علي بن الحسن بن  
الحسين بن حمدان العدوي ، فخرج من الرملة في سنة ٣٣٦ يريد أنطاكية ، ولم يحدث له  
حادث الا ما كان من امر اسحق بن كيغغ في طلبه منه ان يمدحه فهبجاء بقصيدته  
المشهورة التي اولها

لهوى النفوس سريرة لا تعلم عرضاً نظرت وختل أني أسلم  
فلما بلغت ابن كيغغ اراد قتل أبي الطيب وكان إذ ذاك بطرابلس — فخرج منها فأتبعه ابن  
كيغغ خيلاً ورجلاً فأعجزهم صاحبنا بالهرب الى بعلبك ثم الى دمشق ثم خرج من هناك الى  
انطاكية فلقى أبا العشائر وكان مما قال لهذا الاعور ابن كيغغ

أرسلت تسألني المديح سفاهة صفراء أضيق منك ، ماذا أزعم ؟  
وأرغت ما ( لابي العشائر ) خالصاً ان الثناء لمن يزار فينعم  
ولمن أقمت على الهوان يباهه تدنو فيوجأ أخدعاك وتهم  
ثم طفق يمدح أبا العشائر الى ان قال

والوجه أزهى ، والفؤاد مشيع ، والرمح أسمر ، والحسام مصمم  
( أفعال من تلد الكرام كريمة وفعال من تلد الاعاجم أعجم )

فكان أبا الطيب كان قد ملّ الاعاجم واستقصهم ، وفيهم الامير ابو محمد بن طغج الذي كان  
قد نزل عنده بالرملة ومدحه ، ونال من فواضله



أَصْبِرْ عَنْكَ ، لم تبخل بشيء ؟  
 ولم تقبلْ عليّ كلامَ واشٍ ؟  
 وما وُجِدَ اشتياقٌ كاشِيتاقي  
 ولا عُرِفَ انكماشٌ كانكماشِي  
 فسرتُ اليك في طلب المعالي ،  
 وسار سواي في طلب المعاشِ .

أردنا في الباب السالف ان ندلك على نفس أبي الطيب ، وما تميزت به عن شعراء العربية جميعاً ، وما انطوت عليه من القوة والرجولة ، وما كان يزلزلها من الثورة التي لا تزال تهزُّه من قرارة قلبه ، فتنتلق زلازلها من قلبه إلى لسانه ، فيثبت لسانه في شعره عدد هزّات الزلزلة وقوتها ، فلذلك نقالنا اليك طائفةً من شعره على التوالي في ترتيبها الزمني حتى هذا العهد الذي بدأ حين اتصل بأبي العشائر ، فدخل مدخلاً غير الاول ، وذهب في الشعر مذهباً عجيباً وتحولات معاني نفسه من غرضٍ بعينه الى غرض آخر غير مفارقٍ للاول ، بل منه استمددٌ ، وعليه بني خرج أبو الطيب من الرملة بقلبه وبفكره وبأرائه قاصداً أنطاكية التي كانت في يد بني حمدان العرب التغلبيين ، وكان على أمرها — من قبل سيف الدولة — أبو العشائر الحمداني الشاعر المبدع ، والمحارب الباسل ، والعربي الخالص الحب للعرب والعربية ، الشديد العداوة للروم والترك والدليم الذين توالى غاراتهم على الدولة العربية بالجيوش تارة ، وبالأساس والمكاييد والتمزيق تارة أخرى . وكان المتنبي قد عرف بني حمدان من قبل ، وعرف منهم خاصة سيف الدولة <sup>(١)</sup> الذي كان الآن سنة ٣٣٦ صاحب الشام ، والمستولي على أمرها ، والمنزعهما من يد بني طنج الاخشيديين الاتراك

دخل أبو الطيب أنطاكية ليلقي العرب والعربية في مجلس بني حمدان ، وقد رمى دبّر أذنه وتحت قدمه ، الاعاجم وما مدحهم به . وأراد ان ينقل شعره من تكلف المديح الى التطلق والاسترسال في مدح من هم من رأيه ، ومن يجد فيهم مرضاة نفسه وآماله ، ولئن كان قبل قد مدح القوم العلوج ليستخرج منهم بعض أموالهم التي غابوا الأمة العربية عليها ، وليكون على

(١) قد مضى ذلك في سنة ٣٢١ ، وقد تكلمنا هناك بما فيه الكفاية ان شاء الله — انظر من ص ٥٣ الى ٥٥



مقربة من مكرهم ودسهم ، وعلى علم بما يضررون لأئمة من الشرّ الغالب على قلوبهم وعقولهم ، فهو الآن قد وجد قوته وأهله وعشيرته ، فليأتهم بكل غريبة من القول ، وليجحد ذكرهم في شعره ، وليهدأ قليلاً مما كان فيه من الثورة ، ليستطيع أن يحزم رأيه وتديره مع هؤلاء القوم — على أن يعيدوا مجد العربية ، (ويدخلوا من دولة الخدم) الذين غابوا على سياسة الأمة ، ورموا بها في موارد الهلاك والفشل ، فهذا سرُّ قوله لابي العشائر في قصيدة مدحه بها ، والتي نقلنا أبيتاً منها في رأس هذا الباب

فسرّت إليك في (طلب المعالي) وسار سواي في (طلب المعاش)

فهو إنما قدم على بني حمدان لما ذكرنا لك لا للتكسب بالشعر ، وأكل الخبز من قوافيه ومعانيه رأيت قبل أن المتنبى كان إذا مدح بدأ بنفسه فذكرها ومجّدها وعظمها ، ثم يبيد آراءه في الدنيا ، ويكشف عن الثورة القائمة في ضميره وقلبه ، ثم ينذر ويوعد ويهدّد . فلما بدأ اتصاله ببني حمدان ، ترك هذا المنهج ، وادّخر قوته كلها لامرٍ غير هذا الامر ، وأسبغ على بني حمدان ما كان يسبغ من قبل على نفسه من ثياب المجد ، فهو يصفهم كما كان يصف نفسه ، ويعلو بهم الى غاية السمو في القوة والسلطان والسباحة والمروءة وعظم المطالب . ولم يك يذكر نفسه الا حين يخرج به الوشاة والساعون بالشرّ بينه وبينهم

فلما اتصل ابو الطيب بأبي العشائر ، ونال منه مكانه ، وأدرك عنده طلباته ، بدأت وشاة الوشاة بانطاكية تفعل أفاعيلها مرة أخرى ، ومدت الفتن أعناقها من قبل شيعة العلويين والفاطمين والاختشيديين والعباسيين — على ما نذهب اليه — ، وشعر ابو الطيب بما هنالك فدلّ أبا العشائر عليه باطيف القول غير مصرّح فقال

فيا بحر البحور ولا أوري      ويا ملك الملوك ، ولا أحشي  
كأنك ناظرٌ في كل قلب      فما يخفى عليك محلّ غاش ؟  
أصبرُ عنك لم تبخل بشيء ؟      ولم تقبل عليّ كلامَ واش ؟

فما خاشيك للتكذيب راج      ولا راحيك للتخيب خاش  
أرى الناس الظلام ، وأنت نور      وإني منهم لأليك عاش  
(بأيت بهم بلاء الورد يلتقى      أنوفاً ، هنّ أولى بالحشاش)

والظاهر ان ابا العشائر كان قد أصمّ اذنيه عن سعاية السعاة والوشاة والحساد ، وما كانوا يريدون من تقاييب قلبه عليه كما فعلوا بقباب بدر بن عمار ، فلما لم يأذن لهم ابو العشائر أوّل أوّل ، زادوا في التشهير بالرجل ، واجتلاب الاكاذيب في ذمه ونقيصته ، والتعريض به وبأدبه ،



ويذكرون ما كان في شعره من الثورة والانداز والوعيد وذم الناس ، ونخره على من مدحه ،  
وسوء أدبه في مديحه إذ يقدم مدح نفسه ، ثم يزيد فيمدحها بما لم يمدح بمدوحه بمثله او ما يقاربه ،  
ووقع اليهم ما كان ينز به لدى بدر بن عمار من تسميته بالمتنبى <sup>(١)</sup> ، فزادوا عليه ووضعوا من  
عند أنفسهم القصص في تطويل الحكاية ، وتعظيم امرها . وبدأ العلويون أيضاً يعرضون بمسألة نسبه  
ليخرجوه ان يصرح بنسبته العلوية ، فلا يجدون عند ذلك حرجاً من ان يأخذوه كما اخذوه  
اول مرة ، ثم يلقوا به في غيابة السجن بضع سنين . فلما باغوا هذا المبالغ وضاق بهم ابو الطيب  
لم يجد بداً من العودة الى طريقته الاولى حين يخرج ، فكان مما قال في ذلك كله قبل ان يالج  
الى مديح ابي العشائر

( أنا ابن من بعضه يفوق أبا الباحث ، والنجل بعض من نجله )

( وإنما يذكر الجود لهم من نفروه ، وأنقدوا حيله )

نفرأ لعصب أروح مشتمله وسمهري أروح معتقله

وليفخر الفخر اذ غدوت به مرتدياً خيره ومنتعله

أنا الذي بين الآله به ال أقدار ، والمرء حيثما جعله

جوهرة ، تفرح الشراف بها ، وغصة ، لا تسيغها السفله

( إن الكذاب الذي أكاد به أهون عندي من الذي ثقله )

فلا مبال ، ولا مداج ، ولا وا ن ، ولا عاجز ، ولا تكلاه

ودارع سفته نخر لقي في الملتقى والعجاج والعجلة

وسامع رعته بقافية يحار فيها المنقح القول

( وربما أشهد الطعام معي من لا يساوى الخبز الذي أكده )

( ويظهر الجهل بي وأعرفه ، والدر در برغم من جهله )

ومن صدق الرجل في محبته لابي العشائر خاصة وبني حمدان كافة ، فعل ما لم يفعله من

قبل ، فاستدرك على ما ذكر به نفسه من التعظيم والتبجيل فقال

مستحيياً من أبي العشائر أن أسحب في غير أرضه حله

(١) قد مضى رأينا في هذه التسمية ، وانها كانت لما كثر في شعره من الانذار والوعيد



وقد اشار ابو الطيب في هذه القصيدة الى انهم زادوا على ما ذكرنا من الكيد انهم كانوا قد  
أكثرُوا القول لدى أبي العشائر، وزعموا انه انما كان يمدحه للتكسب والنيل من فواضل ماله،  
وتكذبوا عليه بكل نقيصة تفسد عليه قلب أبي العشائر... فقال

ما لي لا أمدح الحسين، ولا أبذل مثل الودّ الذي بذله؟  
أخفّت العين عنده أثراً! أم بلغ الكيدُ بأن ما أمّله؟

ولكن أبا العشائر كان قد عرف فيما نظنُّ سرَّ الكيد الذي يكاد به أبو الطيب، ولعلَّ سيف  
الدولة أيضاً كان قد بلغه مقدّم أبي الطيب على أبي العشائر فكتب اليه ان يحرص على الرجل،  
ولا يسمع فيه لمتنقص ولا ذام ولا متكذب، لما يعلم من سرَّ الرجل الذي انطوى عليه في  
أمر نسبته العلوية كما قدّمنا. فلذلك لم يجد الوشاة اذناً صاغية ولا سمعية، فانصرفوا برغمهم  
ونال أبو الطيب الكرامة والعزة في جوار أبي العشائر، وهذا واستقر قراره، واطمأن قلبه،  
منتظراً مقدّم سيف الدولة الى انطاكية في مسيره في نواحي البلاد التي استولى عليها بالشام. وفي  
هذه الفترة من الطمانينة والسكينة والكرامة لدى أبي العشائر استعجم الرجل لقوته، وادّخر  
لسيف الدولة ذخائر قلبه وكرائم فؤاده





وعندي لك الشُّرْدُ السَّائِرَا  
ت ، لا يُخَصِّن من الارض دَارَا  
قواف — إذا سرن عن مِقْوَلِي —  
وثن الحيال ، وخضن البحارَا  
ولي فيك ما لم يقل قائلٌ ،  
وما لم يسر قمر حيث سارَا  
سما بك همَّي فوق الهموم ،  
فأستُ أعدُّ يسارَا يسارَا  
ومن كنت بحرَّآله ، يَا عليُّ ،  
لم يقبل الدرُّ الآ كَبَارَا

في سنة ٣٣٧ كان سيف الدولة ( أبو الحسن علي بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان العدوي التغلبي ) قد استولى على أكثر الشام ، ووقف للرُّومِ ردُّ غاراتهم على أطراف بلاده ، ويوقع بهم إيقاعاً شديداً ، وغلبت مقدرته الحربية كلَّ من كان في عصره من القوَّاد ورؤوس الفتن التي عملت في انتكاس الدولة العربية وهلاكها ، وكان يؤمل له أن يتسع ملكه اتساعاً عظيماً لولا ما كان من الاحداث العظيمة ، ثم ما كان في الدولة من دسائس الاعاجم التي فرقت القلوب ، فلم تدع أمة من الناس الا دخلت بينهم فزقتهم شرَّ ممزق ، وجعلت بعضهم على بعض حرباً وفساداً . وأيضاً ما كان من دعوة العلويين لقلب الخلافة التي بالعراق من عباسية سنية الى علوية شيعية ، وأيضاً ما كان من الدعوة السرية الجارفة التي كان يقوم بها دعاة الفاطميين . وكانت هذه اشدَّ البلايا التي ابتلي بها العالم العربي كله ، إذ أدخلت فيه ما ليس من طبيعته ، وقذفت به في ظلماء نهارها من ليائها ، وكان دعايتها قد تفرقوا في كل مكان من سلطان الدولة العباسية ، ليوقعوا بين الامراء ، وليحوزوا الى دعوتهم فئة غالبية تعينهم على ما يريدون وما يؤملون من إقامة الخلافة الفاطمية ممتدة من المغرب الاقصى الى ما وراء خراسان

وكان بنو حمدان من شيعة العلويين ، ومن المتحقيقين بخدمة الدعوة العلوية الا أنهم كانوا عرباً يدعون الى العلوية للعربية ، لما وجدوا من غلبة الاعاجم على الدولة العباسية ، ولكنهم حين



رأوا ما دخل بين العلويين من فساد الاعاجم ومن الدعوة الفاطمية الجارفة ، وكانوا لا يقرُّون هذه الدعوة ولا يسمعون لاصحابها بالنسبة الفاطمية المكرمة — رجعوا فأنحازوا الى الدولة العباسية ينصرونها وينصرون الخليفة (النائب) على كرسي الخلافة . هذا ، مع اكرامهم للعلويين وتعظيمهم لهم . وقد أبدى بنو حمدان من الدهاء ، وسعة الحيلة ، وحسن السياسة والتدبير في التوفيق بين عقائدهم العلوية وسياستهم العباسية ، ما لا قبل لاحد من أهل ذلك العصر في الإتيان بمثله أو القيام على أقل منه . وقد أثبت بنو حمدان بسياستهم تلك أنهم كانوا يريدون إنقاذ العرب والاسلام من الفتن الباغية التي فعلت أفاعيلها لهدمهم في تضديد السلطان العربي ، وانتقال الشوكة والعزة الى الحكم العجمي الشعوي الفاسد الطوية ، الباغي بكيده الإيقاع بالعرب ودينهم ولسانهم وكان سيف الدولة خاصة من بين بني حمدان اكثرهم دهاءً واوسعهم حيلة ، وأشدُّهم حباً للعرب ودينهم ، واكثرهم سعيًا في رد الحكومة والسلطان الى العرب ، واعظمهم همه في مساعي المجد لنفسه ولقومه ، واكرمهم خلقاً أسراً ، وكان من بينهم محباً للادب ، قائماً على خدمته وكان بطبيعته شاعراً حلو اللسان خفيف الروح يباي الفكر . وكان مبغضاً للاعاجم ولسانهم الذي ارادوا ان يغلبوا به على فارس وغيرها كما فعل بنو بويه

والظاهر ان سيف الدولة كان قد عزم في نفسه ان ينال بهيمته غاية الغايات في ضم اشات البلاد العربية تحت سيطرته وفي ظل حكمه ، وكان اول ما انفذ من ذلك ان زاحم بمناكبه الاخشيديين في الشام حتى ازاحهم عن اكثرها وردهم الى الرملة ، واستأثر دونهم باكثر البلاد الشامية ، حتى هلع منه الاخشيدي ، فترلف اليه بان زوجه ابنة اخيه ، ولم يجد ذلك كثيراً ولا قليلاً في اطفاء نار العداوة المستعرة بين الدم العربي والدم الاعجمي الغريب . واستمر سيف الدولة في طلب التوسع والغلبة ، ولولا ما لقي من حروب الروم ، وما اجلبوا عليه بخيلهم ورجلهم لكان تم له ما اراد ، فان حروب الروم ، قد استهلكت كل قوته ، فلم يجد متسعاً لنيته في توطيد حكمه في الشام ، حتى اذا استجمع أدواته واستوفز بقوته ، مال على العراق فرد امر الحكم الى نصابه في يد واحدة لا تضطرب ولا ترتجف . وذلك لما كان يرى من تقسم الامر في بلاد الخلافة وضياع السلطان بين الموالي ، وما جر ذلك من المذابح المتوالية في كل مدينة من المدن العظيمة ، ومن الفتن المتتابعة في كل ناحية من النواحي . ونحن نظن ان السبب في كثرة غزوات الروم — في عهد سيف الدولة — لبلاد الشام واطرافها ، ان الذين كانوا يفتنون الناس بيفداد من الاعاجم والروم والترك والديلم لينالوا ما يريدون — علموا بأمر سيف الدولة وما اعتزم من الميل عليهم ميلاً رامية ، فأوعزوا الى ملك الروم ان يقاتله ، وواقعوا في قلبه ان سيف الدولة انما يريد ان يزيل الملك من بين يديه ويغلبه على بلاده ، فقم لهم بذلك ما ارادوا من صرف سيف



الدولة عن غزوهم وتمزيقهم ، واحتلال ارضهم ، واتزاع السلطان من ايديهم . وكان سيف الدولة على علم بما يبيتون له من المكر ، فكان ينازل الروم ويواقهم ، ويعد انتصاره وهزيمة الروم انتصاراً لدعوته العربية وهزيمة للاعاجم اصحاب هذا المكر ومن وقع في حبالهم من العرب الذين لهم سلطان في سلطان هؤلاء . ولذلك كان وقع انتصاره في العراق وما وراء دجلة كوقع الصاعقة على رؤوس رؤوس الفتنة ، والذين تولوا كبر هذا المكر السيئ والكيده الخفي . وأجّدت هذه الوقائع — التي انتصر فيها سيف الدولة على جيوش الروم — عداوة أصحاب السلطان من الاعاجم لدولة بني حمدان فطفقوا يعملون على تفريق شمل من اجتمع الى سيف الدولة وآزره ونصره ممن كان بالموصل والشام وغيرها ، وبذلوا في مسعاتهم أموالاً وذخائر . ولولا ما كان عليه سيف الدولة من الكرم والسخاء وبسط اليد للعافين والمريدين طبيعة مركبة في اصل خلقه ، لا عيونه ، ولا خرجوا من ساطعانه أكثر من دان له ورضى به وبحكمه ولا عنهم على ذلك ما يرون من المظالم التي ارتكبتها سيف الدولة مدة حكمه وساطعانه

هذا . . . . . وقد كان أبو الطيب — حين دخل أنطاكية قادماً أبا العشائر في سنة ٣٣٦ عالياً بأمر سيف الدولة ، مدركاً للمكايد السياسية التي أحاطت بالرجل ، خبيراً بحقيقة ما اضطلع سيف الدولة بأعبائه من إيقاظ الهمم العربية ، مستيقناً من أن غرض سيف الدولة فيما فعل إنما هو ضرب الضربة القاضية على الفتن التي أوهت قوة الدولة العربية وفتت في عضدها ، وأن الرجل كان قد اتخذ لامره أحكم سياسة وأبرعها وأحسنها وأدقها وأبلغها في الوصول الى الغرض المطلوب . وكان أبو الطيب نفسه ، يرمي بكل نفسه الى هذا الغرض الذي يسدد اليه سيف الدولة ، فكان اتفاهما في الغرض سبباً لاتصالهما وتوافقهما وتفاهمهما ، وما كان بينهما من المودة والحب والكرامة . وأخرى أن أبا الطيب — كما وصفناه لك أولاً — كان يرمي ببصره الى (الرجل) ، الرجل الذي يجتمع في رجولته صفات الخير كلها ، وصفات الكمال بأسرها ، كما كان يراها قلبه ويحلم بها فؤاده وأوهامه . والرجل في أحلام أبي الطيب هو صورة مثله له ضميره ، من أحقاده وآلامه وثورته . فهو الرجل الضرب الشجاع المستبسل الذي لا يهاب ولا يفتقر ، بل يتفحّم ولا يزداد على البلاء الا مضاعفة وعزيمة ، وهو الرجل النافذ ببصره وبصيرته الى اعقاب الامور لا يغيب ولا يففل ولا ينام ، وهو الرجل المحارب الذي لا ينام ، ولا يصبر على ضمير ولا يقرّ على ظلم ، وهو الرجل الفتى العربي الذي داخل سياسة عصره فعرف أسرارها ، واتخذ لنفسه مدخلاً ومخرجاً فيها ، وأعمل فكره في إنقاذ أمته ، وجاهد في سبيل ذلك بقامه وفكره ولسانه ويده . وكانت هذه الصورة في دم أبي الطيب تدور فيه دوران الدم ، فاذا وجد (الرجل) حنّ اليه كاشد ما تجدد من حنين الدم الى الدم ، وأخلص له ، وبذل له ذات نفسه وضمير قلبه ، فتراه لا يمجّد نفسه في شعره الذي يمدح به (الرجل) ،



بل يبذل كل كريمة من الصفات لهذا المسدوح مضرِباً عن ذكر ثورته، تاركاً وعيده وإنذاره وتهديده إلا أن يخرج كما حدثناك قبل. وقد رأيت فيما مضى أن هذا قد وقع من أبي الطيب حين لقي بدر بن عمار الاسدي، وهو الفتى العربي (الرجل). وهذه الظاهرة الغريبة في شعر أبي الطيب تدل على أنه ما كان ينبغي بقوله اكتساب المال وادخاره للعيش ومرافق الحياة، بل كان يريد أن يحقق آماله التي يسعى إليها في رد السلطان لقومه العرب الامجاد. ولهذا نجد الرجل لم يقر سنوات في جوار أحد إلا في جوار هذين العربيين (بدر بن عمار، وسيف الدولة)، وذلك لما كان يرى منهما من الجهاد في سبيل الغرض الذي انطوت عليه جوارحه. وكان سريع الفراق لمن مدح غيرها، إما لانه لم يجد عندهم عزماً إذا كانوا من العرب، وإما لانه انما مدح بشعره للإجازة والمال الذي هو ملاك كل عمل إذا كانوا من غير العرب. فهذا موضع قوله في شعره لابي العشائر الحمداني

فسرت اليك في (طلب المعالي) وسار سواي في (طلب المعاش)

قالوا .... « كان أبو العشائر والي انطاكية من قبل سيف الدولة، فلما قدم سيف الدولة الى انطاكية، قدم المتني اليه، وأثنى عنده عليه، وعرفه منزلته من الشعر والادب، وذلك في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، فاشتراط المتني على سيف الدولة — اول اتصاله به — أنه — إذا انشدته مديحه — لا ينشده إلا وهو قاعد، وأنه لا يكلف تقبيل الارض بين يديه، فنسب الى الجنون. ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط، وتطاع الى ما يرد منه، فلما انشدته قصيدته الاولى التي اولها « وفاؤكم كالربع اشجاء طاسمه »، حسن موقعه عنده فقربه، وأجازة الجوائز السنية، ومالت نفسه اليه وأحبه، فسلمه الى الرواض فعملوه الفروسية والطراد والمثاقفة » ونحن لا نسلم بكل ما ورد في هذا النص ولا نثق به إذ كان مروياً عن غير ثقة مأمون معروف، وأما هو مما يتداوله الادباء على علاته دون نقداً وتجريح، ويحسن بنا أن نحدثك عن نقده قليلاً، فإن في النقد بركة وخيراً ليست لشيء من الكلام

فأول ذلك، أن هذا اللقاء في سنة ٣٣٧ بين سيف الدولة وأبي الطيب لم يكن اول لقاء، ولم يكن اول تعارف بينهما، فقد حدثناك قبل أنه لقي سيف الدولة وأحبه، وأحبه سيف الدولة في سنة ٣٢١ حين مدحه المتني بعد مخرجه من الكوفة متوجهاً الى الشام، وكان لقاؤهما برأس عين من ارض الموصل الذي كان يدين لبني حمدان بالطاعة إذ ذاك. ولا شك أن سيف الدولة، وكان إذ ذاك صغيراً لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره، قد فرح بمدح أبي الطيب له، وأبقى ذلك أثره في نفسه يجعله يتتبع شعر هذا الفتى العربي ومصيره. فهو كما ترى كان على معرفة به وبأدبه وشعره ومنزلته من الشعر والادب، هذا فضلاً عما استنبطاه هناك من العلاقة بين بني حمدان وأبي الطيب



وجدته ، وانهم كانوا يفضلون عليها ويكرمونها ، وانهم كانوا على علم بما اصابها من نكبتها في ابنتها وحفيدها

وأخرى ، . . ان النص يقول إن أبا العشائر قدّم المتني الى سيف الدولة « وعرفه منزلته من الشعر والادب » وهذا عجيب من امر سيف الدولة الاديب الشاعر السياسي المطلع على كل ما كان في البلاد العربية ، المتابع لكل حدث في السياسة والادب ، عجيب أن لا يكون قد وصل اليه طرف من شعر أبي الطيب يعرف منه منزلته في الشعر والادب ، فيأتي أبو العشائر فيعرفه تلك المنزلة ! !

\* وثالثة : أن النص يقول ان سيف الدولة قد دخل تحت شروط المتني حين اشترط عليه انه لا ينشده الا وهو قاعد ، وأنه لا يكلف تقبيل الارض بين يديه . ونحن لا ندري لماذا يدخل سيف الدولة تحت هذه الشروط ، ولا نعرف لماذا اشترط أبو الطيب هذه الشروط .... إذا كان قد جاءه على غير معرفة متصلة بينهما ، وكان قد جاءه مستميحاً طالباً رفده وماله وفواضله . وهلاًّ أجل ذلك الى اجله ، فيمدحه وينشده حتى اذا حسن موقعه عنده ، اشترط عليه ما يريد ، فيتقي بذلك سوء الرد ، وينال بالاذن له بما يشترط رفعة تكبت حساده ، وتغيط عدائه ، ويكون فعله هذا ادل على حسن سياسته ، وسعة حيلته ، ويكون اشبه بتدبير أبي الطيب كما مر بك في مواضع من كلامنا ! !

والرابعة : ان في النص كلمة يراد بها الغض من أبي الطيب وتحقيره ونسبته الى الجفاء والغاظة والخلافة ، إذ زعم واضعها ان سيف الدولة سلم أبا الطيب « الى الروّاض فعملوه الفروسية والطراد والمثاقفة » . فقد كان أبو الطيب قبل اتصاله بسيف الدولة فارساً محارباً ولا شك ، وكان قد اتصل بكثير من اصحاب السلطان واصحاب الفروسية والطراد والمثاقفة ، وقد مرّ بك انه كان قد دخل لبنان وشارك في الطراد والصيد ، وكذلك حين كان في جوار بدر ابن عمار وغيره ممن مدح ، ولا نظن ان أبا الطيب كان قد طوى هذه السنين كلها بالشام ، مع ما كان فيه من العجب بقوته وفروسيته وذكر ذلك في شعره ، ثم لم يأخذ نفسه بتعلم ذلك او المشاركة فيه — مع انها كانت من الانتشار والذيع بمكان لا يجهل

فهذه الرواية — كما ترى لا تصاح ان تكون سياقاً للقاء أبي الطيب بسيف الدولة . واعلم ان اكثر ما يروى في ترجمة هذا الرجل وغيره من الرجال ، انما كان من الاحاديث التي تناقها مجالس الادباء ، ولا يراد بها التحقيق ولا ينظر فيها الى صدق الرواية وسياق التاريخ وما الى ذلك ، بل ان كثيراً مما يروى في تراجم رجالنا كان مما يراد به مضع الكلام في مجالس الامراء او في سامر الادباء . — هذا على انها ربما حملت فيما تحمل اشياء لولا ورودها في هذه



النصوص لاقتعدنا من حلقات التاريخ حلقات لا ينتظم امره الا بها ولا يستمر الا عليها .  
فلمثل هذا كان لا بد لنا من النظر في النصوص وتمييزها ، ورد بعضها والاخذ ببعض ، حتى  
لا تتقطع بنا السبل في الترجمة هؤلاء الاعلام . فلا يفوتك هذا اذا قرأت ما نكتب ، او اردت  
انت ان تقرأ او تكتب

والسياق التاريخي عندنا للقاء أبي الطيب سيف الدولة هو ما ترى :

نزل ابو الطيب ضيفاً على أبي العشائر ، يمدحه ويخرجه ويروز ما عنده من الهمة ، وما في هذه  
الهمة من المطالب ، وما في مطالبه من الموافقة لما في ضميره من الآراء والاحكام . وكان يريد  
بذلك ان يكون على كسب ومقربة من بني حمدان ( الذين منهم أبو العشائر ) ، ليحقق في نفسه  
ما عرف عنهم من خبر ، وليرى رأيه في البقاء معهم أو مفارقتهم ضارباً في الارض على ما كان عليه من  
قبل حتى يأذن الله له ، ويأتيه بالمواتي الموافق الذي يستطيع ان يهب له قلبه ووجهه ، ورأيه وحكمته  
وتجربته وخبرته ، وآراءه في السياسة الدولية التي كان جاهداً في معرفة خفياتها ومضمراتها طول  
حياته . وكان يخص برادته هذه سيف الدولة وهو عاصم بني حمدان اذ ذاك ، والمستولي على  
الأمد من رجال عصره ، والذي عهد فيه ابو الطيب حين رآه في سنة ٣٢١ رجولة متحفزة للوثبة ،  
وسمع من اخباره ما يكاد يحقق نبوءته في ظفره وفلجحه على خصومه وخصوم أبي الطيب نفسه  
وبقي أبو الطيب سنة في ظل أبي العشائر ، وكان فتى من فتيان بني حمدان ، قد جمع أداة  
الفتوة ولم يستكأها ، وكان اديباً مقتدراً مولعاً بالادب ، مبعجلاً للادباء عاطفاً عليهم معيناً لهم ،  
وكان شاعراً تقع له الدرة الجميلة في شعره ، والنادرة البديعة ، غير متعمد ولا جاهد . وأحب ابو  
الطيب صاحبه أبا العشائر ، واحبه ابو العشائر واكرمه واصفى عليه من كرمه ولينه وحنانه ،  
وقد حفظ له ابو الطيب هذه اليد التي له عنده ، حتى انه لما غضب عليه بعد — لامر سياي ذكره  
فيما يستقبل من كلامنا — وارسل الى ابي الطيب بعض غلمانة ليقوعوا به وهو بظاهر حلب ورماء  
احدهم بسهم اخطاه ، وقال له وهو يرميه : خذه ، وانا غلام ابي العشائر — لم يحفظ ذلك أبا  
الطيب على ابي العشائر ، ولم يستدع هذا العزم على قتله هجاء أبا العشائر ، بل قال ...

ومنتسب عندي الى من احبّه	وللسبل حولي من يديه خفيف
( فهيج من شوقي — وما من مذلة )	حننت — ولكن الكريم ألوف )
وكل وداد لا يدوم على الاذى	— دوام ودادي للحسين — ضعيف
( فان يكن الفعل الذي ساء واحداً	فأفعاله اللائي سررن ألوف )
ونفسي له — نفسي الفداء لنفسه —	ولكن بعض المالكين عنيف
( فان كان ينبغي قتالها — يك قاتلاً	بكفيه — فالقتل الشريف شريف )



وهذه الحادثة وما كان من أبي الطيب فيها، وما قال من الايات السالفة دليل قاطع على ان الرجل كان إذا أحب وأخلص الحب لم يحوله شيء عن حبه، وأن هجاءه الذي كان منه لبعض من مدحهم، إنما كان منه لانه لم يكن يضر لهم حباً ألبتة، بل كثيراً ما كان يخفي بين جنبيه احتقارهم وازدراءهم، ولولا الضرورة لما مدحهم ولا قصدهم ولا وقف بأبوابهم. وهي أيضاً دليل على ما قطعنا به — في موضع من كلامنا — من أن أبا الطيب كان ودوداً ألوفاً، كريم الخلق، وفيما لمن وفي له وأحبه وبأذله الود. وقد صدق صاحبنا إذ وصف نفسه يوماً ما فقال خالفت ألوفاً، لورجعت إلى الصبا لفارقت شبي مؤجع القلب باكياً وهذا موضع من أخلاق أبي الطيب ونفسيته ينبغي الوقوف عنده وتدبره، إذ كان كثيراً ما يعترض به المعترضون حين يذكرون أخلاقه، حتى أنهم من اضطرابهم في فهم أخلاق الرجل ونفسيته رموه هو بالاضطراب والممل في الصداقة والود، وليس الامر على ما ظنوا، بل هو كما ترى في كلامنا هذا. ورحم الله أبا الطيب، فقد حمل من نكد الدنيا في حياته وبعد موته ما بقي من أرواء

هذا . . . . ، وقد لقي أبو الطيب وهو في جوار أبي العشائر — كما حدثناك في الباب السابق — كيداً كثيراً، وتقوّل عليه المتقولون ما شافوا، وآذوه وكثروا عليه الوشاية والسعاية، وغرّوا بذمه وثلبه، وكان ما زعمناه من تشهيرهم به إذ نبزوه باللقب الذي عرف به بعد وهو (المتنبي). ولم يكن كل ذلك مما يرد أبا الطيب عن غايته التي قصد من أجاها أبا العشائر فبقي صابراً حتى كانت سنة ٣٣٧

ففي جمادى الاولى من هذه السنة قدم سيف الدولة — من حربه مع الروم وظفروه بحصن برزويه — إلى أنطاكية التي كان بها أبو العشائر وأبو الطيب، فاستقبله أبو العشائر، وأبلغه ما كان من مقدم أبي الطيب عليه، وإكرامه له، ووصف له ما حسن عنده من خلق أبي الطيب، وما وجد فيه من القوة والمروءة، وما أعجب به من حسن عشرته، وجميل أدبه في المداومة والمساورة، وما عليه أبو الطيب من الطبيعة الثائرة الجيارة، وما انطوى عليه قلبه من محبة العرب وبغض الاعاجم، وما سمعه من آرائه في سياسة الأمة، وما ابتليت به من البلاء الاعجمي والفتن الآكلة رطب الحياة العربية ويا بسها، وذكر له شعره الذي مدحه به . . . . فذكر سيف الدولة ذلك الفتى العربي الصبوح الوجه الحسن السمّ صاحب الوفرة المسترسلة التي تسيل الى شحمتي أذنيه، ذكر ذلك الذي أنشده مديحه في سنة ٣٢١ وهو يتدفق بفصاحته وبيانه، ويتقاع بقوته وشدته وحماسته وحدة شبابه، ذكر سيف الدولة تلك الشخصية الطاغية بسحرها وجمالها



وجلاها ، والتي لا تدع للنسيان في الذاكرة يدأ ماحية أو مفسدة . . . وقد كان أبو الطيب كما وصفوه « رجلاً ملء العين . . . قوياً بديناً خليقاً شخيصاً ، عادي الخلق ، قوي الاساطين ، وثيق الاركان ، جيد الفصوص ، فيه جفاء وخشونة » . ذكره سيف الدولة واستيقظت في قلبه الحجة النائمة في غوره ، وتجمعت له اخباره التي كان قد سمعها عنه من سنة ٣٢١ إلى هذه السنة . فتقدم الى ابي العشائر ان يستدعيه لساعته ، شاكرآ له حسن وفادة الرجل واكرامه له وكذلك لاقى العربي النائر الشاعر الفذ ، العربي الفاتح الغازي المجاهد الفذ ، على شوق وحزن ، وحن الدم الى الدم ، وعلقت النفس بالنفس ، وتعانقت القلوب في ساعة من غفلات الدهر — اخرجت كلا الرجلين عن طوره . وكان هذا اللقاء الثاني فاتحة مجد ابي الطيب وخلود ذكر سيف الدولة في شعره وبيانه

وفي هذا اللقاء التاريخي الذي انتفضت فيه القلوب ، ورمت بأسرارها وأشواقها ، ثارت نفس الرجل البليغ ، واجتمعت لها كل حوادثها وما مر بها من الاهوال ، في مجلس امير العرب الفاتح المجاهد الظافر ، وتقاذفت المعاني من قلبه الى لسانه ، ووقفت مجبوسة في هذه الايات التي ضمها الشاعر الى قصيدته بعد في مدح اميره وأمير قومه<sup>(١)</sup>

سلكتُ صروف الدهر حتى لقيته      على ظهر عزم مؤيدات قوائمه  
مهالك لم تصحب بها الذئب نفسه      ولا حملت فيها الغراب قوادمه  
( فأبصرت بدرأ لا يرى البدر مثله      وخاطبت بجرأ لا يرى العبر عائمه )

ثم قال البيت الذي تنازعت كل عواطف قلبه ، ونوازع فؤاده ، وآراء فكره ، وفصح بيانه ( غضبتُ له لما رأيت صفاته      بلا واصفٍ ، والشعر تهذي طائمه )

وكان ذلك بدء المجد الخالد الذي بقي للعرب في صفة امير فذ من امرائهم ، رد به القدر عادية الروم عن بلد من بلادهم ، لا يزال معقلاً للعرب والعربية الى يوم الناس هذا . . . ألا وهو الشام الذي يضم فلذة اكباد الفاتحين من المهاجرين والانصار ، ومن سبقهم اليها في الجاهلية من الغرائق الصباح من بني غسان ، وكان ذلك ايضاً بدء المجد الخالد للسان العربي ، والفكر العربي الصريح في ديوان شاعر فذ من شعراء العربية ، لم يرزق الشعر ولا الحكمة مثله ذا لسان وبيان . . . ألا وهو أبو الطيب المتنبي واحد الشعراء الذي جاء ( هلاً الدنيا وشغل الناس )

ولا بد لنا من الوقوف قليلاً عند هذا الموضع من الكلام ، وندع صفة مآخض فيه من لقاء الاسدين العربيين الفاتحين . زعمنا لك فيما مضى أن تلك الايات الاربعة كانت مما ثار في قلب ابي الطيب في هذا المجلس الاول ، قبل أن يحتفل بيانه لقصيدته الاولى التي أنشدها سيف الدولة في

(١) انشد ابو الطيب هذه القصيدة في مجلس آخر غير هذا المجلس الذي وصفناه لك



تلك السنة وهذا موضع تدبر وبصر، لانهب أن ندعه قبل أن نسوق اليك من أخباره طرفاً حتى  
 نهج لنفسك نهجاً مقارباً يعينك على استخراج أسرار أبي الطيب، واستنباط ما كان يلج في نفسه من  
 العواطف... بلى، وهو عندنا قانون من قوانين شعر أبي الطيب ونفسه تستطيع به أن تعرف خفيات  
 ما في شعره من ضمائر ومهمات. هذا، وسنكشف لك عنه فيما يستقبل كشفاً مينا إن شاء الله (١)  
 كان أبو الطيب على ما وصفنا لك من قوة النفس، وحدة الطبيعة، مرهف الحس، سريع  
 التأثر، تتطابق عواطفه كلها في ساعة من ساعات حياته، فلا ثابت أن تستثير كل قوة فيه،  
 وتجتمع كل قواه حين ذلك ماضية من قلبه الى لسانه لتثبت عليه عدد هزات الزلزلة التي وقعت  
 في قلبه ونفسه، ويفزع لسانه الى يانه لينبئ عنه ما ينبغي من الإبانة، فيحتفل بيانه كله في  
 أبيات قليلة تكون هي أول القصيدة عند أبي الطيب، ثم يدخرها صاحبنا لأجلها وموضعها،  
 فيثبها في مكان من شعره. وكثيراً ما تقع هذه الايات في موضع لا تتساق في معاني الكلام  
 على قاعدة مطردة من حق المعنى وتتابعه، فلذلك تبقى هذه الايات التي تحمل في ألفاظها  
 هزات نفسية واقعة بين كلامين، ولا تكون هي صلة بينهما، بل تكون كالفارق الفاصل. وهذا  
 هو ما نسميه في شعر أبي الطيب موضع (الاتقال). ومن مواضع الاتقال هذه تستطيع أن  
 تستنبط الحالة النفسية التي كان عليها الرجل. فإذا تبصرت فيها، واستخرجت معانيها، وفصّلت  
 كلامها وألفاظها، وفسرته على الاصول الشعرية والنفسية القائمة في شعر أبي الطيب ونفسه كما  
 قدّمنا لك — استطعت أن تلمس في ظلام التاريخ الحلقات التي ينبغي لك أن تصل بعضها  
 ببعض، فيسري التيار بينها فتضيء لك، فتكشف المعاني في شعر الرجل، وتبين المواضع  
 الغامضة المظلمة من حياته... وهذه هي الطريقة التي اتبعناها فيما كتبنا مما مضى بك، وقد  
 تحققنا صدقها، وإسعادها في المشكلات التي وفقنا الى تفسيرها أو نقدها أو تمييزها  
 ويجمل بنا هنا أن نعود بك الى الايات التي ذكرناها، ونبين ذلك فيها... ونسألك  
 أن تعذرنا اذا قصرنا، وأن تسدّدنا اذا أخطأنا، وأن تصبر على ما نستطرد فيه من الكلام  
 بصبر لا يفت منه المال، فلا حكم للمول ولا مترع

يقول أبو الطيب قبل الايات التي رويها لك يصف سيف الدولة  
 له عسكرياً خيل وطيّر، اذا رمى بها عسكرياً لم يبق الا جماعه  
 أجابها — من كل طاع — يابها وموطئها — من كل باغ — ملائمها

(١) انظر لذلك الباب الثالث عشر من حديثنا عن المرأة التي صنعت لأبي الطيب حكمته، وأيدت بيانه  
 بيناها النسوي البليغ



سحابٌ من العقبان يزحفُ تحتها سحابٌ إذا استسقت سقتها صوارمه  
ثم (ينتقل) أبو الطيب من ذكر الحرب ، وصفته جيوش سيف الدولة ، وما كانت تأتي به  
من أهوال الحرب ، وما يكون منها في ساحات الوغى فيقول غير متخلص الى غرضه — على  
ما يريد علماء البلاغة!! من حسن التلخيص فيقول يصف نفسه وما لاقى هو من الأهوال والمهالك  
سلكت صروف الدهر حتى لقيته على ظهر عزم مؤيدات قوائمه

الايات الاربعة التي آخرها

غضبتُ له لما رأيتُ صفاته بلا واصفٍ ، والشعر تهذي طهاطمه  
ثم (ينتقل) بعد هذا البيت انتقالاً آخر فيقول يذكر نفسه ورحلته  
وكنت اذا يمت ارضاً بعيدةً سرّيت فكنت السرّ والليل كاتمةً  
ثم (ينتقل) ايضاً بعده فيذكر سيف الدولة . . . فيقول

لقد سل سيف الدولة المجدُ معلماً ، فلا المجد مخفيه ، ولا الضرب ثلمه

فلهذه الانتقالات المتتالية وقفنا عند الايات الاربعة التي قدمناها ، وتبصرنا فيها وفي معانيها ،  
وفي دلالات ألفاظها واحدة واحدة ، ورددنا البصر الى مقدم أبي الطيب الى انطاكية في جوار  
ابي العشائر سنة ٣٣٦ ، ثم مقدم سيف الدولة اليها في سنة ٣٣٧ ، ثم في اللقاء الذي روي خبره  
على علاته ، ونقضنا الايات ومعانيها وتلمسنا الحلقات في ظلام التاريخ والترجمة ، فوصفنا لك اللقاء  
الذي كان في تلك السنة بين ابي الطيب وسيف الدولة ، ونحن ننظر بعين لا تحسر الى ما قدمنا  
من التاريخ في صدر هذا الباب ، وما عرفنا من خلق ابي الطيب وآرائه واغراضه وآماله ، وما  
وقفنا عليه من خلق سيف الدولة وآرائه واغراضه وآماله ، ثم حكمنا كما رأيت انها كانت اول  
ما قال ابو الطيب من قصيدته تلك وآتمنا الرأي على ذلك ، واعتمدناه وسرنا على بركة الله .  
فانظر ماذا ترى (١)

ثم نعود الى ما كنا فيه . . . . . لقي ابو الطيب سيف الدولة ، وخرج من مجلس امير  
العرب ، وهو يقول كما قال اولاً في بعض من مدح بأنطاكية

مفدئٌ بأباء الرجال ، سميذعاً هو البكر الممد الذي ماله جزرٌ  
وما زلت حتى قادي الشوق نحوه يسارني في كل ركب له ذكرٌ  
واستكبر الاخبار قبل لقائه فلما التقينا ، صغر الخبر الحُسْبُرُ

(١) اعلم اننا اذا أردنا ان نقفك عند لفظ لفظ من الايات ، ونكتب لك الرأي كله مقيداً ، لطوينا  
بذلك ورقات من هذا الحديث ، ولكان ذلك قاطعاً لنا عن اتمام هذا العدد من المقتطف . فلا بد لك اذن من  
النظر ، ثم النظر ، ولعلك بالغ بقوتك ما لم نبغعه بضعفنا وفقنا الله واياك



واحتفت نفس الشاعر التأثر البائع لهذا اللقاء، ونسي نفسه وما كان يذكرها به من القوة والقوة، وما كان طول عمره يصفها به من صفات الرجولة والكمال، ووجد آماله في آمل سيف الدولة، وآراءه في آرائه، وعواطفه في عواطفه، فألقى في مديح (الرجل) كل نفسه وآرائه وأفكاره وعواطفه وألقى ذكر نفسه، ورمى بين يدي سيف الدولة البدره الاولى في تاج بني حمدان مشرقة متلاثلة تسطع وتتضوأ. وفي هذه القصيدة الاولى التي أولها « وفاقا كالباع اشجاء طاسمه » رجعت الى ابي الطيب قوة التصوير والتثيل فرسم صورة سيف الدولة كأحسن ما تأتي من بنان مصور صنع لبق مبدع، ووصف المجلس الذي كان فيه سيف الدولة كأنك تراه. وذلك انه دخل عليه وقد جلس في فازه<sup>(١)</sup> من الديباج عليها صورة ملك الروم، وصور رياض بدوحها وطيرها ووحشها وحيوانها. فكان مما قال في صفة تلك الفازه والاسد المقعي في ذراها

وأحسن من ماء الشيبية كله	حيا بارقي في (فازه) أنا شائمه
عليها رياض لم تحكها سحابة	وأغصان دوح لم تغنر حمائه
وفوق حواشي كل ثوب موجّه	من الدرّ، سمط لم يثقبه ناظمه
ترى حيوان البر مصطاحاً به	يحارب ضدّ ضدّه ويسالمة
إذا ضربته الريح ماج، كأنه	تجول مذاكيه، وتندأى ضراغمة <sup>(٢)</sup>
وفي صورة الرومي ذي التاج ذلة	لا بلج، لا تيجان إلا عمائمه
تقبل أفواه الملوك بساطه	ويكبر عنها كمه وبراجمه <sup>(٣)</sup>
قياماً لمن يشفي من الداء كيه	ومن بين أذني كل قرم مواسمه
قبائمه تحت المرافق هية	وأفند مما في الجفون عزائمه <sup>(٤)</sup>
له عسكريا خيل ورجل اذا رمى	بها عسكرياً لم يبق إلا جماجمه
أجلتها - من كل طاغ - ثيابه	وموطئها - من كل باغ - ملاغمة
(فقد ملّ ضوء الصبح مما تغيره	وملّ سواد الليل مما تراحه)
(وملّ القنا مما تدقّ صدوره	وملّ حديد الهند مما تلاطمه)

(١) الفازه: المظلة تقوم على عمود في وسطها. وهي اشبه بما يتخذها الناس في يومنا هذا على شواطئ البحار

(٢) يصف الخيل (وهي المذاكي) والاسود وهي تختل صيدها من الظباء النافرة

(٣) البراجم: مفصل الاصابع

(٤) القبائع: ما يكون على قوائم السيوف من الخيل، يعني السيوف المجلاة بالذهب والفضة



لقد سلَّ سيف الدولة المجد معلماً  
على عاتق الملك الاغر نجاهه  
تجاربه الاعداء ، وهي عبيده ،  
ويستكبرون الدهر والدهر دونه ،  
وإن الذي سمى عالياً لمنصفه  
وإن الذي سمى سماءاً سيفاً لظلمه  
وما كل سيف يقطع الهام حده  
وتقطع لزبات الزمان مكارمه

فاقرأ ثم اقرأ ثم تدبر ثم عُدْ إلى النهج الذي أشرنا اليه في الحديث عن بدر بن عمار ، ووصفه  
الأسد هناك ، وقارن بين ما ترى هنا وما ترى ثم تجد التقارب بيناً واضحاً ، والنفس ، الشعري  
البايع العظيم ممتداً من زمان بدر إلى هذا الزمان غير منقطع ، وتدبر هذه الايات الاخيرة وما  
وسمها به أبو الطيب من ميسمه الذي يتلذع بنار قابله ، والذي صار علامةً يئس في كل شعره الذي  
قاله في سيف الدولة بعد هذا . وفي الذي قد منا ذكره وما أشرنا اليه كفاية للبصير المتدبر

وبقي سيف الدولة بأنطاكية أشهراً من سنته تلك ، وأبو الطيب الى جواره وفي مجلسه ، وبين  
أصحابه وفي ركابه . واستصفاه سيف الدولة ومنحه بشره وقربه ، وامتدَّ الحديث بينهما في بعض  
الخلوات عن شؤون الدولة وما وقع فيها ، وما ادركها من الضعف والوهن ، وما كان لوقته من  
أسباب ذلك . ورأى سيف الدولة ان محدثه رجل داهيةً بصيرٌ محسكٌ قد نجذته الحوادث ،  
وله رأيٌ ومعرفةٌ وأسرارٌ قد استجدّها بعد اللقاء الاول في سنة ٣٢١ ، فضلاً عما كان يعرفه  
— فيما زعمنا — من نكبته الاولى في نسبه من قبل العلويين أصحاب الامير بالكوفة ، فزاده قريباً  
وكرامةً ومحبةً ، لم ينل مثلها شاعرٌ من أمير ، وكان ذلك عجباً في أنطاكية وغيرها ، لما عرف من  
صرامة سيف الدولة وتحرزه وتشدده حتى على الكثير من أهله . فانظر إذا أردت الى ما كان بين  
سيف الدولة وأبي فراس الحمداني ، فإن القرابة والرحم لم تنفع أبا فراس في القرب من سيف  
الدولة — مع أنه كان متحقيقاً بخدمته ، ذاهباً في طاعته ومريضته ، حامياً لحقيقته ، مفدياً له في  
حروبه وغزواته بنفسه ودمه ، ممجّداً له في شعره ، مخادعاً ذكر غزواته وحروبه — كل هذا لم  
يقرب أبا فراس من سيف الدولة قرب أبي الطيب منه ، مع تقدّمهما في الشعر والادب ، ومع  
ان أبا فراس كان اولي بالتقديم والتكريم من أبي الطيب لحسن بلائه في الحرب وقدم عشرته  
لسيف الدولة ، وسبقه في ممجّده ونخيلده ذكره وذكر حروبه . فلذلك نقول لك ان تقديم سيف  
الدولة أبا الطيب على سائر شعرائه المستظّلين بظله ، والمبتدئين في طاعته وخدمته ، لم يكن من  
اجل الشعر وحده وحسب بل للذي بلاه سيف الدولة من آراء أبي الطيب وافكاره وعواطفه  
في الامور السياسية التي كان يسعى في تحقيقها وإتمامها والقيام عليها بسيفه وخيله ورجله ، ورجاله



الحنكين من ذوي الدهاء والخبرة والمعرفة والعلم . وقد قدمنا ذكر مطالب سيف الدولة في اول هذا الباب <sup>(١)</sup>

ثم عزم سيف الدولة الرحيل عن انطاكية الى حلب مقرر حكمه ، ولكن ابا الطيب لم يستطع ان يصحبه في رحيله هذا ، فعزم عليه سيف الدولة ان يلحقه بحلب . وعندنا ان الذي عاق ابا الطيب عن صحبة سيف الدولة في هذا الرحيل امرٌ يخصه هو ، وليست له فيه ارادة . وقد قلنا في الراي في شعر المتنبى في تلك الفترة وما بعدها بقليل ، وتدبرنا كلام الرجل على الاصول التي قدمنا لك منها اطرافاً في كلامنا ، وظفرنا باشياء دللتنا على ان هذا الامر الذي عاقه كان مما يقطع في قلبه ويوجهه في عواطفه . وتبين لنا ان هذا الامر هو مرض زوجته والظاهر انها كانت حاملاً ثم جاءها الخاض فأعضلت وعسرت ولادتها ثم رمت ذا بطنها ومات ، وكان مرضها ذلك في حماها وما تركت له وراء ظهرها — ولعل الله مات بعد اشهر قبل ان يستمسك — هو الذي منع ابا الطيب ان يصحب سيف الدولة يوم رحيله من انطاكية

وتأويل ذلك ، ان ابا الطيب كان ولا شك عازماً على رفقة سيف الدولة ولولا ما فجئه مما لا حيلة له في رده لفعل . فانه حين أزمع سيف الدولة الرحيل عن انطاكية قال له أبو الطيب نحن من ضايق الزمان له فيك ، وخاتمه قربك الايام وقال ايضاً في يوم رحيله وقد كثرت المطر وكاد يعوقه عن عزيمته

رويدك أيها الملك الجليلُ تأنّ ، وُعدّه مما تتيلُ  
وجودك بالمقام ولو قليلاً فما فيما تجود به قليلُ  
لأكتب حاسداً وأرى عدواً كأنهما وداعك والرحيلُ

فهو في البيت الاول يذكر ما يتأمله به الدهر من العوائق ، وما يضايقه به من الارزاء التي تحول بينه وبين ما يروم من صحبة سيف الدولة والقرب منه ، وقد خص نفسه بذلك اذ يقول « نحن من ضايق الزمان له فيك » . ولا نظن أن قد كان إذ ذاك ما يمنع ابا الطيب من الرفقة إلا ما يخرج عن إرادته ، ويقع بينه وبين عزمه . فلما كاد المطر يعوق سيف الدولة ، بان الفرح في كلام أبي الطيب مقروناً بالحسرة لما يعلم من أن ذلك لن يقطع فيما أبرم من عزمه ، فسأله أن يبقى قليلاً بأنطاكية ، وتعال له بعلمته التي ذكرها . وكان أبو الطيب إذ ذاك متأثراً بالحالة التي عليها امرأته ، فوقع في بيت من قصيدته الاخيرة التي ذكرنا أولها ما يدل على ما في نفس الرجل من آثار ما كان فيه من الكرب على عادته التي أسافنا بيانها في مواضع فقال لسيف الدولة

(١) تلبث تجد بقية الحديث بعد قليل في هذا الباب ، فاجعله منك على ذكر



فلو جاز الخلودُ خَلَدَتْ فرداً (ولكن ليس للدنيا خليلُ)

فهذا الحزنُ الغالبُ على الشطرِ الأخيرِ ، والمتمثلُ في كلماته ، وفي عبارته عن المعنى الذي أرادَهُ حين استدركُ بقوله « ولكن » ، بعد ما كان من فرحه وطربه وتدفق نفسه بالآمالِ ، واستبشاره بقاءِ سيف الدولة ، والذي كشفت عنه قصيدته الأولى « وفاؤكم كالربيع أشجاء طاسمه » على ماضٍ في كلامنا — يدلُّ على أن الرجل كان قد أدركه ما أحزنه وغمَّ قلبه ، وردَّ عليه فرح نفسه غمًّا وحسرةً وتشاؤماً من الدنيا ، وما يكون فيها من بلايا الدهر بالفراق والموت . وهذا بين كما ترى

وأتقل أبو الطيب — بعد موت امرأته بقليل — من أنطاكية إلى حلب ، ثم ماتت والدته سيف الدولة فقال له في عزائه قصيدته المشهورة ، وأولُّها من دموع أبي الطيب التي كان يبكي بها ، وقد جاء فيها

نصيبك في حياتك من حبيبٍ نصيبك في منامك من خيالٍ  
رماني الدهرُ بالارزاءِ حتى فؤادي في غشاءٍ من نبالٍ  
فصرتُ إذا أصابني سهامُ تكسرت النصالُ على النصالِ  
وهان فما أبلي بالارزايا (لاني ما انتفعتُ بأن أبلي)

(يدفن بعضنا بعضاً وتمشي أواخرنا على هامِ الاوالي)

وهذا الحديث عن نفسه ومصائبها ورزاياها ، وما فيه من الحزنِ الغالبِ على عقله وعواطفه بعد الذي كان من أفراحه ، دليلٌ على ما قدمنا من أن الرجل كان قد أصيب وابتلي ببلاءِ آله وحزٍّ في قلبه ، لا يزال يدفعه إلى القولِ الباكي الحزين . ثم يستمرُّ على ذلك في شعره مدَّةً ، فإنَّه في هذه السنة نفسها (سنة ٣٣٧) قال وهو يمدح سيف الدولة ويذكر استنقاذه أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان من أسر الخارجي

تفكُّ العناة ، وتُغني العفاة ، وتففرُّ للمذنبِ الجاهلِ  
فهناك النصرَ معطيكم وأرضاء سعيكم في الآجلِ

يعني سيف الدولة — وكان حق الشعر ان يقف به أبو الطيب عند هذه الدعوة الصالحة بالظفر الذي كان ، والعمل الصالح فيما يستقبل . ولكن نفس الرجل كانت مضطربة متأثرة ، قد غلبها الحزن . وغتمها الدنيا (التي ليس لها خليل) بما جلبت عليها من ارزاء ومصائب ، فانتقل على عادته غير متخلص ولا حافل (بالمناسبة ومقتضى الحال) فقال في عقب البيتين

(فذي الدار أخون من موميس وأخدع من كفة الحابل)  
تقاني الرجالُ على حبها وما يحصلون على طائلِ



فأنت ترى ان هذه المعاني التي قيدناها لك ، آخذ بعضها برقاب بعض ، على طراز لا يمتثل  
 من الحزن والكرب . هذا ، وقد كان سيف الدولة سأل ابا الطيب بعد ذلك ان يسير معه الى  
 الموصل لما ازمع هو المسير الى نصره اخيه ناصر الدولة ، فاعتذر له ابو الطيب عن المسير معه بقوله  
 كن حيث شئت فما تحول تنوفاً دون اللقاء ، ولا يشترط مزار  
 ( إن الذي خلفت خلفي ضائع ما لي على قلتي إليه خيار )  
 ( واذا صحبت فكل ماء مشرب - لولا العيال - وكل أرض دار )  
 إذن الامير بأن أعود اليهم صلة تسير بذكرها الاخبار

فلو ان امرأته كانت إذ ذاك باقية لم تمت ، لما عز على ابي الطيب ان يفارق عياله في رفقة  
 وصحبته . وبين من قوله ( إن الذي خلفت خلفي ضائع ) انه يعني صغيراً من ولده لا يطمئن  
 قلبه اذا فارقه مضيقاً ليس له من يعوله او يكلوه ويرعاه ، وأتم ذلك المعنى بقوله « مالي على  
 قلتي اليه خيار » . وفي الايات جميعها حنان الابوة مائل بين لا خفاء فيه . . . وحسبك  
 هذا من كلامنا ، فاذا رجعت الى الديوان فتدبر قصائده بعد ذلك ، ففيها من مثل هذا كثير .  
 ولا يفوتك ان تذكر ما قدمناه من دقة احساس هذا الرجل ، وسرعة تأثره ، وظهور هذا  
 التأثر في شعره اذا كربه أمر يغبه أو يثيره أو يهيج كبرياه . وما يكون من جراء ذلك في شعره  
 من الانتقال من معنى الى معنى غير عابئ ( بحسن التخاص ومقتضى الحال ) ، ولا تنس ان تقرأ  
 هذه الايات الثلاثة في موضعها من الديوان متدبراً متبصراً ، وهي قوله

أنبكي لموتانا ، على غير رغبة تفوت من الدنيا ، ولا موهب جزل  
 إذا ما تأملت الزمان وصرفه تيقنت ان الموت ضرب من القتل  
 ( وما الدهر أهل أن تؤمل عنده حياة ، وان يشقائق فيه الى النسل )

اجتمع على أبي الطيب كما ترى في اول صحبتته لسيف الدولة أفراح قلبه باقائه امير العرب  
 الذي أحبه وأمل فيه الخير والبركة والنصر لآرائه وافكاره وسياسته ، وأحزان قلبه بفقد امرأته  
 ثم صغيره الذي جدد له ما بقلبه من احداث الزمن ومصائبه من الآلام . فكان تنازع الفرح  
 والحزن في تلك النفس المرهفة الشاعرة الثائرة سبباً في استخراج كوامنها ومضمراتها وذخائرها .  
 واخذ ابو الطيب يروى ما عنده من العواطف والافكار ، ويتأمل ما تجد في قلبه من المعاني التي  
 ولدتها الافراح والآلام ، ويستوعب ما في ضميره من الاحداث القديمة التي تركت وسمها فيه ،  
 ويرمي ببصره الى ما يستقبله في ظل سيف الدولة ، وينظر فيما وجد عند الامير من العطف عليه  
 والاكرام له ، وتقديمه على القدماء من اصحابه وشعرائه ورجاله ، وشغفته الايام بما يتجدد فيها



مما يخصه ومالا يخصه ، وحوته المجالس مجالس العلم والادب والشعر والسياسة ، واحاطت به الدنيا كلها مهياةً كأنما أعدت له ، ليأخذ منها ما شاء ويدع ما شاء ، ... فكان هذا كله ترفيقاً من القدر لصنع هذه الشاعرية الفذة وتربيتها وتغذيتها وتنشئتها على غرار فذ ، يكون به ابو الطيب شاعر العرب والعربية الذي (ملاً الدنيا وشغل الناس )

وكان تنازع الفرح والحزن في تلك النفس المرفهة الشاعرة النائرة حدّاً لها من غلوائها ، وصرفاً لها عن الفكر في الكبرياء ، الى الكبرياء في الفكر ، فاصبح ابو الطيب ينظر في الحياة نظرة التدبر والتمحيص ، يقلب الرأي ، ويعبر الفكرة ، ويقيس الاشياء والنظائر ، ويرد الامور الى اصولها ومنازعها ، وينزع جوهر المعاني من بين اعراضها ، لا يأتلى في ذلك جهداً ولا يقصّر . فمن هنا تواردت عليه المعاني ، واتخذت لها بين قلبه وفكره منزلاً ومقرّاً ، فاذا قصد الى الشعر واحتفل له بيانه وروافد هذا البيان من الحوافز والدوافع والعواطف ، ابتدرت هذه المعاني من منازلها بين قلبه وفكره الى منازلها بين ابياته وقصائده . وهذا هو احد الاسرار العظيمة في بيان هذا الشاعر العظيم

وتللاً لا مجد سيف الدولة في شعر ابي الطيب فقر به وزاده عطاءً واقطاعاً ، واسبغ عليه نعمة لم يكن ابو الطيب ينتظر مثلها أو يؤمله ، فوقع ذلك من نفسه موقع الامة التي تحققت من نفس اليأس الذي ضجر بامانيه وقد استيقنت نفسه انها لن تحقق ، وكان هذا ايضاً — مع الحزن والفرح اللذين يتنازعان في نفسه — عوناً على صنع شاعرية الرجل وصقلها وجلالها ، لتكون المرأة التي تترائي فيها حقائق الحياة وفلسفتها وحكمتها وبيانها وما لها وما عليها

ولم يكن سيف الدولة يجهل ما سيكون من هذا الرجل اول ما لقيه ، بل يقيناً انه كان قد انكشفت له تقسية ابي الطيب فأخذها من حيث ينبغي أن تؤخذ ، وعرف أن هذا الذي مدحه بأنطاكية سيكون مخلص ذكره ، وحافظ أخباره وصفاته في شعره ، وليس مثل سيف الدولة من يففل عن ذلك أو يتجاوز به بصره . فقد كان سيف الدولة أديباً شاعراً قد اجتمعت له من أداة الأدب والشعر أداة كاملة متقنة ، وكان بصيراً بنقد الشعر ، نافذاً في إدراك أسرار البيان وايضاً . . . فقد كان ما عليه سيف الدولة مما ذكرنا ، من أكبر العوامل في شعر ابي الطيب ، فإنه كان يعرف يقيناً بصر صاحبه سيف الدولة بالادب والشعر ، فحمله ذلك على الإجادة والتبصّر ، وتقليب المعاني واختيارها ، واصطفاء أثوابها من الالفاظ واجتباؤها ، وكان ذلك من أبي الطيب لما في نفسه من الكبرياء والعظمة ، إذ لو لم يفعل ذلك لعلا عليه في نظر سيف الدولة أحد غيره من الشعراء أو لسواه به ، وصاحبنا هذا لا يرضى بأن يسبقه الى سيف الدولة غيره من الشعراء ، فهل يرضى بالمساواة ؟ . . . كلا ، وكذلك فاق أبو الطيب كل من سبقه أو جاء



بعده من شعراء العربية ، فقد اجتمع له من الدوافع وغيرها ما لم يجتمع لأحد منهم وبعد أيضاً ، فقد كان من العوامل في هذا النبوغ الفذ الذي استعلن في أبي الطيب ، ما أصاب من الاستقرار والاطمئنان في جوار سيف الدولة ، وما تيسر له من الرزق الذي لم يكلفه همّاً ولا كرباً ، بعد أن كان لا يمضغ لقمة من عيشه الا ومعها نكدها وهمّها وشقاؤها وأيضاً . . . . فقد علمت قبل أن هذا الرجل كان من صغره محباً للعلم والادب ، لا يدع استيعاب ما يقع اليه من الكتب في كل فنٍّ وعلم في جوار سيف الدولة ، تيسر له من ذلك ما لم يكن يتيسر ، فقد كان مائتاً بماله الذي أفاده ، يشتري ما يشاء ويستسخ ما يرغب فيه ، وما كان سيف الدولة لينعه أن يستفيد مما اجتمع عنده من نواذر الكتب والمؤلفات قديمها وحديثها ، فأخذ أبو الطيب يقطع أيامه بالتزود من كل علم ، والاستزادة في كل فنٍّ ، وقد وهبه الله ذاكرة واعية ، وفهماً نافذاً ، وقدرة على النقد والتمييز ، ونفساً شاعرة تأخذ من ذخائرها ما تشاء ، وتفرض عنه ما يعلق به ، ومجاوئه جلوة العروس في ثياب عرسها . وكذلك اتفق لأبي الطيب في هذا العهد كل ما يعينه على النبوغ والسبق

قلنا قبل أن سيف الدولة قد قرب أبى الطيب وزاده كرامة ومحبة لم ينل مثاها شاعر من أمير مع ما عرف عن سيف الدولة من تحرّزه وتشدده حتى على الكثيرين من أهله ، وضرنا المثل بأبي فراس الحمداني وهو من هو في قربه من سيف الدولة لقرابته ورحمه ، وتحقيقه بخدمة ، والذهاب في طاعته ومرضيته ، وتمجيده في شعره ، وتخليد ذكر وقائمه وحروبه ببلاغته وبيانته ، وأشرنا الى ان السياسة كانت أيضاً مما قرب أبى الطيب وأدناه من مجلس سيف الدولة وسامره وخلوته . ولعلّ هذا الامر الاخير — مع ما قدمنا ذكره من أحوال سيف الدولة ، وأبي الطيب وما فيه من النبوغ والدهاء . — هو الذي جعل لأبي الطيب عند سيف الدولة منزلة لا تدانها منزلة أحد من أقاربه أو أهله أو شعرائه الذين كانوا يبابه ، وقد قالوا إنه لم يجتمع يباب أحد من الامراء مثل ما اجتمع يباب سيف الدولة من الشعراء والادباء

وقد تبهنا ديوان أبي الطيب كله لنظفر بالدليل على أن سيف الدولة كان قد استصفى أبى الطيب واتخذ منه أخاً يمنحه ودّه ويكشف له عن سرّه ، ويحدثه بأماله في السياسة والحكم فوقنا على أشياء من ذلك لا بأس من ذكرها والتدليل عليها ، على ما درجنا عليه في كلامنا من استنباط المعاني وردّها بعضها الى بعض — هذا على كثرة ما يتصل بهذا من أحوال أبي الطيب وسيف الدولة ، مما لا نستطيع أن نجعله لك في فصل واحد ، ولذلك سنكتب ما نكتب ، وعلى القارئ أن لا ينسى ما مضى من القول فيضعه في موضعه ليزيد ما أمامه قوة وبياناً ، وأن يستأنى لما يستقبل فيحله محله ليرتبط الاول بالآخر ، وينكشف له ما يغمض عليه أو يستبهم مما نحن فيه



كان أبو الطيب كما رأيت أولاً رجلاً ثائراً بما في نفسه غير راضٍ عن الحكم القائم في البلاد العربية وقد ذكر ذلك في كثير من شعره الذي مضى بك ، وهدد الأمراء والملوك والسلاطين بما سوف يفعله بهم ، وما يأتيهم به من القتل والفتك ، وخص بالذكر والحق والوعيد الاعاجم الذين كانوا قد استولوا على مقاليد السلطان والحكم ، ولم يفتأ يذكر ذلك من أول أمره الى ان اتصل ببدر بن عمار ، وكان — كما قلنا قبل — يؤمل ان يجد في بدر بن عمار ( الرجل ) الذي يستعين به على آماله وآرايه ، ويحقق بعونه له ، ما كان يدور في نفسه من المطامع السياسية — من رد الحكومة الى العرب دون الاعاجم ، وكذلك هدأ حين اتصاله ببدر ولم يكثر من ذكر وعيده وانذاره وآرائه ، وفسرنا هذا هناك . فلما كان اتصاله بسيف الدولة على ما وصفنا في هذا الفصل من توافق الرجلين في المذهب السياسي ، والرأي الذي يريانه لانقاذ العرب من عادية الاعاجم وغيرهم ممن يكدون بالفتنة لامتعهما ، هدأ أبو الطيب هدأته تلك ، وانصرف بيانه الى تمجيد صاحبه كما فعل حين كان في جوار بدر . وقد ألمنا بحالة أبي الطيب النفسية وفسرناها ، وبيننا ان ذلك عادة له اذا لاقى العربي المحارب الفاتح الذي يؤمل في وجهه النصر والظفر وتحقيق الآمال التي تسمو بهيمته الى غزو الامة ، وانقاذها من البلاء الذي حل بها وأوهاها وفرق شملها . وجعنا الى ذلك ما كان من تقريب سيف الدولة أبا الطيب اليه ، واصطفائه بمودته دون سائر الشعراء ، وجميع اهله وقرابته ، والمتصلين به من اصحاب الفكر والرأي والدهاء . وقد مضى بك ايضاً ان ابا الطيب كان قد ذكر — حين قدم الى انطاكية على ابي العشائر — انه لم يأتته مستيحياً ولا طالب رفق وعطاء ، بل اشار الى مراده ومبتغاه الذي من اجله قصد انطاكية فقال

فسرت اليك في ( طلب المعالي ) وسار سواي في ( طلب المعاش )

وتبيننا من شعر ابي الطيب في المدة التي سلكها في ظل سيف الدولة من سنة ٣٣٧ الى سنة ٣٤٦ انه كان يقول الشعر في سيف الدولة — ممجداً له ورافعاً من ذكره وذكر غزواته وحروبه — وقد تآزرت عوامل نفسه كلها على منحه التجويد والابداع في ذلك . وتفسير ذلك عندنا ان هذا الرجل الثائر حين لاقى سيف الدولة الفاتح ، وجه كل ما كان في قلبه من القوة التي دفعته الى مدح نفسه وذكرها والافصاح عن آرائها وآمالها ، الى مدح هذا الرجل ( سيف الدولة ) ووصفه ووصف حروبه وغزواته ، فصارت القوة التي كانت يذبة في شعره الاول الى هذا الشعر ، فكان وحده هو أبداً ما أتى به وما أخرجه من البيان . وكان صورة اخرى من شعره الاول الا انها اقوى وأتم وأمثل في التجويد والتصوير

ثم فارق ابو الطيب سيف الدولة ، وهو لا يزال ثابتاً على محبته والاخلاص له ، وكان سيف الدولة لا يزال مستقصياً لاخباره في كل بلد ينزله ، متبعاً لشعره الذي يقوله لكل من مدحه



من بعده ، وكان أيضاً لا يزال يهدي إليه من هداياه مع انه فارقه ومدح غيره — بعد إكرامه له إكراماً لم يلق مثله ابو الطيب قبل اتصاله به أو بعد فراقه له ، وكان أيضاً يكتبه ويتلقى منه بعض كتبه — وهذا دليل على ان المحبة التي كانت بين الرجلين لم تكن محبة امير لشاعره وحسب بل كانت صداقة لا يقطع فيها حدث من احداث الزمان ، او سعي بالنيمة من سعي الوشاة والمتقولين هذا . . . وقد روي ان سيف الدولة أنفذ الى ابني الطيب -- وهو بالكوفة سنة ٣٥٢ بعد خروجه من مصر — هدية مع أحد أقاربه ، فكتب اليه قصيدة أهداها اليه كما أهدى ، فكان مما ورد في هذه القصيدة ، يخاطب سيف الدولة

أنت طول الحياة للروم غاز فتى (الوعد) ان يكون القبول  
وسوى الروم خلف ظهرك روم فعلى أي جانبك تميل  
قعد الناس كلهم عن مساعيك وقامت بها القنا والنصول  
ما الذي عنده تدار المنايا كالذي عنده تدار الشمول (١)  
لست أرضى بأن تكون جواداً وزماني بأن أراك بخيل  
نفص البعد عنك قرب العطايا مرتعي خصب وجسمي هزيل

ما أبالي — اذا اتقنت الليالي — من دهره حبوها والحبول  
وقد ذكرنا قبل ان سيف الدولة كان قد عزم في نفسه ان ينال بهيمته غاية الغايات في ضم  
أشتات البلاد العربية تحت سلطانه وفي ظل حكومته ، وكان أول ما أتم من ذلك ان زحم  
الاخشيديين بمنابكه حتى أزاحهم عن أكثر البلاد الشامية وردهم الى الرملة ، واراد ان يوطد  
سياسته وحكمه بالشام حتى اذا أعد العدة ، واستجمع الاداة ، تحفز بقوته كلها على العراق فقال  
عليه ميلة رائية ، ليزيل عنه سلطان الموالي الذين استولوا على ساطة الخلافة . وكان هؤلاء الموالي ،  
او أكثرهم ممن استقل بالدويلات ، من شيعة العلويين الذين اطاعوا داعية الفاطميين ، وكان  
سيف الدولة لا يقرّ بحكم الفاطميين ولا يرضى عنهم ، ولذلك نصر الخلافة العباسية مع انه علوي  
المذهب . كانت هذه هي سياسة سيف الدولة ، وكانت هذه هي ارادته ، ليجمع شمل العرب ويرد الحكم  
الى اليد التي لا تضطرب ، والى الفكر الذي لا يذاعله من مكانه كيد الكائدين للعربية من اصحاب  
الفن والدسائس . . . . . فجاء ابو الطيب يقول في هذه الايات

أنت طول الحياة للروم غاز فتى (الوعد) ان يكون القبول  
وسوى الروم خلف ظهرك روم فعلى اي جانبك تميل



ففي البيت الاول يصرح بأن سيف الدولة كان قد وعده ان يقفل من غزو الروم الذين يهددون اطراف الشام ، ويعدّ العدّة لغزو غيره ، فإن قوله ( الوعد ) معرّفاً دليل على تخصيص وعد بعينه ، ولا يكون كذلك الا ان يكون وعداً وعده سيف الدولة أبا الطيب لتحقيق ما يريدان من ردّ الحكومة الى العرب ، وذلك بأن يغزو سيف الدولة العراق و (يميل عليه ) ويزيل عنه سلطان الموالي والاعاجم ، ولذلك سأل أبو الطيب سيف الدولة في البيت الثاني فقال ( فعلى اي جانبك تميل ) . وقد جعل القائلين بالحكم ، والمستولين على السلطان في العراق — روماً ، لما أشرنا اليه قبل من ان هؤلاء لما وقفوا على عزيمة سيف الدولة في إزالتهم عن العراق ، أوعزوا الى ملك الروم أن يقاّله اذ أوقعوا في قلبه وفكره بمكرهم ودهائهم أن سيف الدولة الذي كان يمدّ سيطرته على الشام يوماً بعد يوم ، انما يريد بذلك أن يزيل الملك من بين يديه ويغلبه على بلاده وبذلك يتم لهم ما يريدون من صرف سيف الدولة عن حربهم ، وانصرافه الى حرب الروم ، ويكون ذلك استهلاكاً لقوته . حتى اذا ما أراد أن يميل عليهم يكون قد فقد صفوة المحاربين معه في قتال الروم ، فلا يصيب إذ ذاك في حربهم وقتالهم ظفراً ولا نصراً . وهذا التعبير من أبي الطيب دليل على أنه كان يعرف سرّ هذا الامر كما يعرفه سيف الدولة ، ثم إن أبا الطيب أخذ يهوّن على سيف الدولة أمر غزو العراق ، ويعزّيه بالإقدام على ما وعده من الفتح ، إذ وصفه ووصف أهل العراق فقال

ما الذي عنده تدار المنايا كالذي عنده تدار الشمول

فهو بهذا يعزّيه بهم إذ كانوا قوماً أهل سكر وعريضة ، لا أهل حرب وقتال كسيف الدولة الذي لم يكن يفرغ من غزوة ويقفل منها حتى يبادر إلى أخرى يصيب فيها النصر والظفر ، أو التجربة في القتال والمران على مكر الحرب وخدعها . وهذا الذي كان من ( الوعد ) بين سيف الدولة وأبي الطيب كان هو السبب في ان أبا الطيب حين دخل العراق في تلك السنة لم يعبأ بأحد من السلاطين والحكام وأولي الامر من الوزراء ، واستكبر عن جميعهم فلم يمدح منهم أحداً ، بل راغهم حتى كان ما كان من أمر الوزير المهدي وغيره ، وعداوتهم له ، وإغرائهم الشعراء بالوقوف في عرضه وشرفه ونسبه ، وتحريضهم الادباء على معاندته ومجادلته لانضامه والإضرار عليه — كما مرّ بك في أوائل كلامنا

وفي ذي الحجة من سنة ٣٥٣ كتب سيف الدولة إلى أبي الطيب كتاباً ( بخطه ) يسأله المسير اليه فأجابه أبو الطيب بقصيدة أنفذها اليه أولها

فهمت الكتاب، أبرّ الكتب فسمعا لأمر أمير العرب  
وطوعاً له ، وابتهاجاً به، وإن قصر الفعل عما وجب



فإذا كان هذا الكتاب — كما وردت الرواية — قاصراً على رغبة سيف الدولة الى أبي الطيب في أن يلهو به ، ويكون في جواره ، فيكون قول أبي الطيب ( فهمتُ الكتاب ) من أسخف القول وأرذله وأحطه وأسقطه ، ويكون سقوطاً قد أصاب عقل هذا النابغة . أيقول أبو الطيب أنه فهم كتاب سيف الدولة ( الذي كتبه له بخطه ) يسأله أن يسير الى الشام ؟ وما في هذا الطباب مما يحتاج الى الفهم ؟ وما فيه مما تقتضي الإجابة عنه أن يخبره بأنه قد فهمه ؟ أليكون هذا أو يُعقل !! والبيّن أن سيف الدولة كتب الى أبي الطيب — بعد القصيدة التي مر ذكرها والتي أغراء فيها بغزو العراق وفتحها — كتاباً يشرح له فيه الامر — غير مصرح بشيء — ، ويذكر العوائق التي تعوقه دون غرضهما ، ويبيّن له ما هو فيه من الكرب والضيق وأنه لولا ذلك لما تأخر عن عزيمته ، ولوفى لابي الطيب بالذي وعده من فتح العراق . ولهذا لم يأتمن سيف الدولة أحداً على هذا الكتاب الذي كتبه الى أبي الطيب ، فكتبه اليه بخطه حيلةً وحذراً أن يشيع ما ورد فيه . وقد أراد سيف الدولة في كتابه هذا أن يزيد ابا الطيب ياناً ولكنه لم يستطع خشية الاحداث التي لا يملك صرفها ، من وقوع هذا الكتاب في يد عدو من اعدائه ، ولذلك طاب من ابي الطيب ان يقدم عليه بالشام فيخلو به ، ويشرح له الامر في غير كناية ولا تعريض ، ولكن ابا الطيب كان قد فهم ما وراء كنايات سيف الدولة وإشارات الحفية ، فكتب اليه « فهمتُ الكتاب ، أبرّ الكتبُ فسمعاً لأمر أمير العرب »

فهذا الذي أفضنا فيه دليل كله على أنه كانت بين سيف الدولة وأبي الطيب اسرارٌ سياسية تخص أغراضهما وآمالهما في إعادة المجد العربي ، وإزالة الحكم الطاغين من الموالي ، وفتح الفتن التي قام بها العلويون والفاطيون في البلاد وهم لا يقدرّون مغبتها وعواقبها ، ولا يزنون أمرها إذ يتخذها أعداء العرب والاسلام ذرائع لقضاء مآربهم في تمزيق الامة ، وتقريب شملها ، وإضاعة مجدها وسلطانها ، ليقيموا على انقاضها ما تسوّله لهم أحقادهم وضغائنهم من الأوهام والأحلام





لِعَيْنِكَ ، ما يلتقي الفؤاد ، وما لقي  
 وللحب ، ما لم يبق مني ، وما بقي  
 وأحلى الهوى ، ما شك في الوصل ربّه  
 وفي الهجر ، فهو الدهر يرجو ويتّقي  
 سَقَى الله أيام الصبا ما يسرها  
 ويفعل فعل البائلي المعترق  
 إذا ما لبست الدهر مستمتعاً به  
 تخرّقت ، والملبوس لم يتخرّق

قد رأيت قبل ان الحوافز التي اجتمعت على أبي الطيب من <sup>(١)</sup> اول امره الى عهد اتصاله  
 بسيف الدولة ، انما كانت ترفقاً من القدر وتطريقاً وتمهيداً للنبوغ الفذ الذي صار به صاحبنا  
 شاعر العرب ولسان العربية الذي استحکم في عصره ، وضرب بحكمته على من كان قبله ، ومن  
 أتى بعده . وقد ذكرنا من أداة نبوغه واسبابه ما تيسّر لنا جمعه في هذه الكلمة ، إذ كانت  
 الاشياء مرهونة بأوقاتها من المعاني ومنازلها من الكلام

ورأيت ان اتصاله بسيف الدولة نقل قلب الرجل من منزلة الى أخرى ، نقله من منزلة  
 الاحساس الشخصي المتوحد ، الى منزلة الاحساس الشخصي المتولج في الاجتماع المزاجي في  
 سياسته ، المؤمل في سيف الدولة ردّ السلطان الى العرب والعربية ، بعد الغلبة والظفر وتحقيق  
 الاماني . وكان هذا سبباً في انتفاض قلب ( الرجل الشاعر ) بالفرح المستولي عليه والغالب على  
 عواطفه ، ثم كان ايضاً ما استنبطناه مما سبب في هذا القلب اسباباً للالام والحزن والالين والبكاء  
 والحسرة ، فصار التنازع في هذا القلب بين الفرحة الغالبة والحسرة المتمكنة سبباً في استخراج  
 مكنونات هذا القلب ، وتوليد المعاني الجديدة من الصراع الهائل الذي كان فيه . وبذلك خرج  
 أبو الطيب عن طوره الاول الحدود بحده الى الطور الثاني المتفاسح المترامي الى كل غايات الحياة  
 وأسبابها وما يكون فيها وما يكون منها

(١) كان حق هذا الباب ان يسبقه — في ترتيبنا — باب آخر ، نذكر فيه ما تميز به شعر ابي الطيب  
 ونفصل فيه اسلوبه كله على تدريج لا يتفاوت . ولكن منعنا من ذلك ضيق الوقت



وكان هذا الرجل الشاعر إنما يعتمد في توليد معاني شعره على استيعاب ما بنفسه من الافراح والآلام، ما تقادم منها وما جدد، ثم الاستغراق في تأمل هذه الذخائر التي في نفسه ورد بعضها الى بعض، وربط الغائب منها بالشاهد، وعطف الاول منها على الآخر، كما كانت تترأى لعينه حوادث قلبه وحوادث دهره، وتتردد في سمعه اصوات قلبه موصولة باصوات الناس وكلامهم ما قلّ منه وما عظم. وهذا الاستغراق في تأمل ما بنفسه هو احد الاسرار العظيمة في تصوير شاعريته، وتسويتها وتنشئتها وتغذيتها وتمييزها الى الغاية التي هي عليها في شعره

وقد بينا قبل ان من أداة هذا الشاعر العظيم ما أودعه الله فيه من الحس المرهف، وما وهبه من العاطفة الماتية المتوقدة التي لا يخبو لها ضرام، ورائته كآب ذلك من جدته أو فطرة فطره الله عليها غير موروثية. وكان هذا الرجل في أول أمره مطالباً بثأر قد نشئ عليه، وأخذ به من صغره، حتى شغل فكره وعقله، وتدفق في بنيانه كله تدفق الدّم، وصار أصلاً من الاصول التي قامت عليها كل حالته النفسية — على ما ذكرناه أولاً، وتدرجنا في بيانه إلى عهد اتصاله بسيف الدولة — وكان قد بلغ من العمر أربعاً وثلاثين سنة، وهي السن التي تستحكم فيها الاصول، وتستقر المذاهب، ويقف الرجل عندها لا يملك في تبديل أمره حولاً ولا قوة إلا أن يشاء الله، وخاصة من كان مثل المتنبى قد عركته الايام من صغره وتحاملت عليه ورمت به في تسورها حتى استوى على صورة بعينها، واستمر مريره على ما فيه من القوة المستحصدة، والمدة الدائبة الفورة والزراع، لا تستقر ولا تهدأ ولا تطمئن

هذا، . . . وقد استوقفنا ونحن نتبّع شعر الرجل على طريقتنا ومذهبنا، الفرق الكبير الكائن بين شعره الاول وشعره الذي قاله في حضرة سيف الدولة، وتدرجنا الاسباب على ما يسنّاه قبل، فلم يستو عندنا أن يكون ذلك من أجل ما ذكرناه قبل وحسب، فعدنا نجدد الرأي لذلك، ونقرأ ما بين كلمات الرجل من المعاني، ونستنبط من روائع حكمه وبلاغته ما يهدينا الى السبب الاكبر في هذا التجويد الفذ الذي غلب به الرجل على شعراء العربية، فاستروحنا في شعر الرجل نفحة من نفحات المرأة التي تكون من وراء القاب وتصنع للشاعر المبدع بيانه، وتتخذ من فنّها النسوي مادة تهيتها لفنّ صاحبها وعبقريته ونبوغته. فأقمنا الامر على ذلك ورجعنا الى شعر أبي الطيب وما وقفنا عليه من أسرار نفسه، ومثلنا المرأة بينهما وهي دائبة تصنع له بيانه وتهيء له فنه فاستوى الامر على ذلك، وطلبتنا الدليل فدللنا على المرأة التي سكنت قلب أبي الطيب — وهو في ظل سيف الدولة — وجعته حكيم الشعراء، وشاعر الحكماء

كان صاحب الحكمة أبو الطيب يصنع حكمته بالتدبر في معرفة نفسه، واستبطان أسرارها وإدراكها، فلما جاءته المرأة، وأرادت كبرياءه على الخضوع لها والتصرف بأمرها، وقعت نفس



هذه المرأة بأسرارها وأحداثها بين نظرات أبي الطيب النافذة المتولّجة إلى ما وراء الواقع والحسّ الملموس، وبين نفسه بأحداثها وأسرارها وما انطوت عليه وما تجالست به. ولما كانت نفس المرأة المحبوبة هي تمام نفس الرجل المحب وتكملتها، كانت دراسة الحكيم المحب لنفسه المثلثة التامة بالمرأة المحبوبة، إنما هي دراسة للكون كله، فإن العاشق لا يرى الدنيا بأسرارها إلا بعيني من يعشق، وهي على ذلك الدنيا المترامية، بعد أن كانت قبل عشقه محصورة في دائرتها من نفسه الناقصة غير التامة. والحب القوي النافذ الذي يملك حواس المحب ويغلب عليها، هو بطبيعته امتداد بهذه الحواس إلى غايات بعيدة لم تكن تصل إليها قبل غلبته على القلب والنفس والفكر. فها هنا حين أحب أبو الطيب — الرجل الثائر المتكبر الشاعر الحكيم البياني الفكر واللسان — كان امتداد نفسه وتراميتها إلى غايات بعيدة من الرجولة والثورة والكبرياء والحكمة والفكر، ولم يستطع أن يكون — بعد أن غلب الحب قلبه وتقاسح به — شاعرًا غزلاً رقيق البيان. وهذا هو السرُّ عندنا في ضعف مادة الغزل عند أبي الطيب، وقوة مادة الحكمة وما إليها مما هو من طبيعته المتأصلة فيه على ما فصلناه في أثناء كلامنا. وليس يصح عندنا أن لا يكون أبو الطيب عاشقاً صَبّاً متدلّها ما لم نجد في شعره غزلاً ولا أنيناً وحنيناً وبكاءً

والآن، وبعد هذه المقدمة، نعين لك المرأة التي أحبها أبو الطيب على ما يتفق لنا <sup>(١)</sup>، إذ كان ترتيب هذا الموضع من الكلام مما يستدعي النظر في أكثر شعر أبي الطيب وتقليبه على المذهب الذي اتخذناه، فيخرج الأمر من حده ولا تتسع له هذه الورقات

لما ماتت اخت سيف الدولة الصغرى وقف أبو الطيب يعزيه ويرثيها ويسليه ببقاء أخته الكبرى وذلك في يوم الأربعاء للنصف من شهر رمضان سنة ٣٤٤ فانشده قصيدته التي أولها  
 أن يكن صبرُ ذي الرذيئة فضلاً    تكن الأفضّل الأعزّ الأجلّاً  
 وطفق يمدح سيف الدولة بمناقبه مما يصاح لهذا الموضع من العزاء إلى أن قال  
 أين ذي الرقة التي لك في الحر    باذاستُ كره الحديد وصلّاً؟  
 أين خلفها غداة لقيت الـ    روم والهأم بالصوارم تفاسي  
 (قاسمتك المنون شخصين جوراً    جعل القسم نفسه فيه عدلاً)  
 (فاذا قست ما أخذت بما غا    درن سرّي عن الفؤاد وسلّى)  
 (وتيقنت أن حظك أوفى    وتيقنت أن جدك أعلى)

فأبو الطيب يطلب من سيف الدولة أن يقيس اخته الصغرى التي ماتت إلى أخته الكبرى التي بقيت

(١) اعلم أنا كنا نؤمل أن نكتب هذا الباب في خمسين وجهاً من المقتطف أو أكثر ولكن حالت دون ذلك أحوال



له فاذا فعل ذلك كان سلوى له وتسرية لهم عن قلبه . ولا ندري كيف يتفق لشاعر يرثي امرأة ماتت ان يذكر اخرى — وتكون اختها — ويعزي اخاها بهذا العزاء الغريب ؟ ثم يزيد فيقول له انك اذا فعلت ذلك الذي دلتك عليه ، « تيقنت » ان حظك في بقاء هذه الكبرى اوفى من حظ الموت في أخذ الصغرى ، وكيف يتيقن ابو الطيب سيف الدولة من حسن حظه ببقاء الكبرى إلا اذا كان هو على يقين من ذلك ؟ وكيف يكون على يقين من ذلك إلا وهو يعرفها معرفة تفضي به الى هذا اليقين ؟

ثم مضى ابو الطيب في القصيدة كلها يمدح سيف الدولة ولم يتعرض لهذه الفتاة اخته الصغرى إلا في موضع آخر اذ يقول

خطبة للحمام ليس لها ردٌّ وإن كانت المسباء ثكلاً  
واذا لم تجد من الناس كفتاً ذات خدرٍ أرادت الموت بعلاً

فالعجب ان يكون ذلك عزاء — فإن ابا الطيب قد قدم الكبرى في المنزل ، فكان اولى اذن ان يموت الكبرى اذ هي ولا شك عند ابي الطيب — افضل من هذه الصغرى التي لم تجد من الناس كفتاً يكون لها زوجاً ، فاختارت الموت بعلاً لها . وهذا التناقض يدلنا على ان الرجل كانت قد اقترنت في عينه صورة الكبرى بصورة الصغرى فاضطرب قوله ولم يمض على سنن ونهج ، وذلك لاضطراب نفسه الذي اظهر ما في قلبه وكشف عنه في تدفقه حين ذكر هذه الكبرى فقال فيها البيتين « فاذا قست . . . الخ »

فلما ماتت الكبرى هذه التي ذكرها هنا — وهي خولة اخت سيف الدولة — في سنة ٣٥٢ اي بعد ذلك بسنوات ثمان ، وكان ابو الطيب بالكوفة فورد عليه خبرها كتب الى سيف الدولة قصيدة فيها (٤٤) بيتاً ، منها واحد وثلاثون في ذكر خولة هذه ، وستة ابيات في ذكر الدنيا ونكدها ، ولم يذكر سيف الدولة إلا في سبعة ابيات منها . هذا مع ان القصيدة التي رثي بها الصغرى ، لم يذكر فيها الصغرى مفردة إلا في بيتين هما « خطبة للحمام . . . » ، وذكر الكبرى ومعهما الصغرى في ثلاثة ابيات هي « قاسمتك المنون . . . » ، وجعل بقية القصيدة وعدتها (٤٢) بيتاً في مدح سيف الدولة الا قليلاً في الحكمة والحياة

وكان الفرق بين القصيدتين بيتاً واضحاً لا خفاء فيه ، وكانت الثانية في رثاء خولة عاطفة قد اخذها الحزن وغلبها البكاء . . . يقول ابو الطيب

يا أختَ خير أخٍ ، يا بنتَ خير أبٍ      كنايةً بهما عن أشرفِ النسبِ  
أجلُ قدرِك أن تسميَ مؤبنةً      ومن يصفك فقد سمّاك للعربِ  
( لا يملك الطرب المحزون منطقهُ      ودمعهُ ، وهما في قبضة الطربِ )



غدرت ياموت ، كم أفيت من عدد  
 وكم صحبت أخاها في منازلة !  
 (طوى الجزيرة حتى جاءني خبره  
 حتى اذا لم يدع لي صدقه أملاً ،  
 تعثرت بك في الافواه السها ،  
 كأن خولة لم تملأ مواكها  
 (ولم ترد حياة بعد تولية  
 أرى العراق طويل الليل مذ نعت  
 ) يظن أن فؤادي غير ملتهب !  
 (بلى ، وحرمة من كانت مراعية  
 (ومن مضت غير موروثة خلائقها  
 ) وهما في العلى والمجد ناشئة  
 (يعلمن حين تحيا حسن مبسمها

(وان تكن خلقت أنثى ، فقد خلقت  
 كريمة ، غير أنثى العقل والحسب )

( فليت طالعة الشمسين غائبة  
 (وليت عين التي آب النهار بها

( ولا ذكرت جميلاً من صنائعها  
 (قد كان كل حجاب دون رؤيتها ،  
 ولا رأيت عيون الانس تدركها  
 (وهل سمعت سلاماً لي ألم بها  
 (وكيف يباغ موتانا التي دفنت

(قد كان قاسمك الشخصين دهرهما  
 (وعاد في طلب المتروك تاركه  
 ما كان أقصر وقتاً كان بينهما

بمن أصبت ! وكم أسكت من لب !  
 وكم سألت فلم يبخل ولم يخب !  
 فزعت فيه بأمالي الى الكذب  
 شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي  
 والبُرْد في الطرق والاقلام في الكتب  
 ديار بكر ، ولم تخلع ، ولم تهب  
 ولم تفت داعياً بالويل والحرب  
 فكيف ليل فتى الفتيان في حلب ؟  
 وأن دمع جفوني غير منسكب !  
 لحرمة المجد والقصاد والادب  
 وإن مضت يدها موروثة النشب  
 وهم أترابها في اللهو واللعب  
 وليس يعلم إلا الله بالشنب

كريمة ، غير أنثى العقل والحسب )

(وليت غائبة الشمسين لم تغب  
 فداء عين التي زالت ولم توب

إلا بكيت ، ولا ود بلا سبب  
 فما قنعت لها يا أرض بالحجب !  
 فهل حسدت عليها أعين الشهب ؟  
 فقد أطلت ، وما سلمت من كتب  
 وقد يقصر عن أحيائنا الغيب

وعاش دُرُّهما المفدي بالذهب  
 إنا لنفضل ، والايام في الطلب  
 كأنه الوقت بين الورد والقرب



ولست تخطيء فيما نرى ما تضمنته هذه الايات من القصيدة من العاطفة التي عطفته على هذه التي يرثيها ، وما يتوهج في ألفاظها من نيران قلبه ، ولست تخطيء أين الرجل وحينه وبكائه . ولا بد لنا هنا من بعض القول في آيات منها نشرح به أمر أبي الطيب على وجهه قد ذكرنا قبل ان الانتقال من معنى الى معنى في شعر أبي الطيب ، هو الموضوع الذي ينبغي لنا الوقوف عنده وتميزه والتبصر في أوائله وواخيره ، إذ كان الانتقال في شعره هو الذي يعينك على الكشف عن اسرار قلبه ونفسه وحياته . فإذا شئت الآن فانظر الى انتقاله من قوله في مخاطبة الموت « وكم صحبت اخاها في منازل ! » الى ذكر ما أفرعه وكر به ، وهز نفسه وحز فيها إذ يقول

« طوى الجزيرة حتى جاءني خبرٌ فرزت فيه بآمالي إلى الكذب »

« حتى إذا لم يدع لي صدقه أملاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي »

والرأي عندنا ان هذين البيتين هما اول ما قال ابو الطيب من القصيدة حين بلغه خبر موت خولة وهو بالكوفة ففزع قلبه ، واضطرب أمره وانتشرت عليه عواطفه . ففي البيتين أثر قلبه الفزع المضطرب ، وعليها وسم من لوعته وحرقته

وقد غاب أبا الطيب بيانه في هذين البيتين فصريح فيهما بكل ما يضر خولة من الحب . انظر كيف جعل الخبر يطوي الجزيرة كلها يقصده وحده دون غيره ، وقد خصص ذلك بقوله « حتى جاءني » وفي هذا من غلبة الحب على قلب أبي الطيب ما جعله يرى أن هذا الخبر بموتهما — الذي سمعه وهو بالعراق — وكان قد علمه الناس ولا شك — لم يقطع أرض الجزيرة الا ليلغته هو ، والحب دائماً يخص ويضيق بمثل ذلك ، ولا يرى فيه الشركة ، ولو تساوى الناس جميعاً في المشاركة فيه أو العلم به . ثم إن أبا الطيب نسب الفزع الذي لحقه الى آماله ، إذ كانت آماله كلها في الحياة بعد حبه خولة متعلقة بها وبحياتها ، فلما جاءه الخبر بموتهما فرزت آماله هذه أملاً في الحياة الى الشك في الامر الواقع وطلب الحيلة في رده وتكذيبه عسى ان تجد لها معاقاً تستمسك به ، فلما اخفقت الآمال أملاً أملاً وقطعها الخبر الذي سمعه بالصدق واليقين ، سقطت نفس الرجل ولم تستمسك على رجولتها وقوتها وغرقت في دمعها حتى شرقت به . وهذه حالة في الحب القوي الغنيف الذي يستولى على القلب ، ولا يجعل للحياة بآمالها معنى إذا فقد من يحب أو ساء من أمره ما يسوءه . فهذا من أبي الطيب دليل على ان كلامه هذا ليس كلام شاعر يرثي أخت صديقه وأميره ، وانما هو كلام قلب محب متفجع قد تقطعت آماله من الدنيا بموت حبيب قد فجته المنية فيه ومثل ذلك في الدلالة على ما اصاب قلب أبي الطيب من الفجعة التي تخصه بموت خولة قوله « أرى العراق طويل الليل مذ نعت فكيف ليل فتى الفتيان في حاب ؟ »



« يظنُّ أن فؤادي غير ملتهب وأن دمع جفوني غير منسكب »

فليس يطول الليل على شاعر من أجل اخت اميره، وإنما يطول عليه من أجل حبيبته التي فاته بها الموت . ثم زاد أبو الطيب في الدلالة بقوله ان سيف الدولة يظن ان فؤاده غير ملتهب ، وأن دمعها غير منسكب ، وما لسيف الدولة ولهذا؟ أيجبُ سيف الدولة ان يلهب قلبه وينسكب دمعها من أجل اخته ، أو يسوؤه اذا لم يكن ذلك كذلك ؟

هذا ولا نشكُّ نحن — من قبل ما جمعناه عندنا من الدلائل في هذا الامر المتعلق بحب أبي الطيب وخولة اخت سيف الدولة — في ان سيف الدولة كان على علم بما كان بينهما من المحبة الغالبة على امرها ، وانه كان قد وعداها الطيب عدة لم يف له بها في ان يزوجه اخته هذه ، وكان ذلك سرًّا بينهما اتصل بابي فراس الحمداني ، فكان سبباً في العداوة الباغية بين الرجلين . ولولا علم سيف الدولة بذلك لما استباح أبو الطيب لنفسه ان يكتب هذه القصيدة الى سيف الدولة على كثرة الاشارات فيها الى امره وامر خولة والحب الذي بينهما : فمن ذلك غير ما ذكرناه مما يدلُّ على الحب الذي بينهما دلالة واضحة لا تخفى على مثل سيف الدولة قوله

« ومن مضت غير موروثة خلائقها وان مضت يدها موروثه النسب »

الايات الثلاثة ، فقد ذكر أبو الطيب اخلاق خولة ، ثم ذكر ما كانت عليه من علو النفس والهمة منذ نشأتها ، ثم ذكر ابتسامتها ، وهذه كافية في الدلالة على معرفته خولة معرفةً صحيحة عن خبرة ولقاء . وايضاً قوله

« ولا ذكرتُ جميلاً من صنائعها إلا بكيتُ ولا ودَّ بلا سبب »

وهذا دليلٌ على ما كانت تسبغ عليه خولة من صنائعها وفواضلها مما يستجلب له البكاء حين يذكرها ، وما نظنُّ ان صنائع خولة عنده كانت تبلغ معشار صنائع سيف الدولة . ولكن حب أبي الطيب هو الذي جعل صنائعها من قلبه بهذه المنزلة . ثم تدبر قوله « ولا ودَّ بلا سبب » ، وفي رواية أخرى « بلا ودَّ ولا سبب » وكان هذه الرواية يراد بها نفي أمر بعينه ، كان الوشاة يكثرون القول فيه عند سيف الدولة مع علمه بالامر الذي بينهما ، من ان صنائع خولة التي كانت تتخذها عند أبي الطيب لم تكن من أجل هذا الوُدِّ ، وإنما كانت من كرم نفسها وطيب غنصُرها . ويكون المقصود بهذه الرواية غير سيف الدولة ممن كان يتزيّد في القول ويتكذب عليه بما هو منه برأئ . ولينفي التهم بذلك عن هذه التي كان يحبها ويمنحها قلبه واذا شئت الزيادة فاقراً قوله

فليت طالعة الشمس غائبة

وتدبر البيتين وما فيها من العاطفة . . . وقرأ



وهل سمعت سلاماً لي ألمَّ بها . . . . .  
ثم انظر الى هذا الالتفات الى الماضي الذي جعلناه من المذهب في الكشف عن أسرار أبي الطيب  
إذ ذكر ما كان منه حين رثي أخت سيف الدولة الصغرى—من ذكر خولة هذه وذلك إذ يقول  
قاسمك المنون شخصين جوراً . . . . .  
فعاد يقول في هذه

«قد كان قاسمك الشخصين دهرها وعاش دُرُّها المفديُّ بالذهب»  
«وعاد في طلب المتروك تاركهُ، إنا لنغفل، والايام في الطلب»  
وتدبر الصلة بين هذا وذاك، والحسرة المتميّزة في قوله «إنا لنغفل . . . . .»،  
و«ما كان أقصر وقتاً كان بينهما» . . .

وندع هذا الآن ونتنقل بك في مواضع من الديوان على غير ترتيب، لترى أثر هذا  
الحب في شعر أبي الطيب وفي حياته، وما أصابه وهو في ظلّ سيف الدولة من جراء هذا  
الحب. وكان حق هذا الموضع من هذا الباب أن نتبّع لك حياة أبي الطيب سنةً سنةً، ونكشف  
لك عن تدرّج هذا الحب في شعره وقصائده حتى تنتهي الى الغاية ولكن . . . . . وقف المتني في  
مجلس سيف الدولة ينشده قصيدته التي اولها

واحرّ قلباه ممن قلبه شيم ومن بجسمي وحالي عنده سقم  
وقد زعموا ان سبب هذه القصيدة كان على ما قالوا . . . «جرى له خطاب مع قوم  
مشاعرين وظن الحيف عايه والتحامل» الى غير ذلك. وقد أتى المتني في هذه القصيدة بكل  
عجبة من القول في الكبرياء والحب لسيف الدولة والوعيد له كقوله  
سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بأني خير من تسعى به قدم

كم تطالبون لنا عيياً فيعجزكم ويكره الله ما تأتون والكرم  
وقوله في حب سيف الدولة

يا من يعز عايانا ان نفارقهم وجدانا كل شيء بعدكم عدم  
وقوله في اذاره

لئن تركن ضميراً عن ميامنا ليحدثن لمن ودعتهم ندم  
اذا ترحلت عن قوم وقدقدروا ان لا تفارقهم فالراحلون هم

قالوا فلما انصرف ابو الطيب من مجلس سيف الدولة وقف له رجالة في طريقه ليغتالوه،  
فلما رأى ابو الطيب ورأى السلاح تحت ثيابهم، سل سيفه وجاءهم حتى اخترقهم فلم يقدموا عليه،



ونعى ذلك الى ابي العشائر فأرسل عشرة من خاصته فوقفوا بباب سيف الدولة ، وجاء رسوله الى ابي الطيب ، فسار اليهم حتى قرب منهم ، فضرب احدهم يده الى عنان فرسه ، فسل ابو الطيب سيفه ، فوثب الرجل امامه ، وتقدمت فرسه الحيل ، وعبرت قنطرة كانت بين يديه ، واجترأ ثم الى الصحراء ، فأصاب احدهم نحر فرسه بسهم فانتزع ابو الطيب السهم ورعى به ، واستقلت الفرس وتباعد بهم ليقطعهم عن مدد كان لهم ، ثم كر عليهم ، بعد ان فنى النشاب . . . . . فلما يئسوا منه قال له احدهم في آخر الليلة نحن غلمان ابي العشائر فقال قصيدته التي مضت «ومنتسب عندي الى من أحبه» . ثم عاد ابو الطيب الى المدينة مستخفياً فأقام عند صديق له والمراسلة بينه وبين سيف الدولة ، وسيف الدولة ينكر ان يكون قد فعل به ذلك او امر به . . . . . وكان ذلك في سنة ٣٤١ فلما رضي عنه سيف الدولة قال له قصيدة اولها

اجاب دمعى وما الداعي سوى طلل      وظل يسفح بين العذر والعذر  
ظلمت بين اصحابي اكفكفه      وظل يسفح بين العذر والعذر  
اشكو النوى ولهم من عسرتي عجب      كذلك كنت وما اشكو سوى الكلال  
ثم انتقل من هذا المعنى الى معنى غيره فقال

وما صباة مشتاق على أمل      من اللقاء كمشتاق بلا أمل  
وكأنه بهذا الانتقال يهون على سيف الدولة الامر ويذكر له أن هذا الحب الذي بينه وبين خولة كائن على غير أمل . وأنه لا يطمع في ان يظفر بادراك امله من الزواج بها . ثم يدل على ذلك بما كان من الحادثة التي كاد يقتل فيها ، والتي تولى امرها ابو العشائر ( وهو من قوم خولة ) ، ويذكر لسيف الدولة ان اهل خولة لن يدعوه ان يكون بينه وبينها صلة كما بلغه الوشاة فانتقل من معنى البيت الى قوله

«متى تزر قوم من تهوى زيارتها لا يتحفوك بغير البيض والاسل»

وهذه صفة ما لقي ابو الطيب في ذلك اليوم الذي رويناه لك ، فانظر الى هذا الانتقال الذي يدل دلالة واضحة على ما في ضمير الرجل ، وما كان من سبب تلك الحادثة التي كادت تودي بحياته ، ثم انظر الترفق في قوله « لا يتحفوك بغير البيض والاسل » وذلك لما بينه وبين ابي العشائر من المودة والحب ، فهو يجعل اداة القتل ( خفة ) ، وقد قال لابي العشائر في هذه الحادثة نفسها اياتاً تدل على حبه له ، وتقرب اليك بيان هذا المعنى ، وقد مضى ذكرها ، ويقول له في آخرها

« فان كان ينبغي قتالها ، يك قاتلاً بكفّيه ، فالقتل الشريف شريف »

وفي تلك السنة نفسها ( ٣٤١ ) يقول ابو الطيب ما نقلناه في رأس هذا الباب



« لعينيك ، ما يلتقى الفؤاد وما لقي وللحب ، ما لم يبق مني وما بقى »  
 فعلى ما نذهب اليه من شدة تأثير الحوادث في ابى الطيب ونفسه ، واستخراجه معاني شعره  
 من تلك الحوادث ، ومهجمه دائماً على ذكر الحوادث القريبة ، تجد في هذه القصائد ما يشير الى  
 هذه الواقعة وما لقي فيها من الكيد . والظاهر أن هذه الجفوة التي كانت في سنة ٣٤١ امتدت الى  
 اوائل سنة ٣٤٢ ، وكان من جرائها ان انقطع ابو الطيب مدة عن مدح سيف الدولة فاستبطأه  
 وتكرله ، فركب سيف الدولة يوماً في رجاله ، وقدم عليه ابو الطيب راكباً مهراً ، فلما سلم عليه  
 ازور عنه وأعرض فقال ابو الطيب

أرى ذلك القرب صار ازورارا وصار طويل السلام اختصارا  
 تركتني اليوم في خجلة أموت مراراً واحيا مرارا  
 أسأرك اللحظ مستحيلاً وأزجر في الخيل مهري سيرارا  
 وأعلم أني إذا ما اعتذرت إليك ، أراد اعتذاري اعتذارا  
 كفرت مكارمك الباهرا ت ، ان كان ذلك مني اختيارا

ثم يذكر له العلة في ذلك الانقطاع عن مدحه فيقول

( ولكن حمى الشعر — ألا القليل — هم حمى النوم ألا غرارا )  
 ( وما أنا أسقمت جسمي به ولا أنا أضرمت في القلب ناراً )  
 ( فلا تلزم مني ذنوب الزمان الي أساء وإيتاي ضارا )

وهذا الهم الذي يستقم الجسم ويضرم ناراً في القلب ، ولا يملك له الانسان رداً ، لا يكون إلا  
 هذا الحب الغنيف الذي تنقطع دونه إلا مال ، ولا يكون هذا الهم إلا ذلك ، فان ابا الطيب كان متمعاً  
 بكل شيء في ظل سيف الدولة فقد كان صاحب اقطاع ومال كثير قد أسبغه عليه سيف الدولة  
 وحسبك هذا من شعره وهو في جوار سيف الدولة ، ثم انظر الى أثر هذا الحب في شعره  
 بعد فراق سيف الدولة ، فانه أدل وأبلغ في الكشف عن سر قلبه . ولا بأس في ان نسرد لك  
 ذلك على ما وقع في ترتيب ديوانه

فمن آثار هذا الحب في شعر ابى الطيب ، ما وقع في القصيدة الاولى التي أنشدها كافوراً في  
 جمادى الآخرة سنة ٣٤٦ حين قدم عليه بالفسطاط . وقد رأيت قبل أننا لم تتعرض لعاطفة ابى  
 الطيب في شعره الى ان اتصل بسيف الدولة ، فاذا انت عدت الى شعره في ذلك العهد الاول  
 لم تجد فيه إلا قسوة وشدة وعنفاً ليس لشعر ، وقلما لان الرجل او ترقق إلا متكلفاً للغزل .  
 وكان قد فارق قبل سيف الدولة رجالاً احبهم وصحبهم وبذلهم مكنون صدره من الود ، ولم يظهر  
 في شيء من شعره بعد فراقهم اثر لهذا الفراق إلا قليلاً قليلاً . ولكنه حين فارق سيف الدولة



ودخل مصر ظهرت في شعره رقة لا عهد له بها ، ولا تكون العلة في هذه الرقة التي ظهرت فيه بعد ان جاوز الاربعين ، واستحكم واستمر مريره ، واستوت طبيعته على طريقة من القوة والتشدد والاستمساك — من أجل فراقه سيف الدولة وحسب ، فان ذلك الفراق بين ( الرجلين ) لا يعمل في تغيير الطبيعة المتأصلة كل هذا العمل . وليس لشيء من العمل في تغيير الطباع وتبديلها مثل ما للحب في القدرة على ذلك . وكان أبو الطيب حين فارق سيف الدولة ، يتلفت قلبه الى تلك التي خلفها من ورائه ، وخلف عندها قلبه وعواطفه ، فأثار ذلك في قلبه ذكرى وآلاماً ، جعلت الدنيا تضيق بها نفسه وتضجر منها ، فكان أول ما لقي كافوراً لقيه بالبيت الذي عدّه الادباء والنقاد من سوء أدب المتني ومن جفائه وغلظته ، وليس الامر على ذلك ، فان الرجل لم يكن جافياً ولا غليظاً ولا سيئ الادب ، ولا ضعيف البيان ، ولكنه كان كما حدثناك مرهف الحس ، تغلبه العاطفة على أمره فلا يملك لبيانه تصريفاً ، وتصرف عاطفته هذا البيان كما شاءت والعاطفة لا تعرف أميراً ولا كبيراً ، ولا تفرق بين لقاء الملوك ولقاء الصعاليك ، فلذلك رمى في وجه كافور بهذا

كَفَى بكَ دَاءً أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا      وَحَسَبُ الْمُنَايَا أَنْ يَكُنَّ أُمَانِيَا  
تَمْنِيَتَهَا لِمَا تَمْنِيَتْ أَنْ تَرَى      صَدِيقًا فَأَعْيَا أَوْ عَدُوًّا مَدَاحِيَا  
ثم يمضي ابو الطيب على طريقته حتى يرق رقة ، لو انت قابلت ديوانه كله لم تجد لها شيئاً ولا مثيلاً ، وذلك قوله في خطاب قلبه ، ذلك القلب الذي حطم فيه فراق خولة ، وهد بنين رجولته وقوته ( حَبَبْتُكَ قَلْبِي ، قَبْلَ حَبِّكَ مِنْ نَأْيٍ ، <sup>(١)</sup> )  
وقد كان غداً راءً ، فكن أنت وافيًا )  
( وَأَعْلَمُ أَنَّ الْبَيْسْنَ يُشَكِّيكَ بَعْدَهُ ،      فَلَسْتُ فَوَادِي إِنْ رَأَيْتُكَ شَاكِيَا )  
( فَإِنَّ دَمَوِعَ الْعَيْنِ غُذْرُ رَبِّهَا      إِذَا كُنَّ إِثْرَ الْغَادِرِينَ جَوَارِيَا )  
إذا الجود لم يرزق خلاصاً من الاذى      فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقياً  
وللنفس أخلاق تدل على الفتي      أكان سخاءً ما أتى أم تساخياً  
( أَقِيلُ اسْتِيقَاقَ أَيَّهَا الْقَلْبُ ، رُبَّمَا      رَأَيْتُكَ تُصَفِي الْوُدَّ مِنْ لَيْسِ صَافِيَا )  
( خَلَقْتُ الْوَفَا ، لَوْ رَجَعْتُ إِلَى الصَّبِي      لَفَارَقْتُ شَبِي مَوْجِعَ الْقَلْبِ بَاكِيَا )

فاقرأ الايات وتديرها ، وانظر في خطابه قلبه — على غير عادته — خطاباً رقيقاً متهدداً ذا زفرات ، وانظر اضطراب امره بين قلبه وفكره ، وبين عاطفته ورجولته ، يقول لقلبه : « لست فوادي ان رأيتك شاكياً » ثم يعود فيقول « خلقت الوفاً . . . » فليس في الايات حبه لسيف الدولة وحسب بل فيه نفحات من لوعة الحب الذي يستولى على القلب : حب المرأة التي



يهجرها الرجل وهو يعلم يقيناً أنه لا يهجرها وإنما يهاجر قلبه الذي بين جنبيه ويعانده ويرغمه . هذا وقد ظهر نفس هذا الأثر في كثير من شعر المتنبى ، ظهر في حكمته ظهوراً بيناً وذلك كقوله  
 ليت الحوادث باعني الذي أخذتُ مني ، بلحلي الذي أعطت وتجري  
 فما الحداثة من حلم بمناعة قد يوجد الحلم في الشبان والشيب  
 وهذا القول ليس من مذهب المتنبى في كلامه الاول الى فراقه سيف الدولة ، ومثل ذلك قوله  
 أودُّ من الايام ما لا تودُّه وأشكو اليها (يَسْنَا) وهي جنده  
 (يباعدن حبساً يجتمعن ووصله فكيف بحب يجتمعن وصدّه ؟)  
 (أبى خلاق الدنيا حبيباً تدعيه فما طابي منها حبيباً تردّه)  
 ثم تلفت المتنبى الى ما كان من فراقه خولة ومهاجرتها مراغماً لقلبه ، متكلفاً الصبر  
 والجلد فقال في عقب ذلك

(وأسرع مفعول فعات ، تغيراً تكلف شيء في طباعك ضده)

وكان أبو الطيب يظن ان في الفراق ما ينسيه خولة ويمحو من قلبه آثارها ، وقد فارق ،  
 وعلم ان ذلك لن يكون ، وان ما كان من اندفاعه ومراغمته عند اول الفراق إنما كان أمراً  
 يخالف طبيعة حبه التي وصفها في شعره قبل وهو عند سيف الدولة بقوله

إلام طاعية العاذل ولا رأي في الحب للعاقل  
 (يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل)

هذا .... واذا انت اخذت في دراسة شعره في المدح والحكمة في هذه الفترة ، وجدت آثار  
 هذا الحب الذي انقطعت منه آمال اللقاء والنظر والا بتسامة والتأطف ، وما رمى في قلب أبي الطيب  
 من الكبد والحسرة والاسف والحزن ، فأصبح كلامه وبيانه من تلك العواطف اليائسة التي انطوى  
 عليها قلبه ، واضطرب بها ضميره وفكره <sup>(١)</sup> ، وبذلك يميز شعره في هذا العهد عن شعره فيما سبقه  
 وتباين عنه تبايناً عظيماً

ويقول أبو الطيب يذكر فراقه سيف الدولة ومقدمه على كافور

فراق... ، ومن فارقت غير مذمم وأم... ، ومن يممت خير ميسم  
 وما منزل اللذات عندي بمنزل إذا لم أجعل عنده وأكرم  
 سجيّة نفس لا تزال مليحة من الضمّ ، مرمياً بها كل مخرّم  
 (رحات... فكم بالك بأجفان شادن علي!! وكم بالك بأجفان ضيغم!!) <sup>(٢)</sup>

(١) سيكون بيان ذلك تفصيلاً في بيت بيت وتصيدة تصيدة في موضعه من كتابنا عن أبي الطيب ، ونعذر  
 عن ذلك هنا ، لما ترى من تشعب الموضوع وسعته ، وما يقتضي من الوقت  
 (٢) الشادن ولد الغزال ، يريد به المرأة الغريزة الحسنة ، والضيغم الاسد



(وما ربة القُرْطِ المِلْحِ مكانه ، بأَجَزَ من ربّ الحسام المصم )  
 (فلو كان ما بي من حبيب مقنع عذرت ، ولكن من حبيب معمم )  
 (رحى ، وانتقى رمي ، ومن دون ما انتقى ، هوى كاسر كفى ، وقوسي ، وأسهمي )

فهو بالبيت الاول قد عين من أراد بهذه القصيدة . فالذي فارقه هو سيف الدولة ، والذي قصده ويمه هو كافور وعلى ذلك اتفق الشراح جميعاً ، فلما أتى البيت الرابع قال « رحلت » يعني رحلته عن حلب ، ثم ذكر بعده ما كان من جراء هذا الفراق وأبان عن الذي كان سبباً فيه ، وقابل في ذلك بين اثنين رجل وامرأة . فذكر بالكية تبكي على فراقه بعيني غزال ، وبالكيا يبكي بعيني أسد ، وجازعة لفراقه زيتتها قرطها الذي في أذنهما ، وجازعاً زيتته حسامه ، وقد اتفق الشراح ايضاً — ولا شك فيما قصده ابو الطيب — على انه قصد سيف الدولة بقوله « ضيغم » وقوله « رب الحسام المصم » . والمقابلة بين سيف الدولة وهذه المرأة دليل على صلتها بسيف الدولة وأبي الطيب ، ومعرفة سيف الدولة بهذه الصلة ، ولا نشك بعد ما رأيت انه عني بالبالكية الجازعة لفراقه « خولة » اخت سيف الدولة ، ثم قال بعد « ولو كان ما بي من حبيب مقنع عذرت » وصبرت على ما يصيبني منه لحبي اياه ، والاذى من المرأة المحبوبة ينزل من قلب المحب منزلة الرضا ، فهو لا يحمل على فراق ولا بين . ولكن الذي حملني على الفراق كون هذا الاذى انما اصابني « من حبيب معمم » هو سيف الدولة . ثم صرح في البيت الاخير مبيناً عن هواه فقال ان سيف الدولة رماه بسهمه ( يريد الاذى الذي اصابه منه ) ، واتفق بدرعه ان يرميه ابو الطيب بسهم مثله ، وهذا الاتقاء من سيف الدولة عمل لا محل له ، إذ كان يعلم يقيناً ان أبا الطيب لن يرميه جزاء له كما رماه ، لما في قلبه من حب خولة اخته وهواها الذي يحبس يده ويكسر كفه ، ويحطم قوسه ، ويدق سهامه

هذا . . . وقد رووا ان ابا الطيب اتصل به وهو بمصر ان قوماً نعوه في مجلس سيف الدولة بحب فقال قصيدة يذكر ذلك ولم ينشدها كافوراً ، وكان مما جاء في أولها قوله  
 لم التعلل...؟! لا أهل ، ولا وطن ، ولا نديم ، ولا كأس ، ولا سكن  
 أريد من زمي ذا أن يبلغي ما ليس يبلغه من نفسه الزمن !!  
 لا تلق دهرك إلا غير مكترث ما دام يصحب فيه روحك البدن  
 فما يديم سرور ما سررت به ولا يرد عليك الفاتت الحزن  
 ( مما أضر بأهل العشق أنهم هووا وما عرفوا الدنيا ، وما فطنوا )  
 ( تفتنى عيونهم دمعاً وأنفسهم في إثر كل قبيح وجهه حسن )  
 تحملوا... حملكم كل ناحية ، فكل بين علي اليوم مؤتمن



( ما في هوا دجكم من مهجتي عوضٌ إن مت شوقاً ، ولا فيها لها ثمنٌ )  
 يا من نعت على بعدٍ بمجلسه كلُّ بما زعم الناعون مرتين ،  
 كم قد قُتاتٌ ، وكم قد متُّ عندكم !! ثم انتفضت فزال القبر والكفن  
 وفي هذه الايات عندنا قول كثير نوحزه وعندُ منه أطرافاً تتفادى الاطالة ... ، في  
 الايات الاولى تأخذ عينك أثر الاحزان التي كانت في قلب الرجل متمثلة بصورة في شعره .  
 وتدبر عبارته عن آلامه بقوله « بَمِ التعلل » ... !! وهذا السكون الذي يعقب استفهامه وتعجبه ،  
 فهو بيان في غير لفظ ، ثم يعود الى القول فيقول « لا أهلك ولا وطن ، ولا نديم ، ولا كأس  
 ولا سكن » . فقد كان بمصر وليس بها أحد يسكن اليه الا ولده محسّد ، وهو مهاجر لا وطن  
 له ، وهو بمصر غريب لا صديق له ولا نديم ، وقد سئمت نفسه كل شيء حتى الكأس من الحمر  
 لا تسليه ولا تحركه ، ثم تم ذلك بلوعة قلبه إذ فقد سكنه وحييه الذي يسكن اليه ويأوي . ثم  
 مضى يتنقل في المعنى حتى انتقل من تجلده تارة ومن احزانه اخرى الى الداء الذي يسلب قلبه  
 ويسقيه فقال منتقلاً على عادته التي يدّنها قبل

مما أضرتُّ بأهل العشق أنهم هووا ، وما عرفوا الدنيا ولا فطنوا

( وهو بيان عن نفسه وما يحزُّ فيها من آلام ( خولة ) ، وما لقيه بعدها من  
 الاضطراب بين رجولته التي تأتي ان تخضع أو تضعف ، وبين عواطفه التي تأتي الا ان تخضع  
 لخولة ، وتتعبد بذكرها وهواها وآلام حبها . وكان من جراء هذا الاضطراب أن أنكر ( الرجل )  
 قلبه ، وقسا عليه وتغصّف به ، وذم له هذه التي قد توارى بها ، وهي التي أضرت به وأشقت  
 وعذبت له ، سفهاً وجهلاً منه اذ اراد ما لا يكون ، ولا تأتي به الاقدار ، ولا ترضى به التقاليد  
 الاجتماعية في هذه الدنيا ، كما ذكر في البيت الماضي ، فقال في عقب ذلك معانداً ومراً غماً لما في قلبه  
 « تفنى عيونهم دمعاً ، وأنفسهم في إثر كل قيسح وجهه حسن »

رحمك الله يا أبا الطيب . . . ثم انطاق يعاند قلبه ، ويذمُّ له خولة ، ولا ذنب لها الا ما  
 تكلفه هو بالفراق ، وإرادة نسيانها ، « وتأتي الطباع على الناقل » أن يكون ذلك . ثم انظر  
 خطابه بعد لسيف الدولة بقوله

من نعت — على بُعد — بمجلسه كلُّ بما زعم الناعون مرتين

فوربك إني لا أخل أبا الطيب قد قال هذا البيت وهو يبكي ، فإن في الشطر الاخير عبرات  
 من دمه لا تزال تجول فيه وتترقرق . فكلُّ ذلك آثارٌ يذنه على انتقال طبيعة أبي الطيب من  
 تكبرها وعتوها وزمستها الى حالة نفسية طارئة قد نفذت فيه آلامها وأهواها . فهو يعاني منها  
 ما يعاني ، ويضطرب لها ويهتز ويتلذذ ، حتى كان شعره بعد فراق سيف الدولة كثير الشكوى ،



خالطاً بالحزن والحسرة والالأم، وقد تنبه الى ذلك أبو الطيب نفسه فقال في قصيدة من مديحه لكافور  
 لحى الله ذي الدنيا مناخاً لراكب ! فكل بعيد الهم فيها معذب  
 ( ألا ليت شعري ، هل أقول قصيدة فلا أشكي فيها ولا أتعجب ؟ ! )  
 وبني ما يذود الشعر عني أقله ولكن قلبي ، يا ابنة القوم ، قلب  
 وهذا الذي به مما يذود عنه الشعر وينعه من أن يقوله ، هو الذي ذكره أولاً فيما تقدم  
 ولكن حمى الشعر — إلا القليل — هم حمى النوم إلا غراراً  
 وما أنا أسقمت جسمي به ولا أنا أضمرت في القلب ناراً  
 وهو حب ( خولة ) الذي ملأ قلب الرجل وأخذه وتقرّد به دون فكره وإرادته

..... فلما ماتت خولة رحماً الله في سنة ٣٥٢ بعد خروجه من مصر ، تغيرت طبيعة  
 أبي الطيب واسودت الدنيا في عينه ، وامتلاً قلبه حزناً ، وتقطعت نفسه عليها حسرات ، فكان  
 شعره بعد من هذه المادة ، وأول ذلك ما كان من شعره في القصيدة التي رثاها بها اذ يقول لسيف الدولة

فلا تملك الليالي !! إن أيدىها إذا ضربن كسرن التسع بالغرب  
 ولا يعين عدواً أنت قاهره فلهن يصدن الصقر بالحرب  
 ( وإن سررن بمحبوب فجعن به وقد أتينك في الحالين بالعجب )  
 ( وربما احتسب الانسان غايتها وفاجأتها بأمر غير محتسب )  
 وما قضى أحداً منها لباته ولا انتهى أرب إلا الى أرب  
 تخالف الناس حتى لا اتفارق لهم الألى شجب ، والخلف في الشجب  
 فقيل تخلص نفس المرء سالمة وقيل تشرك جسم المرء في العطب  
 ومن تفكر في الدنيا ومهجته أقامه الفكر بين العجز والتعب

وأعد قراءة الايات الثلاثة الاخيرة وتدبر نفس ابي الطيب فيها ، فهو يكاد ينقطع ويسقط  
 من العجز والتعب والفكر في الذي أعصابه بموت حبيبته خولة . فاذا اردت ان تعرف تمام حالة  
 ابي الطيب هذه ، وامتداد فكره فيها فاقرا قصيدته التي قالها حين توفيت عمه عضد الدولة بن بويه  
 في سنة ٣٥٤ والتي يقول فيها

نحن بنو الموتى ، فما بالنا نعا ف ما لا بد من شره ! !

لو فكر العاشق في منتهى حسن الذي يسييه لم يسبه  
 وبقي كثير من الاشارات الى هذا الذي في قلبه ، طوينا حتى يأتي أجله ، والله المستعان



يا رجاء العيون في كل أرض  
 لم يكن - غير أن أراك - رجائي  
 ولقد أفتت المفاوز خيلي ،  
 قبل أن نلتقي ، وزادي ومائي  
 فارم - بي حيث شئت مني ، فأني  
 أسد القلب آدمي الرؤاء  
 وفؤادي من الملوك ، وإن كا  
 ن لساني يُرعى من الشعراء

قد ذكر الرؤاة في موضع القول من فراق أبي الطيب حضرة سيف الدولة أسباباً موجبة لهذا الفراق ، كالذي يروون من أنه كان بحضرة سيف الدولة ، وفي المجلس أبو الطيب اللغوي ، وابن خالويه النحوي ، وجرت مسألة في اللغة بين أبي الطيب اللغوي وابن خالويه ، فتكلم أبو الطيب المتنبي ، وضعف قول ابن خالويه ، فأخرج ابن خالويه ( من كمه مفتاحاً من حديد ) يشير به إلى المتنبي ، فقال له المتنبي : ويحك ! اسكت ، فانك أعجمي ، وأصلك خوزي ، فمالك والعربية ! فضرب ابن خالويه وجه المتنبي بذلك المفتاح فأسال دمه على وجهه وثيابه . فنضب المتنبي من ذلك ولاسيا إذ لم ينتصر له سيف الدولة ، قولاً ولا فعلاً ، فكان ذلك أحد أسباب مفارقتة لسيف الدولة . وكالذي يروون من كيد أبي فراس له عند سيف الدولة بمثل قوله له : « إن هذا المتشدد ( يعني المتنبي ) كثير الإدلال عليك ، وانت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد . ويمكن أن تفرق مئتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره ، فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام وعمل فيه » فأعرض عن أبي الطيب لذلك

فهذه الروايات وغيرها — كما حدثناك قبل<sup>(١)</sup> — هي من الأحاديث التي تتناقها مجالس الأدباء ، ولا يراد بها التحقيق ، ولا ينظر فيها إلى صدق الرواية وسياق التاريخ وما إلى ذلك ، ولكننا نستفيد منها على علاقتها ، ونأخذ منها وندع ، ولا نطيل القول هنا بمقدها وتجزئتها ، فلذلك أحبه وموضعه إن شاء الله



والرأي عندنا ان فراق أبي الطيب لسيف الدولة مشكلة معقدة يطول تفسيرها وتبيانها على وجه معقول لا يتناقض ولا يختلف. ومختصره ان هذا الفراق كان لاسباب قد اقتضاها حب أبي الطيب خولة أخت سيف الدولة، وبقي أبو الطيب في جوار صاحبه وحبيته يتلذذ بالأم قلبه وفكره تسعة أعوام محرمة، وهو على عدة من سيف الدولة ان يحقق آماله فكره السياسية، وإماني قلبه وعواطفه بزواج خولة، ثم أدركه اليأس وظن أن في الفراق راحة له ونسياناً، وهو ما أشار إليه في قوله — على ما فسرناه به <sup>(١)</sup>

« وأسرع مفعول فعلت تغيراً تكلف شيء في طباعك ضده »

وقد حمّاه على ذلك ما كان يلقاه من الكيد والسعاية من قبل (قوم) خولة، كأبي فراس وأبي العشائر وغيرها، وما فعلوه من تحريض الادباء عليه كابن خالويه، واغراء الشعراء بغيظه ومنافسته والنيل منه حتى ضاق بهم فاستعدى عليهم سيف الدولة بمثل قوله

أزل حسد الحساد عني بكتبهم فأنت الذي صيرتهم لي حسداً

( إذا شدّ زندي حسن رأيك فيهم ضربت بسيف يقطع الهام مغمداً )

( وما أنا إلا سميري حلتته فزيّن معروضاً وراع مسدداً )

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً

فساربه — من لا يسير — مشمراً — وغنى به — من لا يغني — مغرداً

( أجزني إذا أنشدت شعراً، فأنما بشعري أذاك المادحون مردداً )

( ودع كل صوت غير صوتي، فاني أنا الطائر المحكي والآخر الصدى )

وقوله أيضاً في ذلك

أني كل يوم تحت ضبني شويعر ضعيف يقاويني قصير يطاول

وقد بين في هذه الايات أيضاً عن وشايات وسعايات كان يكاد بها لدى سيف الدولة من الطعن في نسبه، والتشهير به في خلقه وضميره

أنا السابق الهادي الى ما أقوله إذ القول قبل القائلين مَقول

( وما لكلام الناس فيما يرييني أصول، ولا للقائليه أصول )

أعادى على ما يوجب الحب للفتى وأهدأ والافكار في تجول

سوى وجع الحساد داو، فانه إذا حلّ في قلب فليس يحول



ولا تطمعن من حاسد في مودة وإن كنت تبديها له وتنبيل  
وإنا لنلقى الحادثات بأنفس كثير الرزايا عندهن قليل  
يهون علينا أن تصاب جسومنا وتسلم أعراضنا لنا وعقول

وقد كان يتولى امر هذا الكيد كله أبو فراس الحمداني ، وعندنا ان المنافسة في الشعر لم تكن هي السبب ، وإنما كانت ( خولة ) السبب الاكبر الذي جاب عليه كيد أبي فراس ، ثم أبي العشائر — مع أنه هو الذي قدمه الى سيف الدولة وقرّ به اليه على ما يقولون . وقد بلغ من ذلك أن أغرى أبو العشائر غلمانة بقتله ، وقد رأيت قبل أن أبا الطيب على ذلك لم ينقص حبه لأبي العشائر ولا ضعف . وهذا لأن الأمر لم يكن منافسة في شعر أو غيره ، وإنما كان غيرة من أبي العشائر على بعض حرمة ، وأبو الطيب كما حدثنا في موضع كان يضع ( الرجولة ) وتوابعها في المنزلة الاولى ، ويحب من عدوه أن يستمسك بعروتها ، فلذلك لم يحقد على أبي العشائر حين أخذته الغيرة على حرمة ، بل ازداد تعطفاً عليه وتلطفاً له ، على تكبره وتعاليه وعتوه ، حتى قال له

( ونفسي له — نفسي الفداء لنفسه — ولكن بعض المالكين عنيف )

فان كان يبغى قتلها ، يك قاتلاً بكفّيه ، فالقتل الشريف شريف

وبهذا يصبح لفراق أبي الطيب لسيف الدولة معنى يعقل ويعتمد عليه ويعتد به ، ثم تسبق حاله النفسية الظاهرة في شعره ، وتتساق معاني ديوانه متدرجة على أساس من نفسه وآلامها وآمالها وأشواقها ، وما أصابها من الكيد والعدوان ، وما منيت به من حرقة الحب ، ولوعة الحرمان خرج أبو الطيب من حب حيث كان سيف الدولة قاصداً دمشق ، وقد احتال لذلك حتى تم له الفراق قبل ان تدركه مكاييد أبي فراس وأصحابه وذلك في اواسط سنة ٣٤٦ . وكان يحمل بين جنبيه قلباً ممزقاً قد اعتورته السهام او كما قال

رماني الدهر بالارزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال

فصرت اذا أصابني سهام تكسرت النصال على النصال

وهان . . . فما أبالي بالرزايا لاني ما انتفعت بأب أبالي

فهو قد أصيب في آماله السياسية ، وأصيب في هوى قلبه ، وأصيب في حبة سيف الدولة ، وما كان يضمر له من الاخلاص والتوقير والود ، فانطوى على ما به ، محزوناً ضجراً ملولاً ، يتبرم بالدنيا ويضيق بها وبآهاتها ذرعاً . فلما وافى دمشق ودخلها ، كان بها رجل يهودي من قبل كافور ، كان أبو الطيب يستثقل ظله على قلبه ، وكان قد لقيه قبل في سنة ٣٢٧ حين نزل على صاحبه أبي



علي (هرون بن عبد العزيز الاوراجي) الكاتب ، فسوّلت نفس هذا اليهودي لارادته ورغبته ان يحمل ابا الطيب على ان يمدحه بعد ان مدح أمير الامراء سيف الدولة ، وتقذّر ابو الطيب هذا اليهودي وغيت به نفسه ، فسكنها بالاعراض عنه وازدرائه والتهاون به ، فغضب اليهودي (ابن ملك) غصبة يهودية ، حتى اذا ما كان من كافور ما كان ، من مكاتبته في طلب ابي الطيب ان يقدم عليه ، فعلمها ابن ملك ، وكتب الى كافور ان ابا الطيب قال : « لا أقصد العبد ، وان دخلت مصر فما قصدي الا ابن سيده » . ثم ضاقت دمشق بأبي الطيب ، فخرج منها يريد صاحبه الامير ابا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة الذي مدحه في سنة ٣٣٦ كما قدمنا ، فاستقبله وازله منزلاً كريماً وحمل اليه الهدايا النفيسة ، وخلع عليه الخلع الفاخرة ، وحمله على فرس بموكب ثقيل ، وقده سيفاً محلياً ، جزاء لما كان مدحه به اولاً ووفاء بالصحة . فكان كافور يقول إذ ذاك لاصحابه « أترونه يبلغ الرملة ولا يأتينا ! ! » . وبلغ ذلك ابا الطيب ، وأن كافوراً يجد عليه في نفسه ، ان يقصد عماله (كبن طغج) ولا يقصده ، وأتت ابن طغج كتب كافور في طلب ابي الطيب ، وكان ابن طغج فيما نرى رجلاً بصيراً داهية مترفقاً حلو اللسان مطاع الرغبة ، فأخذ يراد ابا الطيب ، وأبو الطيب يتعسر عليه ويضيق بطلبه ، لما تحمل نفسه من الضجر والتبرم ، وبعد لأي ما ظفر به الامير ابن طغج وحمله على المسير الى كافور . فلما قدم عليه امر له بمنزل ووكل به جماعة ، وظهر التهمة له ، وطالبه بمدحه فلم يمدحه ، فخلع عليه الخلع حتى أخرج به بكرمه ، فلم يجد ابو الطيب الذي يقول

« ومن وجد الاحسان قيداً تقيّداً »

بداً من ان يحمل نفسه على مدح هذا الأسود الخبي ، عليه يصيب عنده ما فاتته عند غيره من الفحول البيض . وعزى نفسه بذلك ، ولكنها أبت عليه ان تكون خالصة لكافور ، فرمت في وجه كافور بأبياتها لا أبيات ابي الطيب

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا  
تميتها لما تمنيت ان ترى صديقاً فأعيا ، او عدواً مداحيا

واستقبال كافور بهذين البيتين هجاء دونه كل هجاء فيه اقداع وخش وسخرية وتهكم . وبقي ابو الطيب بعد ذلك بمصر يَحْتال لامره ، ولا يزال ينفث في كل شعر ذات صدره من الالام والامال ، وألقى على شعره ظلاً من الحزن والفجعة والحسرة واليأس . ولكنه كان مع ذلك يجتهد في ان يظفر من كافور بولاية من الولايات يقوم عليها ليحرب نفسه بعد ان أخفق في عقد آماله على غيره . وكان أبو الطيب حين خرج من حلب ، خرج ومعه الخالديان (أبو عثمان سعيد بن هاشم وأخاه محمد) . وكانا يريدانه على أن يصحبهما الى العراق ، فيمدح الوزير أبا محمد المهلب ،



فأبى عليهما وخالفهما ، فذلك حيث يقول أبو الطيب يذكر ما كان من أمره وأمرها ، ويعرض  
بحاجة نفسه لكافور

وفي النفس حاجاتٌ وفيك فطانةٌ      سكوتي بيانٌ عندها وخطابٌ  
وما أنا بالباغي عن الحب رشوةً ،      ضعيف هوىً ينبغي عليه ثواب  
(وما شئت إلا أن أدل عواذلي      على أن رأيي في هواك صواب )  
(وأعلم قوماً خلفوني ، فشرقوا      وغربت ، أني قد ظفرت وخابوا)<sup>(١)</sup>

(إذا نلت منك الودَّ ، فالمال هينٌ ،      وكلُّ الذي فوق التراب ترابٌ )  
وما كنت — لولا أنت — إلا مهاجراً      له كلَّ يومٍ بلدةٌ وصحابٌ )  
ولم يكن أبو الطيب يؤمل من كافور ماله أو عطاياه أو هداياه ، فقد كان غنياً بما أعطاه سيف الدولة ،  
أو ما ادخره من عطائه وإقطاعه الذي كان له بالشام ،<sup>(٢)</sup> بل كان يريد أن يلي بعض بلاد الصعيد ،  
أو صيداء كما ذكروا ، وذلك ليحقق ما استطاع آماله السياسية التي تتراعى إلى غاياتها التي قدمناها  
قبل . وقد زعموا أن كافوراً قال له حين ذكر حاجته : « أنت في حال الفقر وسوء الحال وعدم  
المعين ، سمت نفسك إلى النبوة ، فإن أصبت ولايةً وصارك أتباعٌ فمن يطبقك » . وهذا من  
كلام الرواة وحسب . . . والذي نراه رايًا أن كافوراً كان يعلم يقيناً أن أبا الطيب لا يضمر  
له حباً ولا كرامةً ، بل كان يزدريه في نفسه ، وحسبه ما لطمه به في أول لقاء كما مرَّ بك ،  
وحسبه ما كان يذكر في مدحه له من الحنين إلى سيف الدولة وندمه على فراقه كبقوله  
أرى لي بقربي منك عيناً قريرةً      وإن كان قرباً بالبعد يشاب  
وأبين تعريضاً وأبلغ إفصاحاً عن حقارة هذا الأسود في نفس أبي الطيب ما يقول له في أول مديحه  
أغالبُ فيك الشوق ، والشوقُ أغلبُ      وأعجبُ من ذا الهجر ، والوصلُ أعجبُ  
والضمير في قوله ( فيك ) يرجع إلى سيف الدولة ، ويريد بالهجر مفارقه سيف الدولة ،  
وبالوصل مقدمه على كافور ، ثم يزيد فيقول بعد

أما ( تغايط ) الأيام فيَّ بأن أرى      ( بغيضاً ) تُناأي ، أو ( حيباً ) تُقربُ  
ولله سيري ، ما أقلُّ تميَّةً      عشيةً شرقيَّ الحدالى وغربُ  
عشيةً أحفى الناس بي ( من جفوتيه )      وأهدى ( الطريقين ) التي أتجنبُ

(١) يعني بالتشريق ذهاب صاحبه إلى العراق قاصدين المهلبى ، والتغريب مقدمه هو على مصر لمدح كافورا  
(٢) يذكر أن سيف الدولة تقدم إلى ( ديوان البر ) باخراج الحال فيما وصل به أبو الطيب المتنبى  
فخرجت بخمسة وثلاثين ألف دينار في مدة ( أربع سنين )



فالنظر الى نفس ابي الطيب في شعره ، ودقة بيانه بقوله ( أما تغلط الايام ) وهذا التصريح الذي وضعناه بين الاقواس يريد به سيف الدولة وكافوراً ، أقطنُ ان هذا كان مما يخفى على ( الاستاذ ) كافور ، وكان من علماء عصره وأدبائهم . وهل كان يخفى على كافور ما سخر أبو الطيب به في شعره من ذكر سواده والتعريض به ، وجعله من مادة مدحه له ، والانيان في ذلك بكل غريبة ونادرة ، مما يدل على تمكن الاصول البيانية في لسان أبي الطيب وقلبه . انظر الى قوله وهو يهني كافوراً ببناء الدار التي أقامها بإزاء الجامع الاعلى على البركة

نزلت إذ نزلتها الدار في أحسن منها ، من السنن والسناين  
وهذا لا بأس به ، ولكن تدبر التهمك العجيب في هذه الايات ، وذكر المستحيلات التي لا تقع ولا تكون ولا تتوهم إذ جعله ( شمساً منيرة ) ولكنها سوداء .... !!

تفضح الشمس — كلما ذررت الشمس — بشمس منيرة ( سوداء )

إن في ثوبك — الذي المجد فيه — لضياء يزرى بكل ضياء

وهذا الضياء هو سواده

إنما ( الجلد ) ملبس ، وايضا ض النفس خير من ايضاض القباء <sup>(١)</sup>

كرم في شجاعة ، وذكاء في بهاء ، وقدرة في وفاء

من لبض الملوك أن تبدل اللون ( بلون الاستاذ ، والسحناء )

ثم يجعله بعد ذلك ( رجاء العيون في كل ارض ) ، وذلك لانه عجيب من عجائب الدهر . وتدبر كل شعر الرجل في مدح كافور نجد أمثال ذلك يتنا دالا على نفسه ، وتنبه لالفاظ الرجل فانها هي التي كان يطوى تحتها معاني تهمكه بكافور كقوله « يا رجاء العيون » ، وتنبه إلى قلبه المعاني ، ولقها عن وجوها كقوله مثلاً

وما كنت ممن أدرك الملك بالمنى ولكن بأيام أشبن النواصيا

( عداك تراها في البلاد مساعياً وأنت تراها في السماء مراقياً )

وهذا البيت الاخير تعريض بسقوط همة كافور ، وليس بمدح . وكان حق المعنى ان يكون

( عداك تراها في السماء مراقياً وأنت تراها في البلاد مساعياً )

وذلك أن الاعداء يستعظمون ما كان من مملكة البلاد ، ويعدونه أمراً عظيماً كالرقي إلى

السماء — وذلك لحسد هم وعداوتهم التي تربو في صدورهم فتزجي في الواقع بالوهم فيتعاضم في العيون — ولكن كافوراً لبعده همة ، لا يراها أمراً عظيماً بل هي مساع في الارض لاجهد فيها إلا كيجهد

(١) تدبر قوله ( الجلد ) فهو هنا من أقبح الهجاء باللفظ قبل المعنى ، وكذلك قوله « لون الاستاذ والسحناء »



المتنبى . . . فهذا هو المعنى الذي قلبه ابو الطيب ببيانته القوى ، ليعرضه مدحاً . وهو ذمٌ بايخ وهجاء نافذ

فكان كافور يحيد فهم ذلك وينفذ الى اسراره ، ويبصّر به إن لم يكن قد ادركه ، فقد كان ابو الطيب وهو بمصر ملقى بالرزايا ، مقصوداً بالعداوة من اقوام بعضهم كانوا يمهّدون للدعوة الفاطمية ، وكانوا على صلة بكافور وثيقة ، يبدون له المحبة والاخلاص ، وهم يعملون على إهلاكه . وكان كافور يتقي ذلك بدهائه وحياته وخبرته السياسية فكان يهادي المعز لدين الله الفاطمي صاحب المغرب ويظهر ميله اليه ، وهو مع ذلك يذعن بالطاعة لبني العباس ويداري ويخدع هؤلاء وهؤلاء . وايضاً ما كان من عداوة الوزير أبي الفضل ابن حنزابيه (جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات) ، وكان عالماً فاضلاً له درس يلقيه وهو في وزارته ، وكان المتنبى لم يمدحه ولا عبأ به فلذلك عاداه ، وكاد له كيداً بالغاً حتى ان المتنبى ذكره بعد خروجه من مصر فقال

وماذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحكك كالبكا

بها (نبطي) من أهل السواد يدرس أنساب أهل الفلا

والنبطي هو هذا الوزير ، وكان عالماً بالانساب قائماً عليها ، ألف كتباً في أسماء الرجال والانساب ، وقصدته العلماء لذلك ، كالحافظ المحدث أبي الحسن الدارقطني ، قدم عليه من العراق وأقام عنده

وأقام ابو الطيب بمصر على كره الى ان ورد ابو شجاع فاتك غلام الاخشيدي (محمد ابن طنج) من الفيوم فلقية المتنبى بالميدان على رقبة من كافور . وكان فاتك عند مقدمه قد أهدى إليه هدايا قيمتها الف دينار فانشده قصيدته التي اولها

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

وقال له فيها يذكر ما كان منه

(وما شكرت لان المال فرحني  
لكن رأيت قبيحاً أن يجاد لنا  
لطفت رأيك في برّي وتكرمتي،  
وقد أطال ثنائي طول لابسـه  
سيان عندي إكثار وإقلال  
وأنا بقضاء الحق بحـال  
إن الكريم على العياء يحـتال  
إن الثناء على التنبال تنبال

يشير بالتنبال الى كافور ، . . . ثم يفر المتنبى زفرته من جوف قلبه

لولا المشقة ساد الناس كلهم ، . . الجود يفقر ، والإقدام قتال  
وأما يبالغ الانسان طاقته . . . ماكل ماشية بالرحل شمال  
إننا لفي زمن ترك القبيح به من أكثر الناس إحسان وإجمال



ذكر الفتى عمره الثاني . . ، وحاجته . . ما قاته . . ، وفضول العيش أشغال  
وكذلك كان أبو الطيب قد يئس من بقاءه في مصر ، وبرم بالمال وأصحاب المال ، وعزم على  
الرحلة من مصر ، فأعد له العدة ، واعتمد على الهرب بحياته ودهائه قبل أن يدركه كافور الذي  
أرصد له الرقباء وبث عليه العيون . وانتهز هذا الداهية الخبير البصير الفرصة في العيد يوم عرفة  
من سنة ٣٥٠ — وكان رسم كافور أن يستقبل العيد بيوم ( هو يوم الوقفة الآن ) ، وتعد  
فيه الخلع والحملانات والهدايا وأنواع المبارز لرابطة جنده ، وراتبة جيشه ، وصبيحة العيد تفرق  
وثاني اليوم يذكر له من قبل ، ومن رد واستزاد — فاهتبل المتنبى غفلة كافور واشتغاله بالعيد ،  
ودفن رماحه برأ ، وسار ليائه ، وحمل بغاله وجماله ، وهو لا يألو سيراً وسرى . وقطع في  
هذه الليلة مسافة أيام حتى وقع في تيه بني إسرائيل ، الى أن جازه على الحلل والاحياء  
والمفاوز المجاهيل ، والمناهل الاواجن . . . . فلما بلغ كافوراً الخبر بذل في طلبه ذخائر الرغائب ،  
وكتب الى عماله في سائر أعماله ولكن . . . . . يقول المتنبى

فربّما شفيت غليل صدري بسير أو قنّاة أو حسام  
وضاقت خطّة نخاقت منها خلاص الحمر من نسج الفسّاد





فلما أنحنّا ، ركّزنا الرما  
 ح بين مكارمنا والعلی  
 وبتننا نقبل أسیافنا  
 ونمسحها من دماء العدى  
 لتعلم مصر ، ومن بالعراق ،  
 ومن بالعواصم — أني الفی  
 واني وفیت ، واني أیت ،  
 واني عتوت علی من عتّا  
 وما كل من قال قولاً وفی ،  
 ولا كل من سیم خسفاً أبی

خرج أبو الطيب من مصر ، وقد اجتواها ، وبغضت اليه هذه الحياة الفاسدة التي بها وبغيرها  
 من البلاد العربية ، والتي وصفها في قصيدته حين مرض بالحمى وهو بمصر فقال . . . .

( ولما صار ودُّ الناس خباً جزيت على ابتسامٍ بابتسامٍ )  
 ( وصرت أشك فيمن أصطفيه لعلمي أنه بعض الأنام )  
 يحبُّ العاقلون على التصافي ، وحبُّ الجاهلين على الوسام  
 ( وآتف من أخي لأبي وأمي إذا ما لم أجده من الكرام )  
 أرى الاجداد تغلبها كثيراً على الاولاد أخلاق اللثام

وتنازعت قلب أبي الطيب كل اسباب همه ويأسه ، همُّ الحب ويأسه من اللقاء ، وهمُّ السياسة  
 ويأسه من إدراك المطالب وتحقيق الآمال ، واثبت كل ذلك في قصيدته التي قالها يوم خروجه

من مصر ، فتدبرها وفصلها على ما رسمنا فيما مضى . . . . يقول

عيدٌ بأية حالٍ عدت يا عيدُ بما مضى أم لامر فيك تجديدُ  
 أما ( الاحبة ) فالبيداء دونهم ( فليت دونك يداً دونها بيد )

لم يترك الدهر من قاي ولا كبدي شيئاً تتيّمه عين ولا جيد



يا ساقِيَّ ! آخرُ في كؤوسكما  
أصخرة أنا ؟! مالي لا تحركني  
إذا أردت كمت اللون صافية  
ماذا لقيت من الدنيا !!... وأعجبه  
أُسميت أروح مثر خازناً ويداً..  
أنا الغني .. وأموالي المواعيد

ثم يخاطب أبو الطيب إلى ذم مصر وأهلها ، ووصفهم بالكذب والمأطلة ، وما كان من ولاية  
كافور الاسود الخصي عليها ، وما كان يجري من المكر فيها وفي سياستها ثم يهجو كافوراً بأفحش  
الهجاء ، ثم يذكر هم نفسه وفراق سيف الدولة وذلك قوله  
أولى اللثام كسوفير بمعدرة في كل لؤم ، وبعض العذر تنقيد  
وذلك ، أن (الفحول البيض) عاجزة عن الجميل ، فكيف (الخصية السود) !!

ونحن نقدّم العذر لأبي الطيب فيما ذمّ به مصر ، وما ذكر من أخلاقها ، فقد كان الرجل  
منكوباً في نفسه وآماله ، وقلبه وهواه ، وزاده القوم كيداً ، وأثبت عليه هذا الاسود كافور  
عداوة باغية ، وهو الذي أقدمه على مصر بطلبه ، وقد أعذر أبو الطيب بمدحه إياه أيّاً كان ،  
بعد أن كان في جوار أمير العرب سيف الدولة . هذا . . . وليس يمنعنا من شهادة الحق —  
ولو على أنفسنا — ما يأتي به بعض الناس من الغضب الباغي (للقومية) ، وقد ذكر أبو  
الطيب عيوباً لا تزال متأصلة في مصر ، ولا خير في الغضب من ذكرها ، بل الخير كل الخير في  
معرفةا والتنبه لها والعمل على إصلاحها . والحقيقة التي لا تجحد أن أبا الطيب قد نفذ بصيرته إلى  
ما كان يسلم مصر ويقتتها من الخلق الفاسد ، وقد كشف عنه في قصائده التي قالها في هجاء كافور  
ومدح فاتك ورثاءه . وليس أبو الطيب وحده هو الذي عرف ذلك وأدركه بل قد عرف ذلك  
كثير من أهل عصره ، وإذا أنت قرأت التاريخ الذي بين أيدينا ، وقفت على ذلك وعلمت أن  
الرجل كان بصيراً نافذاً إلى ضمائر الناس يحلوها ويكشف عنها . ولا بأس هنا من أن نذكر لك  
أيّاناً قد قالها القاضي التوخي الكبير حين قدم هو أيضاً مصر وخرج منها كارهاً يقول

تركنا أرض مصر لكل فدم  
نفوس لا تليق بها المعالي  
أقمت بها . . . ومن محن الليالي  
أقول : وقد نأوا ، بعداً وسحقاً  
وكم خالفت من كرم مهين  
وأجسام مسمّنة شباع  
له باع يقصر عن ذراع  
وأخلاق تضيق عن المساعي  
مقام الأسد في كهف الضباع  
لشر الخلق في شر البقاع  
بعرضتها ، ومن عرض مضاع  
وأحساب مضمرة جياع



وَنَقَصَ فِي أَكْبَرِهَا حَضِيضٍ وَجَهَلٍ فِي أَصَاغَرِهَا مَشَاعٍ  
لَقَدْ نَامَتْ سِرِيرَتُكُمْ وَكَانَتْ فَضِيحَتُكُمْ قَنَاعًا لِلْقَنَاعِ  
جَعَلْتُمْ ذُنُوبَنَا أَنَا سَمْعًا... وَمَا إِلَّا ذَاتُ إِلَّا لِلِسَمَاعِ

وهذا ليس مما يقضب منه ، فإن في التاريخ من امثال ذلك ما لا يدفع ، وقد كانت في مصر لذلك العهد ، وفي غير مصر ، اخلاق فاسدة هي التي عصفت بالمجد العربي وأضاعته بين ذئاب الا عاحم وغيرهم حتى صرنا الى ما نحن فيه الآن . فهذا الغضب التاريخي لا محل له ولا وجه ، الا القصور في معرفة التاريخ . هذا .... وليس بمنكر أن تكون هناك فضائل أخرى تلطّف هذه العيوب وتخفف منها فتنسى في جانبها ، ونخفي صورتها في ظلّها

... سار ابو الطيب يطوي الفلوات بماله ورجاله ورماحه وخيله ، هارباً من كافور وما أتبعه من الطلب ، وقطع في سيرة الفلاة ما بين مصر وطور سيناء خائفاً يترقب ، وتراءت له ايامه كلها بأهوالها وغفلاتها ، وحسناتها وسيئاتها ، واضطربت نفسه وعات امواجها ، وأدركته رجولته وفتوّته ، حين لفحته هبات الهجير وقد نصب لها حُرّاً وجهه ، وتنسم من سماءها التي اعتادها في اول ايامه قبل أن يستقيم الى بعض الدعة ، ويركن الى غفلات الراحة ، وكذلك غاب ما كان به من اليأس والضجر ، ومد ذراعيه يستمسك بالحياة ، يبغي الظفر وتحقيق الامل . ومن هنا قال في قصيدته التي ذكر فيها راحته عند وروده الى الكوفة .... يصف النوق التي نجح على ظهرها

ولكنهنّ ( حبال الحياة ) ، و ( كيد العداة ) ، و ( تميّط الأذى )  
ضربت بها التيه ضرب القمار ، إما لهذا وإما لذا  
إذا فزعت قدمتها الحيات ، ويض السيوف ، وسمر القنا

وقلنا لها ابن ارض العراق فقالت — ونحن بتراب — : ها  
ولم يكن ابو الطيب في مخرجه هذا يريد مكاناً بعينه يقصده ، بل كان متردداً بين ان يقصد المدينة ويقيم بها ، او يقطع في راحته الفلاة الى نجد ، او ينحدر الى العراق . ولعله كان يتأفف الاخبار وهو في طريقه حتى يرى رأيه في قصده ، ويتقي شر الكيد الذي كان يكاد به طول عمره من جراء السياسة ، ومن أجل تقحمه على أصحاب الدسائس متهاوناً بهم ، والظاهر (١)

(١) قد حاولنا أن نهتدي في ظلام التاريخ الى وجه من الرأي فلا نقرر الاّ شيئاً ، فان ذلك يقتضي التقيب في تاريخ العلويين خاصة في ذلك العهد ، وما كان لهم وما كان منهم . والكتب التي بين أيدينا من التاريخ ناقصة ، ومفترقة . فإذا تم لنا شيء من السند التاريخي فحينئذ نقدم على القطع برأي من أمر مدخله الكوفة . هذا على أن في أيدينا أشياء ولكنها لا تكفي في الدلالة على الوجه الصحيح



من شعر أبي الطيب أنه لا مـ اعتمد الرحلة الى الكوفة ودخولها . وقد رأيت قبل في خبر موت جدته أنه حين أراد دخول الكوفة ليراها ، منعه العلويون — فيما ذهبنا اليه — وحملوه على مفارقة جوارها الى بغداد ، فكان من جراء ذلك ما استعان — في قصيدته التي يرثي بها جدته — من الحدة والتهور والثورة ، والتعريض بما أريد به من الظلم والظيم ، فكان مما قال

لئن لَدَّ يومَ الشامتين يومها      لقد ولدت مني ( لا تفهم رغما )  
تغرَّبَ لا مستعظاً غير نفسه      ولا قابلاً الا لحالقه حكماً  
ولكنني مستنصرٌ يذبابه      ومرتكبٌ في كل حال به الغشما  
وجاعله يوم اللقاء مُحَيَّتِي      وإلا فلست (السيد البطل القرما)  
(إذا فل عزمي عن مدى خوف بعده      فأبعد شيء ممكن لم يجد عزما)  
ولاني لمن قوم كأنت نفوسهم      بها أنفٌ أن تسكن اللحم والعظما  
(كذا أنا يادنيا ، إذا شئت فاذهي ،      ويأنفسُ زيدي في كرائها قدما)  
(فلا عبرت بي ساعة لا تعزني      ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما)

وقد قلنا ثم أنه أراد بالشامتين الذين كان لانوفهم (رغما) — العلويين ، وأنه أنذر وأوعد وهدد يريدهم بذلك ، لما أزلوه به من الكيد له حتى خفيت نسبته إلى الشجرة العلوية المباركة . ولم يزل أبو الطيب يسر ذلك في نفسه ، وهو في كل مرة يلقي من العلويين كيداً كثيراً ، كما رأيت من إرصادهم لقتله بكفر عاقب

فالآن ، يتمكن أبو الطيب — بعد استمرار عزمته ست عشرة سنة (من سنة ٣٣٥ إلى سنة ٣٥١) — من دخول الكوفة ، بعد أن حيلَ بينه وبينها في موت جدته ، وقد لقي في هذه السنوات من المصائب والأرزاء ما فتّ حيناً في عضده ، وما رمى في قلبه بالعزم والقوة حيناً آخر . يدخل الكوفة وقد رغمت أنوف من منعه عن دخولها أولاً ، ومن فارق الكوفة وتغرَّبَ غير قابل لما أرادوه عليه من ظلمهم له . . . فيقول

فلما أنحنا ركزنا الرماح ، بين (مكارمنا) والعلی

فانظر إلى قوله (مكارمنا والعلی) ، أتكون (مكارمه والعلی) هذه هي السقاة وما إليها؟ إذ تكذب عليه القوم فزعموا أن أباه كان (سقاء بالكوفة على بعيره) . والعجب أن يذكر أبو الطيب هذه المكارم والعلی وهو مقيم بالكوفة ، التي كان بها من يعرفه من لداته الذين كان معهم في المكتب وهو صغير . إن يكن ما زعموا . . . فتباً (لابن السقاء) هذا من شيخ لا يستحي من الله ولا من الناس ! ! هذا ، وفي الآيات التي تلي هذا البيت نفحة من نفحات الصدق ، وصورة من قوة العزيمة ، وكرم العنصر ، وعزة نفس تميز في ألفاظها ، لا قبل لكذاب ولا دعي



بأن يجعلها تراءى في كلامه واضحةً بينةً سَمَحَةً مستعانةً . . . يقول  
 وبتنا نَقْبَلُ أَسَافِنَا وَنَمْسَحُهَا مِنْ دَمَاءِ الْعِدَى  
 لتعلم مصر، ومن بالعراق، ومن بالعواصم، أني الفتى  
 ( وأنّي وفيتُ، وأنّي أبيتُ، وأنّي عتوتُ على من عتا )  
 ( وما كل من قال قولاً وفى ولا كل من سيم خسفاً أبى )  
 ( ومن يك قَبْ كَقَابِي له يشقُّ إلى العزِّ قَاب التَّوَى )  
 ( ولا بدّ للقلب من آله ورأيي يصدّع صمّ الصفا )  
 وكل طريق أتاه الفتى على قدر الرجل فيه الخُطى

وفي قوله « وأنّي وفيت » البيتان اشارات بينة إلى ما مضى في كلامنا عن نسبه وغيره ،  
 لا تطيل باعادتها هنا مرّة أخرى . وكذلك أرغم أبو الطيب أنوف أعدائه جميعاً ، وأراهم أن  
 عزمه لا يزال ماضياً متقدماً لا يردُّ على بعد الشقة وتطاول الايام ، وانه قرب اليه ما كانوا يباعدونه  
 عنه بهمكهم وسخرتهم به إذ قالوا « ما أنت في كل بلدة ! ، وما تبغى ؟ » . . وقد صدق إذ قال  
 إذا فلّ عزمي عن مدى خوف بعده فأبعد شيء ، ممكن لم يجد عزمنا

لم يرد في خبر أبي الطيب ومدخله الكوفة في شهر ربيع الاول من سنة ٣٥١ هـ شي يمكن ان  
 يتوجه به التاريخ في هذه الفترة الى وجه بعينه . والذي في رواية الرواة انه توجه بعدها الى  
 مدينة السلام ( بغداد ) ولكن من قبل رحلته حدث بالكوفة حدث حضره المتنبى ، وذلك  
 ان رجلاً خارجياً كان قد ثار بالكوفة ، وكان من بني كلاب ، واجتمعت اليه فئة من المقاتلة الخوارج  
 فاتهمهم أبو الفوارس دليّ بن لشكر روز ، وانصرف هذا الخارجي قبل وصول دليّ  
 إلى الكوفة فمدحه أبو الطيب ، وأنشده وهو في الميدان ، فحمله على فرسٍ بمركب ذهب . ولسنا  
 نعرف سبباً لمدح أبي الطيب هذا الرجل ( دليّ ) ، ولم يرد في كتب التاريخ التي بأيدينا ذكر  
 هذا الحادث ، ولا ذكر الخارجي الذي ثار بالكوفة في سنته تلك . وهذا مما يجعلنا نأخذ الحذر  
 في القطع برأيي ، والظاهر أن لهذا الرجل ( دليّ ) علاقة بالمشاكل العلوية التي كانت لذلك العهد  
 بالكوفة ، وانه كان ممن يميلون الى الجانب الذي فيه سيف الدولة وأبو الطيب ، فان نفس أبي  
 الطيب كما رأيت كانت نفس الرجل المنتصر الظافر الذي خرج من هوج العواصف سالماً غالباً  
 كما مرّ بك في قوله

فلما أنحنّا ركرنا الرماح بين مكارنا والعلی



أقام أبو الطيب بالكوفة أشهراً ثم خرج من سنته تلك إلى بغداد فنزل على صاحب له هو علي بن حمزة البصري<sup>(١)</sup> ، وأقام عنده في داره . ويـنـ من زول أبي الطيب على هذا الفتي دون سواه من رجال الدولة في ذلك العهد ، أنه قصد بذلك أن يبيد بفعله ازدراءه لهم ، واستهانتهم به . ولعله كان مما أراد أيضاً أن يكون على مقربة من سياسة الدولة ، ليخبر الرجال الذين كانوا يوقدون نار الفتنة إذ ذاك ، وليروّز ما عندهم . وهذا يـنـ مما قدمناه قبل<sup>(٢)</sup> من المراسلة التي كانت بينه وبين سيف الدولة . ويـنـ أيضاً أنه كان متعلماً عند أهل السياسة في ذلك العهد أن أبا الطيب كان مـقـدمه من أجل ذلك ، فقد ذكر الحاتمي<sup>(٣)</sup> (صاحب الرسالة الحاتمية) أن معز الدولة بن بويه الديلمي<sup>(٤)</sup> (سأه) أن رد على حضرته رجل صدر عن حضرة عدوه (يعني سيف الدولة) . ثم أن أبا الطيب لم يقف أمره عند ذلك بل قد رغب إليه جماعة من أصحاب الوزير المهلب أن يمدح الوزير ، فأبى عليهم أبو الطيب وجههم بأسوأ الرد . وكان السبب في سوء ردهم أن أبا الطيب كما علمت لم يكن يرضى أبداً عن هؤلاء الاعاجم الذين مزقوا الدولة العربية وتقاسموها بينهم — ونعني منهم هنا بني بويه — وكان المهلب وزير معز الدولة ، وكان مشايخاً لهم في كثير ، وعلى أن مشايخة الوزير المهلب لبني بويه كانت — فيما نرى — ارتفاقاً للرزق فإن أبا الطيب لم يعبأ به ، بل أغضى عنه تهواناً وازدراءً . فأحفظ ذلك الوزير المهلب فأسد عليه الأدباء والشعراء وأغراهم به ليعيظوه ويكيدوا له ، ويغلظوا له القول في مجلسه . فكان ما رأيت قبل من هجائهم إياه وزعمهم أن أباه كان سقاءً بالكوفة كما ورد في الشعر الذي قدمناه في أول الأبواب . ولا يفوتك هنا أن تعلم أن التروخي الذي روى قصة نسبه كان بالعراق لذلك العهد ، وإيضاً أن ابن أم شيدان الهاشمي ، وأبا الحسن العلوي كانا كذلك ببغداد . وقد رأيت في الباب الأول كلامنا عن هؤلاء وما ادّعوه من أن أباه كان سقاءً ، فاجتماع هؤلاء ببغداد ، ومقدم أبي الطيب عليها من أجل السياسة ، وهو عدو بني بويه ، إذ كان من أصحاب سيف الدولة ، ورجلاً من الذين اتخذهم لسره وآرائه السياسية ، ثم ما كان من امتناعه عن مدح الخليفة العباسي ، ومعز الدولة الديلمي (العلوي الفاطمي) المذهب ، وازدرائه لوزير معز الدولة (أبي محمد المهلب) ، ثم ما كان من عداوة الشعراء والأدباء له باغراء المهلب وغيره ، نقول : إن هذا كله مما يجعلك تستيقن فساد الروايات التي يرويها الرواة عن أمر المتنبى وحياته ، وخاصة ما كان ظاهر التحامل ، يـنـ الضغينة... عفا الله عنهم !! لقد رءوا الرجل بكل نقيصة ، ووضعوا لكل ما كان يتمدح به في شعره قصة تخالف ذلك : رأوا المتنبى يتمدح بالكبرم ويمدح عليه فوضعوا القصص في نخله وشرأهته على المال ، ورأوه يمجّد الرجولة والشجاعة ويصف بهما نفسه ، فوضعوا



الأكاذيب في حكايات جُبْسَنه وخوره . . . . إلى غير ذلك من الأحاديث التي لا تصالح لتحقيق ولا ترجمة

وبقي أبو الطيب ببغداد مستهيناً بكل كيد وحقْدٍ ، وأخذ يقرأ ديوانه على بعض أصحابه بدار علي بن حمزة البصري . ثم فرغ من أمره ورجع إلى الكوفة في أواسط سنة ٣٥٢ وبقي بها ، ولم يقل شعراً بلغنا ، إلى أن بدأت سنة ٣٥٤ فارحل إلى بغداد وكان الوزير المهلب قد مات والظاهر من أمر أبي الطيب أنه حين بلغه وهو بالكوفة في سنة ٣٥٢ موت خولة أخت سيف الدولة ، تمزقت أحلامه ولم يبق له قلب يمدُّه بالقوة والتدفع والثورة ، كالذي كان له من قبل ، واستيأس من أمره إلا قليلاً . فلما جاءه كتاب سيف الدولة في ذي الحجة من سنة ٣٥٣ يذكر العوائق التي تمنعه عن فتح العراق ، ويبيِّن له ما هو فيه من الكرب والضيق والعُسْر على ما قدمنا في شرح قوله (١)

« فهمت الكتاب ، أبر الكتب فسمعا لأمر أمير العرب »

أحيط بأبي الطيب ، وأسلمت نفسه قيادها لأحزان قلبه ، فلم يحمل نفسه على الرحلة إلى سيف الدولة لئلا يذكره المكان وأهله ، بمكان قلبه والسآكنيه ، نغي خولة ، فأراد أن ينسى همه بقصد أرض غير الشام التي يتلفت قلبه إليها في حنين وأنين وبكاء . وكان أبو الفضل بن العميد (٢) وهو بالري يخرج كل عام خرجتين إلى أرجان فبلغه مقدم المتني إلى بغداد فراسله ، وعزم عليه في الحضور إليه بأرجان . وقد زعموا أن ابن العميد (كان يسمع بأخبار أبي الطيب — وكيفية اشتهاؤه في الاقطار ، وترفعه عن مدح الوزراء ، فسمع أنه خرج من مدينة السلام متوجهاً الى بلاد فارس ، وكان يخاف أن لا يمدحه ، ويعامله معاملة المهلب — فيتكره من ذكره ، ويعرض عن سماع شعره) . والصحيح من هذا أن ابن العميد كان يخاف أن لا يعاب به المتني فراسله وأسبغ عليه من فواضله . فضى أبو الطيب في سيره من بغداد الى أرجان يصحبه تلميذه علي بن حمزة البصري . قال علي هذا : « فلما أشرف عليها (أبو الطيب) وجدها (يعني أرجان) ضيقة البقعة والدور والمساكن ، فضرب يده على صدره وقال : تركت ملوك الارض وهم يتعبدون بي ، وقصدت رب هذه المدرة . . . ! فما يكون منه !! ثم وقف بظاهر المدينة وأرسل غلاماً له على راحته إلى ابن العميد فدخل عليه وقال : مولاي أبو الطيب المتني خارج البلد — وكان وقت القيلولة ، وهو مضطجع في دسسته — فثار من

(١) ص ١٢٧ (٢) هو محمد بن الحسين بن محمد الكاتب وزير ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي ، وكان عالماً أدبياً فصيحاً ذا بيان ، وكان من أئمة التمرسل ، وقد سمي بالجامع الثاني ، وكان من دهاة السياسة وتدير الممالك



مضجعه ، واستبته ، ثم أمر حاجيه باستقباله ، فركب واستركب من لقيه في الطريق ، ففصل  
عن البلد بجمع كثير فتلقوه وقضوا حقه وأدخلوه البلد . فدخل على أبي الفضل فقام له من  
الدست قياماً مستوياً ، وطرح له كرسي عليه مخدة ديباج ، وقال أبو الفضل : كنت مشتاقاً إليك  
يا أبا الطيب ... » وكان دخول أبي الطيب أرجان ولقاؤه ابن العميد في شهر صفر سنة ٣٥٤

كان ابن العميد من رجال عصره في السياسة وتدير الملك ، ومن شيوخهم في العلم والفلسفة  
وما اليهما ، ومن أفذاذ البغاء والادباء ، وكان أمة وحده . فلا عجب أن يحتفل له بيان أبي الطيب  
احتفالاً عظيماً في أول اللقاء فيمدحه بقصيدته المشهورة « بادِ هواك صبرت أم لم تصبرا »  
والتي يقول فيها يصف ابن العميد

من مبالغ الأعراب أني بعدها جالست رسطاليس والاسكندرا  
وسمعت بطايموس دارس كتبه متملكاً متبدياً متحضرًا  
ولقيت كل الفضالين كأنما ردَّ الآلهة نفوسهم والاعصرا

وأكرمه ابن العميد واحتفل له ، فبقي عنده المتني شهرين أو أشف قليلاً . وكان المتني ،  
وهو في جوار ابن العميد ، لا يزال يعاوده همُّ قلبه ويغلبه اضطراب نفسه ، فكان ذلك في شعره ،  
ولكنه كان يماسك على الضعف ، ولا يعطى المفادة إلا متهوراً . وقد وقع ذلك في قصيدته التي مدح  
بها ابن العميد ، وفطن ابن العميد إلى هذا الاضطراب . روي أنه لما أنشده

بادِ هواك ، صبرت أم لم تصبرا وبُكك ، إن لم يجبر دمعك أو جرى  
كم غرَّ صبرك وابتسامك صاحباً لما رآك ، .. وفي الحشا ما لا يرى !!

فقال له ابن العميد : يا أبا الطيب ، أقول « بادِ هواك » ثم تقول بعده « كم غرَّ صبرك » ؟ ما أسرع  
ما نقضت ما ابتدأت به !! فكان جواب أبي الطيب : « تلك حال ، وهذه حال » وهذا هو ما نقول  
به ... فان أبا الطيب كان يذكر خولة أحياناً فلا يخفي هوى ، ولا يردُّ دمعاً ، وتطلق عواطفه  
من عقل رجولته ، فاذا ما ارتدت إليه قوته وأرادته ، ردَّ ذلك رجولته وأبدى الصبر ،  
واظهر الابتسام والرضى . وهذه حالة من أحوال الحب الطاعني المسيطر ذي الساطان والغلبة .  
وظهورها في شعر أبي الطيب في بيتين متعاقبين ينقض معني أحدهما معنى الآخر كما قال ابن العميد -  
دليل على أن الرجل كان أخيداً في أسر الهوى لا يملك نفسه ، ولا يجد في تناقض معاني البيتين  
شيئاً . وذلك لأن هذا التناقض الذي نراه في معاني شعره يكون عنده اتساقاً في معاني عواطفه  
وجبه ، وتعبيراً بائناً صادقاً عن إحساسه وضميره وحاجة نفسه .. فهذا قوله : « تلك حال ، وهذه حال »  
وانظر ... فان الرجل حين ودع ابن العميد قال



ومن لي يوم مثل يوم كرهته<sup>١</sup>      قربت<sup>٢</sup> به عند الوداع من البعد  
 (وَأَلَّا يَخْصَّ الْفَقْدُ شَيْئًا، .. لَانِي      فقدت<sup>٣</sup>، فلم أفقد<sup>٤</sup> دموعي ولا وجدي )  
 تَمَنَّيَ يَلْذُ الْمُسْتَهَامُ بِذِكْرِهِ      وان كان لا يغني فتيلًا ولا يجدي  
 وغيظ<sup>٥</sup> على الايام ، كالنار في الحشا،      ولكنه غيظ<sup>٦</sup> الاسير على القيد<sup>٧</sup>

وهذه الاشارة التي في البيت الثاني بقوله ( لاني فقدت .. ) هي الى صاحبه خولة التي ماتت في سنة ٣٥٢، فلم ينسها بل بقي مضطرباً مغلوباً على امره لا يستطيع الصبر تأرة فتغلبه دموعه، ويتجاهل أخرى بصره فينطوي على وجده ولوعته، ... والنار التي في حشاه





مغاني الشعب طيباً في المغاني  
بمنزلة الريح من الزمان  
ولكنّ الفتى العربيّ فيها  
غريب الوجه واليد واللسان  
ملاعب جنّة ، لو سار فيها  
سليمان لساو بترجبان  
إذا غنى الحمام الورق فيها  
أجابته أغني القيّان  
ومن بالشعب أحوج من حمام  
— إذا غنى وناح — إلى اليان  
وقد يتقارب الوصفان جداً  
وموصوفاهما متباعدان

ورد على أبي الطيب — وهو عند ابن العميد — كتاب من عضد الدولة بشيراز يسّره  
ويطلب منه المسير إليه ، ولم تكن لأبي الطيب رغبةٌ تحمله ، فلم يخفّ إلى استدعائه . فكلّمه  
ابن العميد في ذلك فقال له : مالي ولديلم ؟ فقال له : عضد الدولة أفضل مني ، ويصلك بأضعاف  
ما وصلتك به . فقال أبو الطيب : اني ماسق من هؤلاء الملوك ، أقصد الواحد بعد الواحد  
وأملكهم شيئاً يبقى بقاء النيران ، ويعطوني عرضاً فانياً.... ولي ضجرات واختيارات ، فيعوقوني  
عن مرادي ، فأحتاج إلى مفارقتهم على أقبح الوجوه !! فكتب ابن العميد عضد الدولة بهذا الحديث ،  
فورد الجواب بأنّه مملكٌ مراده في المقام والظعن . فسار المتنبّي من أرجان ، فلما كان على  
أربعة فراسخ من شيراز ، استقبله عضد الدولة بأبي عمر الصبّاغ ، فلما تلاقيا وتسايرا ، استشهده .  
فقال المتنبّي : الناس يتناشدون ، فاسمعه . فاخبره أبو عمر انه رسم له ذلك من المجلس العالي . ثم  
دخل البلد فأنزل داراً مفروشة ، وأنشد أبا عمر قصيدته التي قالها في الكوفة والتي قال فيها  
فلما أنحنّا ركزنا الرماح بين مكارمنا والعلى



وبتنا نقبل أسيفنا ونمسحها من دماء العدى  
لتعلم مصر ، ومن بالعراق ، ومن بالعواصم ، .. أننى الفتى  
( وأننى وفيت ، وأنى أيت ، وأنى عتوت على من عتتا )

فرجع أبو عمر الصباغ إلى عضد الدولة فأخبره بما جرى ، وأنشده هذه الايات فقال عضد الدولة : هوناً .... يتهددنا المتنبى !!

ويبين مما رويناه لك أن أبا الطيب كان لا يزال يحقر الأعاجم ويغضهم لما أصابوا به قومه من البلاء ، وكان استعصاؤه على ابن العميد وجداله معه في الرحاة الى عضد الدولة ، من أجل مذهبه السياسي ، ومن أجل أن هؤلاء ، بني بويه ، كانوا أعداء صاحبه سيف الدولة ، ومن أجل أنهم كانوا من شيعة العلويين الفاطميين الذي لا يرضى عنهم أبو الطيب ولا سيف الدولة ، ومن أجل أنه يعلم أن مديحه فيهم سيقى لهم ذكراً خالداً في شعره ، وهم له أعداء . ولكن الرجل — كما علمت قبل — كان مضطرباً قد داخلاه اليأس واستبد به ، فسار وهو يقول

وأيّاً شئت يا طرقي فكوني أذاة ، أو نجاة ، أو هلاكاً

فلما دخل شيراز واستقبله أبو عمر الصباغ ، واستنشده كأنه يختبر شعره ، لم يصبر المتنبى فرماه بقوله : الناس يتناشدون ، فاسمعه . إذ كان شعره قد سار مسير النيرين الشمس والقمر ، فلما عرف أن ذلك الطاب بأمر من عضد الدولة ، غضب لنفسه ولعريته ولشعره ، فاختار من قصائده قصيدة فيها ذكر ظفره بمراده ، وفأججه على الخصوم من الملوك والأمرء ، وهجاء كافور الذي كان عنده قبل أن ينزل على عضد الدولة لتكون هذه القصيدة تهديداً ووعيداً وإنذاراً ، ومقابلة لاساءة عضد الدولة بأساءة مثلاً . ولذلك لما سمع عضد الدولة

« وأنى وفيت ، وأنى أيت ، وأنى عتوت على من عتتا »

عرف مراد المتنبى فقال : هوناً .... يتهددنا المتنبى !!

ويبين أن هذا اللقاء الأول ، وضع بين أبي الطيب وعضد الدولة أسباب الحذر والاحتراس ، فكان أحدهما يتملق الآخر خوف البغى والعدوان . ولا شك أن عضد الدولة كان يعلم من أمر هذا الداهية السياسي أبي الطيب كثيراً ، وكان يرصد عليه العيون والرقباء .... على أن أمر أبي الطيب كان يئسناً فإنه حين حضر سباط عضد الدولة بعد أيام من مقدمه عليه أنشده قصيدته التي أولها

مغاني الشعب طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان



ولكنّ الفتى العربيّ فيها غريب الوجه واليد واللسان  
 ملاعب جنّة، لو سار فيها سايان لسار بترجمان  
 فهذا هجاء يبيّن لارض فارس وأهلها . فقد زعم أن سليمان عليه السلام — الذي عليم منطق  
 الجنّ والطير والحشرات والبهائم — لو دخل أرضهم لاحتاج إلى ترجمان، فأخرجهم بذلك  
 من منزلة من ذكرنا وجعلهم دونهم . وأنه — من هوانهم على الله ، وقلّتهم في الارض — لم يعلم  
 الله سليمان لسانهم ، وليس يخفى هذا على عضد الدولة . ولم يكتف أبو الطيب بذلك بل  
 أتبع هذا قوله بعد

إذا غنى الحمام الورق فيها أجابته أغانيّ القيان  
 (ومن بالشعب، أحوج من حمام — اذا غنى وناح — إلى البيان)

فتسم المعنى وأبان مقصده من الايات الاولى، إذ جعلهم أقل منزلة من الطير في البيان  
 والافصح. ولم يكتف ايضاً بهذا بل اراد ان يعلم عضد الدولة ، ان هذه البلاد ليست مكانه  
 الذي يرتاح اليه ، وليست بالارض التي تحرص عليه او يحرص عليها ، وانه غريب عنهم ، وان  
 مدحه لهم ليس شيئاً ، وانه عربيّ ليس بأعجمي يميل اليهم او يكون له شأن بينهم، فقال  
 ولكنّ ( الفتى العربي ) فيها ( غريب الوجه واليد واللسان )

فكل ما قال أبو الطيب في مديح هذا الديلمي (عضد الدولة) ليس من قلبه ولا من نفسه .  
 وشعره بين الدلالة على ان الرجل كان يقول متكلفاً بعد ان أخرج بمقدمه عليه . وقد فطن عضد  
 الدولة الى كل هذا — فقد كان اديباً شاعراً جيد القريحة — وقال :

«إن المتنبى كان جيّد شعره بالغرب» (يعني غرب فارس) ويشير بذلك إلى عدوه سيف الدولة  
 خاصة . وبلغت المتنبى مقالة عضد الدولة فقال : «الشعر على قدر البقاع» ... وهذا تصريح ببلغ،  
 ولا شك أن عضد الدولة أخبر بقول المتنبى هذا

ولم يكن كل ذلك مما يمنع هذا الملك المدبر عضد الدولة الديلمي — الذي وصل بدهائه  
 وسياسته وحسن تديره أن كان أول من خوطب بالملك في الاسلام وأول من خطب له على  
 المنابر بعد الخليفة — من ان يكسو أبا الطيب من نعمته ، ويفرقه بئداء وكرمه . فانهم يروون  
 أنه حين أنشده « مغاني الشعب ... » حمل اليه من انواع الطيب في الاردية والامنان، من ين  
 الكافور والعنبر والمسك والعود ، وقاد اليه فرسه الملقب بالجروح — وكان قد اشترى له بخمسين  
 ألف شاة — وبدرّة دراهمها عدلية، ورداء حشوه ديباج روميّ مفصل، وعمامة قوّم بخمسةائة  
 دينار، ونصلاً هندياً مرصع السجاد والجفن بالذهب

هذا ... وقد كان الجمال الطبيعي — الذي مسح الله به بلاد فارس — مما اراح نفس أبي الطيب



وأزاح همها قليلاً، فكان شعره الذي مدح به عضد الدولة مقارباً ليس فيه اضطرابٌ بين،  
أو أثرٌ ظاهرٌ من دأقه. إلا في أبيات قلائل. ولم يظهر في شعره ذلك، لأن مدة إقامته هناك  
كانت قليلة، فإنه بقي بشيراز على الأرجح من أواخر ربيع الثاني إلى أول شعبان من سنة ٣٥٤  
ولكن ظهر لهم أبي الطيب واستعان، وعادت إليه ذكرى خولة وموتها، وذكر آماله  
ومغامراته وجراته حين توفيت عمه عضد الدولة فرثاها بقصيدة ليس فيها شيء إلا هذه الأبيات

لا بُدَّ للإنسان من ضجعةٍ	لا تقبَلُ المُنْجَعِ عن جنبه
ينسى بها ما كان من عجبهِ	وما أذاق الموت من كربهِ
نحن بنو الموتى ..، فما بالنا	نعافُ ما لا بُدَّ من شربهِ !!
تَبْخُلُ أَيْدِينَا بأرواحنا	على زمانٍ هي من كَسْبِهِ !!
فهذه الأرواحُ من جِوِّهِ	وهذه الأجسامُ من شُرْبِهِ !!
(لو فكر العاشقُ في منتهى	حسْنِ الذي يسيبه لم يَسْبِهِ)
لم يرَ قرن الشمس في شرقه	فشكَّتْ الأنفُسُ في غربهِ
يموت راعي الضأن في جهله	ميتة جالينوس في طبهِ
وربما زادَ على عمره	وزاد في الأمن على سربه
وغاية المفرط في سلمه	كغاية المفرط في حربهِ
فلا قَصَى حاجته طالبٌ	فؤاده يخفق من رعبهِ

ففي هذه الأثرين لتفكر أبي الطيب في الموت، بعد الذي لقي من فقد خولة. كما ينه في مواضع





لا بدَّ للإنسان من ضَجْعَةٍ  
لا تقلب المضجع عن جنبه  
نحن بنو الموتى ، فما بالناس  
نعافُ ما لا بدَّ من شربه !!  
يموتُ راعي الضأن في جهله  
ميتة جالينوس في طبه  
وربما زاد على عمره  
وزاد في الأمن على سربه  
وغاية المفرط في سلمه  
كغاية المفرط في حربه  
فلا قضى حاجته طالب  
فؤاده يخفق من رعبه

أشرنا قبل إلى أن الرجلين (أبا الطيب وعضد الدولة) كانا يتخادعان ، وأنهما كانا في الباطن عدوين لا يأمن أحدهما جانب صاحبه ولا غدرته ولا سوء المقلب . ويبين لك عن هذا أن أبا الطيب مع إكرام عضد الدولة له — كما رأيت — لم يستطع القرار بأرض فارس أكثر من ثلاثة أشهر ، ولولا ما أشرنا إليه لاستطاب أبو الطيب المكان الذي وجد فيه غاية الإكرام ، والمال الكثير المبذول ، والعطايا السابغة الكريمة . وهو مع ذلك دليل على أن أبا الطيب ليس من الطمع والحرص على المال بالمنزلة التي يذكرونه بها ، ويتابعهم عليها كثير من الذين نصبوا أنفسهم للكتابة عن الرجل والترجمة له من المحدثين . . . . .

وقضية هذه العداوة بين أبي الطيب وبنو بويه الديلميين قضية معقدة طويلة ، ولها في التاريخ الاسلامي والعربي أسباب ممتدة . ونحن نختصرها هنا ونجعلها في وجهين قريين :

فالاول منهما : ما عرف عن أبي الطيب من بفضاء الاعاجم على ما فصلناه في مواضع  
والآخر : هو المسألة السياسية المتصلة بالخلافة العباسية ، والدعوة العلوية ، والدعوة الفاطمية .



وهذه هي أكبر مشا كل التاريخ الاسلامي، وخاصة في هذا العصر الذي كان المتنبى أحد رجاله الافذاذ كان العلويون يريدون اخراج ساطان الخلافة من يد العباسيين الى ايديهم ، وقد تمكنوا بالدعوة التي قام بها الدعاة العلويون ان يحزموا أمرهم ، ويجمعوا اليهم رؤوس الدولة فيكونون من شيعة ، وكان من شيعة العلويين — ممن نذكرهم هنا — بنو بويه الديلميون ، وبنو حمدان العرب التغلبيون. ثم غلبت على بني بويه الدعوة الفاطمية فصاروا من العاملين عليها في المشرق ، واستعصى على هذه الدعوة بنو حمدان . وكانت سياسة بني بويه علوية أعجمية ، وكانت سياسة بني حمدان علوية عربية. فاشتعلت البغضاء بينهما ، ثم زاد العداوة وضرباها وضربها ما كان من استجابة بني بويه للدعوة الفاطمية ، واستعصاء بني حمدان عليها ، ومناوأتهم إياها في الشام والموصل . وكان بنو بويه يعلمون أن بني حمدان قد أدركوا خفايا السياسة الديلمية الاعجمية المظاهرة للدعوة الفاطمية ، وانهم يعملون على نقضها . وكان دليل ذلك عندهم مناصرة بني حمدان للخلافة العباسية ، مع انهم من رؤس شيعة العلويين مذهباً وعملاً ، وقد علم بنو بويه ان هذه المناصرة إنما يراد بها إزاحة بني بويه عن مواضعهم من العراق وإبعادهم عن مقر الخلافة

فلما كان ما كان من أمر سيف الدولة وظهور ساطانه بالشام ، ووقوفهم على نيته في اتخاذ العدة واستجلاب العدد ، وتهيئة أمره لفتح العراق — على ما ذكرناه — استحررت العداوة بين هؤلاء وهؤلاء ، وخاصة سيف الدولة ، وهو رأس بني حمدان ، وأصلبهم عوداً ، وأشدهم مراساً ، وأقدرهم رأياً ، وأحزمهم دهاءً ، وأبعدهم نظراً ، وأمضاهم عزيمةً وهمماً . وكان من آثار ذلك ما أشرنا إليه قبل في سبب حروب الروم وسيف الدولة .

وكان ابو الطيب كما علمت من المقربين لدى سيف الدولة ، ولم يكن بنو بويه ليخطئوا معرفة الرجل ومذهبه في السياسة ، وان هذا المذهب هو مذهب سيف الدولة ، فلذلك حذره عضد الدولة على ما رأيت ، وبقي له (عدواً مداحياً). وقد كان ابو الطيب — فيما ذهبنا اليه — علوياً منكوباً في نسبه ، فلم يسب بمسئتك ان يراد به — من قبل العلويين — ما أريد به من قبل وهو بطبرية سنة ٣٣٦ حين أُرصد له العلويين عبيدهم السودان ليقتلوه ، فيكون من ذلك ان يسعى هؤلاء العلويون لدى عضد الدولة في ايداع الرجل والنيل منه . وأيضاً ما كان الدعاة الفاطميون يريدونه به لما يعلمون من أمره أولاً ، ولإنكاره نسبهم ، وقوله إنهم من نسل اليهود كما قدمنا <sup>(١)</sup> في خبر نبوته إذ قال

« فلا تسمعن من الكاشحين ولا تعبان (بعجل اليهود) »

يريد (بعجل اليهود) احد الدعاة الفاطميين . ولعل الذي جعل الفاطميين يكيدون له ، سعاية



الاسود الحصي كافور ، فانه كان قد بذل أموالا في طاب المتنبى حين مخرجه من مصر قبل هجائه له ، فلا عجب أن يبذل أكثر من ذلك بعد ان يبلغه الهجاء المقطع المفزع ، وما فيه من السخرية والتمثيل به كقوله

( واسود ، .. مشفره نصفه ) يقال له : أنت بدر الدجى  
وأبغ من ذلك تحريضه أهل مصر على قتله والفتك به كقوله

ألا فتى يورد الهندي هامته      كما تزول شكوك الناس والشهم  
فانه حجة يؤذي القلوب بها      من دينه الدهر والتعطيل والقديم  
ما أقدر الله أن يحزني خيخته      ولا يصدق قوما في الذي زعموا

وقد كان كافور — كما قدمنا — على صلة بالفاطمين والعباسيين معا ، ويخادعهم ويداجيهم معا ، فليس بعيدا أن يكون هو الذي حمل الفاطمين الذين بالعراق على الارصاد لابي الطيب ، وأن يكون بذل مالا كثيرا للاثتقام منه

والظاهر أن عضد الدولة كان قد علم بكل ذلك الذي يكاد به أبو الطيب ، ففضل أن يرفع يده عن دمه ، فأغرى بعض أتباعه بأن يوقع في نفس أبي الطيب شيئا من الخوف والرعب ، فيختفأ أبو الطيب للرحلة عن شيزار ، ويتعد عن دياره ليلقي حتفه في مكان آخر . ولذلك ( استأذنه المتنبى في المسير عن شيراز ليقضي حوائج في نفسه ثم يعود إليه ) . وكان هذا من أبي الطيب ضربا من ضروب دهائه ومخادعته ، فلما عزم الرحلة ، كان من دهاء عضد الدولة أن زاده كرامة ليوقع في نفسه أنه مصدقه ( فأمر أن تلح عليه الخلع الخاصة ، وتعاد صاته بلال الكثير ) . وبقينا أن أبا الطيب حين وجد ذلك — من إكرام عضد الدولة له — وكان قد بلغه طرف من أخبار الكيد الذي يكاد به ، عرّف ما يريد عضد الدولة ، وما يراد به ، ولذلك أشار في آخر قصيدة مدحه بها — وهو مفارق له في أول شعبان سنة ٣٥٤ — إشارات كثيرة ، منها قوله

ومن يظن ( نثر الحب جوداً ) وينصب تحت ما نثر الشباكا (

وهذا المثل هو مثل لما تراه قبل من أمر عضد الدولة . ثم انظر إلى يأس أبي الطيب وقد علم أنه قد أحبط به ، وأنه مقتول لا محالة ... إذ يقول

« وأيا شئت يطرقي ، فكوني      أذاة أو نجاة أو هلاكا »

.....

« وما أنا غير سهم في هواء ،      يعود ، ولم يجد فيه امتساكا »

فلما فصل أبو الطيب من شيراز ووصل إلى دير العاقول — وهي ضيعة بالعراق — اجتمعت عليه



بنو أسدٍ وبنو ضبة، فقتلوه وقتلوا غلمانهم وقتلوا ولده محسداً. وقد قده نالك<sup>(١)</sup> أن سيف الدولة كان قد أوقع بعمر بن حابس من بني أسدٍ، وبني ضبة، وبني رباح من بني تميم، وذلك في سنة ٣٢١، وقد هاجم أبو الطيب في مدحه لسيف الدولة في تلك السنة. وكان ذلك المدح وهذا الهجاء سبباً في أن أحفظ عليه هؤلاء القوم من بني أسدٍ وبني ضبة... قال أبو الطيب لسيف الدولة مهلاً ألا لله ما صنع القنسا في «عمر وحاب» و«ضبة» الاغنام

يريد عمرو بن حابس من بني أسدٍ

لما تحكمت الأسننة فيهم جارت، وهنَّ يحرن في الاحكام  
فتركهم خال البيوت كما غضبت رؤوسهم على الاجسام  
أحجار ناس فوق أرض من دم ونجوم يرض في سماء قتام  
وذراع كل كل أبي فلان كنية حالت، فصاحبها أبو الايتام

واعلم أن بني أسدٍ وبني ضبة هؤلاء كانوا من شيعة العلويين، والظاهر أنهم كانوا قد انحازوا الى الاعاجم مخدوعين، وصاروا بعد من شيعة بني بويه الفاطميين. وليس يبعد أن يكون كافور هو الذي أمدهم بالمال ليقبلوا الرجل، وتوسط له في ذلك أصحابه من أهل العراق العباسيين أو الفاطميين

هذا هو مختصر القول في مقتل أبي الطيب في ٢٧ رمضان من سنة ٣٥٤. أما ما يروونه من السخف في حكاية مقتله بسبب القصيدة<sup>(٢)</sup> التي أولها

ما أنصف القوم ضبة وأمه الطرطبة  
وإنما قلت ما قلت رحمة لا محبة

الى آخر الفحش القبيح الذي ورد بها، فلنا في نقده ونقضه وجوه لانطيل القول بها هنا، ولها موضعها إن شاء الله من كتابنا. وأيضاً فقد ورد أن سبب قتله «أنه لما ورد على عضد الدولة ومدحه، وصله بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراسٍ مسرجة محلاة بالذهب، ثم دس له من يسأله: أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة؟ فقال أبو الطيب: «إن سيف الدولة كان يعطي طبعاً وعضد الدولة يعطي تطباً». فبالغ ذلك اليه، فغضب. فلما انصرف من أرضه، جهز اليه قوماً من بني ضبة فقتلوه — بعد أن قاتل قتالاً شديداً ثم انهزم، فقال له غلامه أين قولك الحيل والليل واليبدأ تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

(١) ص ٥٤ (٢) هذه القصيدة عندنا باطلة النسبة لأبي الطيب



فقال : قتلتني قتلك الله ، ثم قاتل حتى قتل . . . . . » فمثل هذه الرواية لها تأويل وسياق

فيما قدمناه لك

ورحم الله أبا الطيب إذ يقول :

سُبقنا الى الدنيا فلو عاش أهلها      مُنعنا بها من جيئةٍ وذُهورِ  
تَمَلَّكها الآتي تملك سالب      وفارقها الماضي فراق سلبِ

وانت يا أبا الطيب

فدتك نفوس الحاسدين فإنها      معذبةٌ في حضرةٍ ومغيبِ  
وفي تعبٍ من يحسد الشمس ضوءها      ويجهد أن يأتيها بضربِ

محمود محمد شاكر

٣ شوال سنة ١٣٥٤

٢٩ ديسمبر سنة ١٩٣٥